جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم والإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السُّلْطَةُ المَحَلِّيَّةُ فِي بَايْلَكْ قَسَنْطِينَة

(936- 1253هـ/ 1592- 1837م)

مُذَكِّرَةٌ مُقَدِّمَة لنَيْلِ شَهَادَةِ المَاجِسْتِيرِ فِي التَّارِيخِ الحَدِيثِ، تَخَصُّصُ الدَّوْلَةِ وَالمُجْتَمَعِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ

لجنة المناقشة:

- د: حساني مختار، رئيسا
- د: فلة القشاعي-موساوي ، مقررا
- د: أرزقي شويتام، عضوا مناقشا
- د: دراج محمد، عضوا مناقشا

إعداد الطالب:

عبد الرزاق قشوان

السنة الجامعية: 2009- 2010م/ 1430- 1431هـ

جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم والإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السُّلْطَةُ المَحَلِّيَّةُ فِي بَايْلَكْ قَسَنْطِينَة
(936- 1253هـ/ 1592- 1837م)

مُذَكِّرَةٌ مُقَدَّمَة لِنَيْلِ شَهَادَةِ المَاجِسْتِير فِي التَّارِيخِ الحَدِيثِ، تَخَصُّصُ الدَّوْلَةِ وَالمُجْتَمَعِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ

لجنة المناقشة:

- د: حساني مختار، رئيسا
- د: فلة القشاعي-موساوي ، مقررا
- د: أرزقي شويتام، عضوا مناقشا
- د: دراج محمد، عضوا مناقشا

إعداد الطالب:

عبد الرزاق قشوان

السنة الجامعية: 2009- 2010م/ 1430- 1431هـ

باسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إِلَى رُوحِ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ، إِلَى أُمِّي، إِلَى زَوجِي وَأَبْنَائِي

أُهْدِي هَذَا العَمَلَ المُتَوَاضِعَ.

كلمة شكر

اعترافا منا بكامل الجهود التي بذلتها في إطار الإشراف على

هذا الموضوع المتواضع

ومتابعة تفاصيله، والتدقيق والتصحيح فيه

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة: فلة القشاعي

موساوي

والشكر موصول إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد حتى

أنجز هذا البحث

Liste des Abréviations قائمة المختصرات

- ط: رقم الطبعة
- ج: الجزء
- د.ت: دون ذكر لتاريخ الطبع
- د.م: دون ذكر لمكان الطبع
- د.م.دت: دون ذكر لمكان الطبع وتاريخ الطبع
- د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية
- ص: رقم الصفحة
- ص.ص. ؟.؟: رقم الصفحتين المذكورتين
- [كذا]: هكذا وردت العبارة في الأصل
- م: سنة ميلادية
- هـــ: سنة هجرية
- ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- م.ج.ط: المؤسسة الجزائرية للطباعة

- ***B.N.A : Bibliothéque national d'Alger***
- ***P : Page***
- ***PP : N=° de pages***
- ***R.A :Revue Africaine***
- ***S.N.E.D : Societé national d'Editionet de Difffusion***
- ***Vol : Volume***

مقدمة

مقدمة:

حظي العهد العثماني في الجزائر، بجملة من الدراسات والأبحاث، تناولت تاريخ وآثار هذه الفترة، من خلال البحث في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبايلك قسنطينة من أهم الأقاليم التي حظيت باهتمام المؤرخين، ومع ذلك لم يستطيعوا الإحاطة بكامل تلك الجوانب، وتغطيتها على وجه كامل، فلم تكن أعمال بعض المؤرخين تعدو كونها عبارة عن وصف سطحي، يكاد يخلو من تلك التحليل والتمحيص، ومن بين اللذين اهتموا بتاريخ هذه المدينة، محمد بن الحسن الوزان، وكذا أبو سالم العياشي، والورتيلاني، وهؤلاء الرحالة زاروا المدينة وتطرقوا إلى جزء من تاريخها، وكذا عبد الكريم الفقون، ومحمد الصالح العنتري وأحمد ابن العطار، وكذا أحمد بن المبارك الذين تركوا لنا مادة معتبرة في تاريخ قسنطينة، ومن ناحية أخرى نجد أن هناك الكثير من الذين كتبوا في تاريخ بايلك قسنطينة من الغربيين لا سيما الفرنسيين، وكانت تلك الدراسات غزيرة ومتنوعة، ولها أهداف مختلفة، ناهيك عن العديد من الدراسات والأبحاث المعاصرة التي عالجت بعض الجوانب من تاريخ المنطقة، مثل إيزابيل غرونغو (Isabelle Grangaud)، فلة القشاعي موساوي، وحسن دردور، وهذه الأعمال وغيرها تمثل الركيزة الأساسية لإعادة البحث في تاريخ قسنطينة انطلاقا من مقاربات جديدة وفق المنهج الأكاديمي التاريخي.

دوافع اختيار الموضوع

لقد اخترت هذا الموضوع للكثير من الأسباب، ولعل أهمها طبيعة الموضوع نفسه، وذلك أنه يتمثل في الجدل القائم بين المؤرخين أنفسهم والمتمثل في الفصل في طبيعة الحكم العثماني في بايلك قسنطينة، والذي يتمثل في سلطة المخزن واستعانتها بكافة السلطات المحلية والمتمثلة في: السلطة الروحية، وسلطة القبيلة وسلطة الأسر ذات النفوذ وفعالياتها في مجتمع البايلك، وتداعياته على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، لهذا فإنني أردت التطرق لهذا الموضوع الحساس والخوض فيه والذي يتلخص في العنوان التالي: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة.

أهداف أخرى:

1. تقديم صورة عن طبيعة الحكم العثماني في بايلك قسنطينة .
2. تعميق البحث في علاقة السلطات المحلية في العهد العثماني لاسيما في بايلك قسنطينة كنموذج لبقية المناطق الأخرى من الجزائر.
3. إبراز دور السلطة المحلية في بايلك قسنطينة وخصوصياته في بايلك الشرق.
4. محاولة تحديد دور السلطة المحلية كهيئة مشاركة فعالة.

5. توسيع المدارك وإثارة نقاش علمي أكاديمي في البحث التاريخي، وتبرز تلك الدوافع والأهداف بعد الإجابة على بعض الإشكالات المطروحة.

طرح الإشكالية:

الجدلية التي بنيت عليها هذا البحث تتمثل في التساؤلات التالية:

1. ما طبيعة الحكم العثماني في بايلك قسنطينة ومميزاته وخصائصه؟
2. ما هو السبب الذي أخر قيام سلطة عثمانية في إقليم قسنطينة، رغم الوجود المبكر للعثمانيين في هذا الإقليم؟ وهذا أدى إلى اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ دخول العثمانيين إلى المدينة.
3. ما هي العوامل التي ساعدت العثمانيين على بسط نفوذهم في بايلك قسنطينة؟
4. طبيعة التحالف بين السلطة العثمانية وفعاليات القبائل و الاسر الوراثيةو السلطة الروحية
5. هل ذابت سلطة القبيلة وشخصيتها وسلطة شيخ الزاوية ومكانته، وسلطة الاسر الوراثية في السلطة العثمانية؟
6. كيف كانت العلاقات بين هذه السلطات، وما انعكاساتها على المجتمع في بايلك قسنطينة؟
7. هل استمر هذا الوضع في البايلك بعد سقوط عاصمة البايلك قسنطينة سنة1253هـ/ 1837م؟

الإطار الجغرافي للبحث :

في سبيل أن يأخذ هذا البحث طريقة منهجية أكاديمية حددنا الإطار الجغرافي لبايلك قسنطينة وهو الناتج عن التقسيمات الإدارة المركزية العثمانية سنة 975هـ/1565م.

الإطار الزمني:

أما الإطار الزمني للبحث فإنه يمتد من سنة 936هـ/ 1592م وفي السنة التي انتقلت فيها قسنطينة من السلطة الحفصية إلى السلطة العثمانية، وتعيين علي بوعكاز شيخ العرب اللقب الجديد الرسمي وإلغاء لقب الإمارة الحفصي إلى سنة 1253 هـ/1837م تاريخ سقوط قسنطينة.

خطة البحث:

ولقد قسمت هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام، متكونة من فصول، إضافة إلى مقدمة وخاتمة القسم الأول وكان بعنوان: الدراسة الطبيعية والبشرية لبايلك قسنطينة، ويتضمن هذا القسم فصلين:

الفصل الأول بعنوان: البنية التضاريسية ودورها الاقتصادي والاجتماعي، وتناولنا فيه الناحية الطبيعية (التضاريس، المناخ، الغطاء النباتي، المجاري المائية، التنوع الإقليمي)، وكذا مميزات هذا الإقليم، وحدوده الجغرافية، وأهم المناطق التابعة له، أما الفصل الثاني وكان بعنوان: البنية البشرية وانعكاساتها على المجتمع، وتناولنا فيه عدد السكان، والفئات الاجتماعية، والنشاط الاقتصادي، والتركيبة الديموغرافية.

أما القسم الثاني فقد كان بعنوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة، في متن هذا الفصل أشرنا إلى أهم السلطات في بايلك الشرق، وقسم هذا القسم بدوره إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول منها كان بعنوان: سلطة المخزن في بايلك قسنطينة، أردنا في هذا الفصل إبـــراز ظروف وصول العثمانييـــن إلى المنطقة وإظـــهار العوامـــل المساعدة في تشكيل السلطة الجهوية للسلطة المركزية في إيالة الجزائر وأثر ذلك على الوضع الجيوستراتيجي لمنطقة الشرق الجزائري.

بينما الفصل الرابع، والذي هو تحت عنوان: سلطة القبيلة في بايلك قسنطينة، فقد أبرزنا فيه دور القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية متفاعلة مع تطورات الأحداث وأهميتها في توجيه وتفعيل دورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني، في حين كان الفصل الخامس، تحت عنوان: السلطة الروحية في بايلك قسنطينة، فقد عكفنا فيه على إبراز دور الطرق الصوفية والعوامل المساعدة، الحفاظ على مكانته، وتأثيره في الحياة الدينية، والاجتماعية، بل وتى الاقتصادية والسياسية.

القسم الثالث وهو القسم الأخير المعنون بـــ: العلاقات بين السلطات المحلية في بايلك قسنطينة، في هذا القسم نسعى إلى تحديد دور السلطات الثلاثة والعلاقات بينهم وأثر ذلك على بايلك قسنطينة وعلى السلطة المركزية العثمانية في الجزائر وعليه يمكن بناء فصلين، الأول، والمعنون بـــ: العلاقات بين سلطة البايلك وسلطة القبائل، حاولنا في طيات هذا الفصل تحديد علاقة السلطة المحلية بالسلطة المركزية، أما الفصل الأخير، فهو بعنوان: العلاقة بين سلطة البايلك والسلطة الروحية (الطرق الصوفية)، وفي الأخير ختمت البحث بمجموعة من الاستنتاجات، والتوصيات.

ولقد استعنت بجملة من المصادر والوثائق، والمراجع المختلفة، ولعل أهمها ما يلي:

المصادر العربية:

1- **كتاب منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، للشيخ عبد الكريم الفقون القسنطيني، والذي تكلم بإسهاب عن سكان المدينة، وعن السلطة الروحية في المدينة ودور الفقهاء والعلماء والأولياء في المجتمع القسنطيني، وتكلم أيضا مؤلف الكتاب عن صفات الحضر والبدو في إقليم قسنطينة، وعن بعض الأمور السياسية، ورغم أن هذا الكتاب لم يكن ذو منهج تاريخي بحت إلا أنني استطعت أن أستفيد منه في الكثير من محطات البحث.

2- **تاريخ العدواني**، للشيخ محمد بن محمد بن عمر العدواني، وهو كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل مع ذكر الأحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي وأصول بعض المدن والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب، منذ الفتح الإسلامي، وقد ذكر مؤلف هذا الكتاب الكثير من المعلومات الهامة عن مدينة قسنطينة، وخاصة الشرق القسنطيني حتى منطقة وادي سوف.

3- **تاريخ بايات قسنطينة**، لمؤلف مجهول، أفادني هذا الكتاب في الإطلاع جوانب كثيرة من سلطة المخزن، وعلاقاتها المختلفة مع سكان مدينة قسنطينة.

4- **فريدة منسية في حال دخول الترك مدينة قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها لمحمد الصالح العنتري**، وقد استفدت من هذا الكتاب في بعض الجوانب السياسية خاصة فيما يخص استيلاء العثمانيين على هذه المدينة.

وقد استعنت ببعض المراجع على اختلاف أنواعها، منها ما هو باللغة العربية، ومنها ما هو باللغة الفرنسية، ولعل أهمها:

1- **ورقات جزائرية**، لناصر الدين سعيدوني، وخاصة في بحثه : رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شان صالح رايس 963هـ/ 1555م، وهو بحث نشر في كتاب التذكاري للأستاذ روبير شارل أجيرون، من منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، وكذا بحث: المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية، ودورها الحضاري، وأيضا موضوع شبكة الموصلات في الجزائر أثناء العهد العثماني، وأيضا مقال الإنسان الأوراس وبيئته الخاصة، وأيضا الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني.

2- **تاريخ الجزائر الثقافي**، لأبي القاسم سعد الله، في جزأيه الأول والثاني، الذي أفادنا من خلال طرح القضايا الفكرية والثقافية وموقف العثمانيين منها، كما تكلم عن السلطة الروحية، ودورها في المجتمع القسنطيني والجزائري عموما.

3- مقالات عديدة لمجموعة من الكتاب الفرنسيين مثل:

Féraud (ch) Vayssettes(E), Shaler (w), Dureau, (de la malle), Peyssonnel et Desfontaines (L)

في المجلة الإفريقية، من خلال الكثير من أعدادها.

منهجية البحث:

ارتأينا لانجاز هذه الدراسة إتباع منهجية أكاديمية، من خلال المنهج الوصفي مثل عرض بعض المعلومات الخاصة بالقبائل والمدن، وبعض الشخصيات المهمة في مدينة قسنطينة، كما استعملت التحليل وخاصة فيما يخص تحليل الأوضاع السياسية وكذا الاجتماعية والتي أثرت على المجتمع القسنطيني

بصورة أو بأخرى، وأيضا استعملت المنهج المقارن، وخاصة في ما يخص المقارنة بين بعض القبائل والأسر، وأيضا المقارنة بين السلطات المختلفة في مدينة قسنطينة.

الصعوبات والعوائق:

وككل المهتمين بالبحث التاريخي لابد من مواجهة الكثير من الصعوبات والعوائق، ونوجزها في ما يلي:

1- كثرة المراجع والمصادر، والوثائق، وإن كانت هذه الخاصية إيجابية، إلا أنها أحيانا تعيق الباحث وخاصة تلك وأن معظم المصادر والمراجع لا تكاد تعدو كونها نسخة من أصل واحد، وذلك لكثرة النقول.

2- صعوبة الوصول إلى المخطوطات الأساسية، وكذا صعوبة التحكم فيها واستقرائها.

3- كثرة المادة العلمية، وصعوبة إيجازها في عدد محدود من الصفحات، وهذا ما جعلنا نتبع طريقة التلخيص، والاكتفاء فقط نماذج من كبرى القبائل والأسر وكذا الحوادث الكبرى.

4- تداخل وتشابك العلاقات القبلية، وصعوبة تحديد صلاحيات كل منها، وأيضا صعوبة تحديد العلاقة الحقيقية بين الأسر الحاكمة والقبيلة من جهة، وبين الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا من جهة أخرى، وعلاقة كل منها بسلطة المخزن.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني لإتمام هذه المذكرة، ويبقى هذا اجتهاد مني، وما توفيقي إلا بالله.

القسم الأول

الدراسة الطبيعية والبشرية لبايلك قسنطينة

الفصل الأول: البنية التضاريسية وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية

يعد إقليم قسنطينة من أكبر أقاليم إيالة* الجزائر ثروة وخصبا، ومن أوسعها مساحة وتنوعها من حيث التضاريس، هذا ما أعطاها طابعا مميزا عن بقية الأقاليم الأخرى، ونظرا للأهمية الإستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية، كانت محل اهتمام الجغرافيين والمؤرخين والرحالة والعسكريين والدبلوماسيين(1)، إن هذا التنوع والتباين إنعكس على الجانب الاجتماعي للسكان، وعليه كانت نماذج متنوعة ونسيج عمراني وأنشطة اقتصادية من جهة لأخري، حتى أننا نلاحظ عدة أقاليم ثانوية داخل الإقليم الواحد.

حدود بايلك قسنطينة:

يرجع تأسيس البايلك إلى سنة 975هـ-1565م حين عين محمد بن صالح رايس حاكم الجزائر بمعية حيدر كاهية** والي على مدينة قسنطينة رمضان باي تشولاق(2) فأعتبر أول تعيين رسمي لباي في بايلك قسنطينة من طرف دار السلطان.

---

*- الإيالة: مصطلح إداري من العصر العثماني قبل إلغاء الانكشارية، ويقصد به الولاية، والولاية بحسب قانون نامة، وحدة إدارية يرأسها الباشا أو الوالي وهو من رتبة وزير، والولاية بدورها كانت مقسمة إلى عدة صناجق، والصنجق الواحد مقسم إلى عدة قائمقامات والقائمقامية إلى عدد من النواحي.

(1)- من أهم هؤلاء نذكر:

-shaler (w), Esquisse de l'Etat d'Alger, traduit de l'anglais et enrichi de notes par Bianchi (x), l'avocat, Paris.1830.

-Shaw (Dr), voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'anglais par J.MC carthy, Paris, 1839.

-Peyssonnel et Desfontaines (L), Voyages dans la Régence de Tunis et d'Alger, publies par Dureau de la Malle, Paris,1838.

-Dureau (de la malle), la province de Constantine, Recueil, De renseignements, Paris,1837.

- Feraud (ch), Le Sahara de Gonstantine, Alger, A. Jourdan,1887.

**- الكاهية: للداي أو الباشا نائب يحتفظ بمفتاح الخزينة، أنظر خوجة (حمدان بن عثمان)، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص127.

(2)- عينه البايلرباي محمد بن صالح رايس في منصب باي قسنطينة سنة 975هـ/ 1567م، يعد اتفاق بين سكان مدينة قسنطينة على تكوين وفد وإرساله غلى باشا الجزائر، وتكون الوفد أساسا من عبد الكريم الفقون والمفتي عبد اللطيف المسبح.

وانصب اهتمام صالح رايس[1] أثناء فترة حكمه للجزائر (959- 963هـ/ 1552- 1556م) على إقرار النظام وتنظيم الإدارة المركزية فبنى مقر الحكم أو دار السلطان (قصر الجنينة)، ووسع نفوذ السلطة المركزية بمدينة الجزائر إلى أقاليم الجنوب وتصدى لمحاصرة وتصفية مراكز الوجود الاسباني في بجاية[2] بالسواحل الجزائرية، كما عمل على وقف تدخلات الدولة السعدية بإقليم تلمسان، وتوسيع السلطة المركزية[3] الجزائرية بإقليم الجنوب الصحراوي، فشن حملة عسكرية مكنته من فرض سلطته بالأغواط وورقلة وتقرت ووادي سوف سنة 1552م[4].

استطاع صالح رايس استعادة بجاية في 12ذي القعدة 962هـ /28سبتمبر 1555م من الأسبان بعد أسر عدد كبير منهم قدر بـ 620 أسير[5].

حدود بايلك قسنطينة:

يحد هذا الإقليم شمالا البحر الأبيض المتوسط وغربا وادي السمار حول نواحي بجاية وجهات الساحل فان هذا الوادي "السمار" يأخذ مجراه من أعالي برج حمزة، ومن روافده أودية كثيرة من جرجرة، ويعرف بالسمار وليس بالصومام، وتختلف تسميته حسب الجهات التي يمر بها، فهو يدعى في أعالي قرية بني منصور بوادي بني منصور، ثم يغير اسمه إلى وادي بني عباس في أقبو وبني غليس وتازمالت، وفي الأخير

---

[1]- تشير دائرة المعارف التركية إلى أنه تولى عرش الجزائر قبل محمد هذا اثنان من الباشاوات وهما أحمد باشا وحسن باشا (1561-1562م) واتصل البايلرباي محمد بن صالح رايس بالجزائر في ذي الحجة سنة 974هـ (جوان 1567م) فصادف فيها أوبئة ومجاعات رهيبة صحبها هيجان في الجند واضطراب في الشعب فاضطر إلى صرف اغلب أوقاته في مواساة الضعفاء والمصابين وتسكين الفتن، عزله البيلرباي وولى مكانه القائد رمضان تشولاق بايا جديدا على قسنطينة.

[2]_ من أولى المناطق التي احتلها الأخوين عروج وخير الدين سنة 920هـ الموافق 1514م واتخذوها مركزا لهم وفي سنة 918هـ الموافق 1512م وبعد حرب طاحنة تمكن العثمانيون من فتح بجاية بعدما طردوا الأسبان من تونس وعنابه بجيش يفوق 4000 مقاتل و22 قارب حربي، وكان احتلالها يوم السبت 12 ذي القعدة سنة 962هـ الموافق 28 سبتمبر 1555م.

[3]_سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص112.

[4]-العنتري (محمد الصالح)، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005،ص41.

[5]_المرجع نفسه، ص107.

يحمل اسم وادي السمار[1] نسبة إلى النبات المعروف بهذا الاسم، ويصب هذا النهر في البحر بالقرب من بجاية، ويدخل ضمن إقليم قسنطينة[2] برج حمزة، وذلك لكون القائد المتصرف فيه كان يعين من طرف باي قسنطينة.

أما من الناحية الجنوبية فتحد إقليم قسنطينة الصحراء ويلحق به مدينة ورقلة التي كان حاكمها الباشا يبعث بهدايا قيمة إلى باي قسنطينة عندما يكون الباي في حالة تمكنه من المطالبة بذلك، ولقد ذهب صالح باي[3] أثناء حكمه للإقليم إلى توقرت لإخضاعها ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها لانعدام الأقوات والمؤن[4].

أما من الجهة الشرقية فيحد البايلك إيالة تونس، وتتبع الحدود وادي صرات (Serrath) حتى يلتقي بوادي مرجانة (Merdjana)، ويأخذ وادي صرات هذا منبعه من بلاد بني مراد الواقعة إلى الشرق من الأوراس، ومن روافده عدد كبير من الأودية المنحدرة من هذه الجبال، وإلى الجنوب من هذا الوادي يحد الإقليم بلاد الجريد من الشرق.

وما يمكن التنويه به أن سكان بايلك قسنطينة لم يكونوا كلهم يخضعون لسلطة الباي، فهناك سكان ساحل بجاية والبابور لا يدفعون الضرائب المفروضة عليهم،

---

[1]- اسمه العلمي (جانكس ارابيكس) وهو أحد نباتات المستنقعات الملحية الذي يتميز بقوة تحمل عالية للملوحة بالتربة، وتمتد رزوماته في باطن الأرض إلي مسافة 30 ــ50 سم، وأفقيا إلي مسافات طويل، ويتراوح طول ساق نبات السمار بيت 90 ــ150 سم وهذا الجزء هو الذي يستعمل في صناعة الورق الذي أثبتت الدراسات التشريحية أن هذا النبات يتميز بألياف طويلة طولها ما بين 150- 240 سم.

[2]- مدينة قسنطينة على خط 36.23 شمالاً، وخط 7.35 شرقاً، وتتوسط إقليم شرق الجزائر، حيث تبعد بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، وحوالي 431 كلم عن الجزائر العاصمة غرباً و235 كلم عن بسكرة جنوبا و89 كلم عن سكيكدة وتتربع قسنطينة فوق الصخرة العتيقة على جانبي وادي الرمال، تحفها العوائق والانحدارات الشديدة من كل الجهات، فهي تنحصر بين خطي كنتور 400م و800م في الشمال و800م و1200م في الجنوب.

[3]- في عام 1788م قاد صالح باي حملة كبيرة إلى الجنوب الصحراوي القسنطيني لمعاقبة شيخ الذواودة محمد الذباح، وشيخ تقرت فرحات بن جلاب لرفضهما دفع الضرائب للبايلك وفي طريقه إلى تقرت مر على واحات طولقة وبوشقرون وليشانة والزعاطشة وسيدي خليل (سيدي خالد) بوادي جدي فأرغم سكانها على دفع الضرائب المطلوبة.

[4]-محمد صالح العنتري، مصدر سابق، ص78.

وحتى الهدايا والعوائد لا تؤخذ منهم إلا بالقوة بالإرغام والقسر، فأصبحوا بعد الهزيمة التي ألحقتها قبائل بني فليسه، بالأتراك في مضايق جرجرة لا يطالب منهم سوى المحافظة على الهدوء في المنطقة.

أما العشائر القبلية القاطنة بنواحي جيجل والقل وأسطورة فقد ظلت مستقلة ولم تعد تدفع ما عليها من الضرائب منذ عهد طويل، يقول حمدان خوجة في مذكرته: «وإذا كانت بعض القبائل[1]، كما ذكرت تنظم أحيانا إلى الأتراك لإخضاع القبائل الثائرة، فأن القبائل في ناحية بجاية وفي جبال المجاورة للمنطقة، لم تكن ترضى بأن تأتي قبائل أخرى إلى أرضها لتساعد الأتراك على إعادة الأمن، وإن ورؤساءها هم الذين يسهرون على أمن الطرقات الواقعة في المنطقة»[2]، وقد دفع عثمان باي حياته ثمنا في أحدى الحملات التي جردها على ساحل جيجل.

إن إقليم بأيلك قسنطينة استقر بهذه الحدود منذ التقسيم الإداري الذي وضع سنة 973هـ/ 1565م حتى ما بعد الاحتلال الفرنسي بسنوات، ويعد أكبر الأقاليم مساحة وتنوعا في البنية الديموغرافية والجيولوجية، وتعتبر تضاريس تكوينه من المميزات والخصائص الحيوية والإستراتيجية الممثلة لهذه المنطقة[3]، وتتنوع الأقاليم المناخية فيه منها مناخ البحر الأبيض المتوسط، ومناخ الهضاب العليا ومناخ المنطقة الصحراوية، وتتجلى فيه ظاهرة الفصول الأربعة، وتتباين كميات التساقط التي تتحكم في نمو النباتات وارتباطها بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والتي تتراوح بين

---

[1]- عندما تولى خيضر باشا السلطة في عام 1589-1592 طلب من البايات في البياليك، أن يستعملوا نفوذهم لدى القبائل حتى تدفع ما عليها من ضرائب في اقرب وقت فقام الباي محمد بن فرحات بتذكير الشيوخ والقبائل والخلفاء، فامتثل البعض وامتنع البعض الآخر ومنهم زعماء أولاد مقران بمجانة الذين أعلنوا الحرب ضده فتصدى لمواجهتهم بدعم من الباشا في العاصمة الذي انجده وأرغمت قواتهما على دفع خسائر الحرب مع الاحتفاظ بامتيازاتهم القديمة.

[2]-خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص111.

[3]- إن إقليم بايلك الشرق هو همزة وصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط وبين شمال الصحراء الكبرى الإفريقية والبحر الأبيض المتوسط ونقطة التقاء القوافل وركب الحجيج بين المغرب والمشرق ومنطقة انتقالية بين حضارة الشواطئ وحضارة الصحراء وقسنطينة مركز ذلك.

500مم في الجنوب و1200مم في المناطق الساحلية، وهذا ما يساعد على التوطين والاستقرار البشري في الشمال وترحالهم في الناحية الجنوبية[1].

الدراسة التضاريسية:

إقليم قسنطينة[2] متباين التضاريس متنوع في مظاهر سطحه وهذا ما جعله مميز عن غيره من أقاليم الجزائر ليس في العهد العثماني، بل عبر مختلف العصور، وهدف هذه الدراسة هو إبراز دور التضاريس في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لهذا ارتأينا تقسيم البايلك إلى ثلاث أقاليم متباينة وذلك حسب الامتداد الطبيعي للتضاريس من جهة، ومن جهة أخرى حسب الترابط الاجتماعي والاقتصادي لكل إقليم، وهنا نطرح التساؤل التالي: إلى أي مدى تأثر النشاط الاقتصادي والاجتماعي بتضاريس المنطقة؟ وما علاقتها بالسلطة الحاكمة؟

الإقليم التلي:

هو المجال الجغرافي الذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط، ويشمل الجبال التلية والسهول الساحلية ومصبات الأودية والثروة الغابية، والثروة البحرية، والانفتاح على البحر المتوسط والعالم الخارجي خاصة الأوربي، ولهذا الامتداد دور في حالة السلم والحرب، لأن نمط المناخ والتساقط وطبيعة الغطاء النباتي والحيواني مميز عن غيره من الأقاليم المجاورة، لهذا نجد طبيعة المجتمع وتركيبته ونمط حياته تختلف عما سواها، بالإضافة إلى الظروف التاريخية التي تحكمت في هذه المناطق مثل التهديد الخارجي البحري من طرف الأوربيين من أقدم العصور سيما التحرش الأيبيري بعد انقسام الدولة الموحدية حتى مجيئ العثمانيين، إضافة إلى الموانى التي تزخر بها هذه الواجهة البحرية،والثروة الغابية الكثيفة في المنطقة قد أدت دور اقتصادي واجتماعي

---

[1]- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية)، مطبعة الإنشاء، ط2، دمشق، 1968، ص125.

[2]- تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط 36.23 درجة شمالا، وخط 7.35 درجة شرقا، وتتوسط إقليم شرق الجزائر، حيث تبعد مسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية وحوالي 431 كلم عن الجزائر العاصمة غربا و235 كلم عن مدينة بسكرة جنوبا و80 كلم عن مدينة سكيكدة شمالا، وتتربع مدينة قسنطينة فوق الصخرة العتيقة على جانبي وادي الرمال تحف بها العوائق والإنحدارات الشديدة من كل الجهات.

لسكان المنطقة، يضاف إلى ذلك السهول الساحلية الخصبة مثل سهل عنابه وسكيكدة وقالمة وبجاية، حتى السهول الساحلية لوادي الصمام والسهول الداخلية الضيقة التي تنحصر بين جبال الأطلس التلي، إن هذا الإقليم فرض على المجتمع حياة اقتصادية واجتماعية مخالفة عن غيره من الأقاليم الأخرى مثل تربية الأبقار والأغنام والدواب، وفي نفس الوقت تعاملت معه سلطة البايلك معاملة تختلف عن الأقاليم الأخرى، على أساس نوعية الحيوانات التي يعتمد عليها في معاشهم وخدمتهم ونشاط تجارتهم بالإضافة إلى الموانئ التي كانت تربط أهم الحواضر الساحلية على شواطئ البحر المتوسط، وتنوع منتوجاتها الفلاحية، وما يلاحظ أن سلطة البايلك كانت تفرض مستحقاتها حسب نوعية التربة وجرافية المنطقة ونشاطها حسب خصائص كل منطقة.

إقليم الهضاب العليا: ويمكن حصر هذا الإقليم بين الإقليم التلي من الجهة الشمالية والإقليم الصحراوي من الجهة الجنوبية*، أما من الشرق فيتصل مباشرة مع إيالة تونس ومن الغرب مع إقليم بايلك التيطري، ومن خصائص هذا الإقليم أنه انتقالي بين إقليم الشمال وإقليم الجنوب الصحراوي، ويتميز بالارتفاع على مستوى سطح البحر، ومن مميزاته ظاهرة انسياب الجبال المجاورة له نحو السهول مثل جبال قسنطينة وسطيف وجبال لآلة خديجة من جبال الأطلس التلي إلى الجبال الأكثر ارتفاعا مثل جبال الأوراس وتبسة وباتنة، وتنحصر بين هاتين المجموعتين سهول متموجة واسعة تفرض طبيعة اجتماعية واقتصادية مختلفة عن تلك التي رأيناها في الإقليم التلي مثل الفلاحة الواسعة والأراضي الشاسعة وتربية الماشية وكثرة القبائل المستقرة في شمال الإقليم، والمرتحلة في جنوبه، وخصائصها أنها تجمع بين النشاط الفلاحي الموسمي والرعي بالنواحي الوسطى والجنوبية من البايلك، حيث مواطن أولاد عبد النور[1] والتلاغمة وأولاد سلام وأولاد لخضر بالهضاب العليا جنوب

---

* - حول دراسة إقليم قسنطينة، راجع Marc coté: Le relief de Constantine les hauts plaines de Constantine.

(1)- قبيلة أولاد عبد النور، واحدة من أكبر القبائل مساحة بمقاطعة قسنطينة، وتقع بمنطقة التل، المعروفة باسم الهضاب العليا، إذ تحتل جانب من السهول التي تمتدّ بين قسنطينة وسطيف، وعين الكبش التي نأخذها نقطة مركزية للإقليم ترتفع من على سطح البحر بـــ 900 م، تبلغ مساحتها=

قسنطينة، ويتميز الإقليم أيضا بالمناخ الانتقالي بين مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي وهذا يوفر نوع من الغطاء النباتي الأقل كثافة والأكثر تنوعا من المنطقة التلية والأكثر من الإقليم الصحراوي[1]، ومن نشاطاته الفلاحة منها الحبوب والكتان والخضر والفواكه بالإضافة إلى تربية الحيوانات مثل الماشية من الأغنام والماعز والدواب، وترتكز عليه مرجعية الحياة الاقتصادية للبايلك، إذ يعتبر بايلك قسنطينة اكثر البياليك تموينا لخزينة إيالة الجزائر.

الإقليم الصحراوي:

هذا الإقليم يمتد إلى الجنوب من إقليم الهضاب العليا أي ما وراء كتلة جبال الأوراس وما وراء جبال باتنة ليشمل منطقة الشطوط (شط الحضنة وشط ملغيغ وشط الجريد)، ومنطقة الوادي وتوقرت وورقلة وهو بذلك إقليم مفتوح نحو الجنوب في الصحراء ، ومن مميزاته أن نمط معيشة سكانه يختلف عن تلك التي يعيشونها سكان الإقليم التلي والهضاب العليا، وتمتاز حياتهم بالترحال وتربية المواشي ومنها الماعز والأغنام والجمال والدواب من الحمير، فمضاربهم واسعة واستقرارهم عند الينابيع والواحات وفلاحتهم معاشيه قليلة وخضرهم وفواكههم مما تجود عليهم مياه الأودية والواحات[2]، وأهم القبائل التي تؤلف هذا الصنف من السكان قبائل النمامشة[3]، التي اشتهرت بقوتها العددية وكثرة قطعانها وأصبحت لها السيادة على المناطق الشرقية للأوراس والجهات الجنوبية من تبسة، كذلك قبائل الحنانشة[4] بالجهات

= اليوم حوالي 200 ألف هكتار، وقد كانت كبر من ذلك في العهد التركي، فخلال هذا العهد كانت القبيلة تنصب خيامها حول عين السلطان عند جبال أولاد بوعون أو أولاد سلام.

[1]- محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيا العمران ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص79- 85.

[2]- حليمي عبد القادر، مرجع سابق، ص149.

[3]- تعتبر قبيلة النّمامشة الموطّنة في القسم الشّرقي لجبل أوراس، خليط من هوّارة وزْنَاتَة، ثُمّ نزل عليهم أولاد رشاش بن وشاح الهلالي، من عرب بني هلال، واختلطوا بهم ونُسِبوا فيهم. ولد بعرة بن حنّاش، فهم قبيلة الحنانشة الشّاوية الكبيرة، التي تعيش في نواحي سوق أهراس، على الحدود التّونسيّة الجزائريّة.

[4]- قال المؤرخ الفرنسي Mercier Ernest هوّارة الذين يتوزّعون ما بين الهضاب الواقعة شمال شرقي أوراس إلى جنوب عنّابة، بدؤوا يستعربون باحتكاكهم مع العرب ليأخذوا أسماء =

الجنوبية من سوق أهراس والنواحي الشمالية لتبسه، وقبائل الحراكتة [1] بنواحي عين البيضاء وجبل سيدي رفيس والقبائل المرتحلة بين الشمال والجنوب بحثا عن المراعي وأشهرها قبائل الذواودة التي لعبت دور هام في تاريخ بايلك قسنطينة، منذ عهد زعيمها الصخري بن يعقوب بن علي الذي شمل نفوذه في الفترة الأولى للحكم العثماني ثلث بايلك قسنطينة وقبائل الزعاطشة*.

=جديدة (الحنانشة، النمامشة، الحراكتة)، وقال في موضعٍ آخَرَ: ((نذكر خصوصا في عمالة قسنطينة النمامشة، الحنانشة، الحراكتة، ثلاث قبائل تكوّنت من هوّارة وتسيطر على الهضاب الواقعة بين تبسّة، قسنطينة وباجة))، وزاد في موضعٍ آخَرَ: ((على الهضاب الشّرقيّة، تنتشر قبائل بربريّة مستعربة جديدة، وهي التي تكلّمنا عنها: الحنانشة، النمامشة (اللمامشة)، الحراكتة، تكونت من نفزاوة وهوّارة)).

(1)- وتنقسم قبيلة الحراكتة جُغرافيّا إلى ثلاثة أقسام، هي: حراكتة السّبايخ، حراكتة المعذر والجرمة، وحراكتة جبل الثّلاث، وتنتمي كل بطونها إلى أربعة من أبناء حركات، وهم: أولاد عيسى وأولاد الحاج وأولاد مخلوف وأولاد عدوان، فمن أولاد عيسى: أولاد عمارة وأولاد خنفر وأولاد سيوان، حول عين البيضاء وأم البواقي ومسكيانة، وهم حراكتة العواسي، أوحراكتة السّباخ (الشّطوط)، ومن العواسي أيضا: الحراكتة المعاذير الحراكتة الجرامنة، بجبلِ بوعر يف والشمُرّة وقصر ووالجرمة والمعذر.

*-الزعاطشة: يمتد في سهل الوطية الذي يمتد في جنوب شراقي الحضنة، عند السفح الجنوبي لجبل أوراس، والمناخ في هذا السهل أكثر اعتدالا منه في سهل الحضنة، والمنطقة، مثل السابقة مشهورة برنتاج القمح والشعير وتربية المواشي، ولكن النخيل فيها أقل إنتاجا ونوعية، الزاب الذي ينقسم إلى الزاب الظهري (الشمالي)، والزاب القبلي (الجنوبي) والزاب الشرقي والمنطقة عبارة عنه مجموعة من الواحات، يجتمع بعضها ويفترق البعض الآخر ويفصل بينهما فراع من الرمال القاحلة، ولا تعرف من النبات سوى الشيح الذي يصلح لرعي الجمال والأغنام، أنظر المزيد احمد بن المبارك الميلي، تاريخ حاضرة قسنطينة،تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1952، ص36.

الفصل الثاني: البنية البشرية وانعكاساتها على المجتمع

لدراسة البنية الاجتماعية لباليك قسنطينة، تطرح عدة إشكالات منها كيفية الدراسة في شكلها، أي من حيث التركيبة البشرية من حيث العرق من جهة ومن جهة أخرى من حيث التشكيلة البنيوية التي تكون المجتمع وفئاته أو من حيث المناطق المتواجدة عليها كل فئة، وهذا ما يجعلنا نتحايل لكي لا نهمل فئة من الفئات أو عنصر من الأعراق، إلا أننا نجد نوع من السهولة أن نحدد أطار متوازن بين هذه الدراسات، فوليم سبنسر الذي قال أن سكان المدن خليط من الأعراق منهم العرب والبربر وفئات من أجناس مختلفة عمرت البلاد عبر العصور ومنهم الأتراك والأندلسيين[1].

إلا أن البعض من المؤرخين الأوروبيين ومن اهتموا بالدراسة الاجتماعية يؤكدون أن سكان المدن هو خليط من الأجناس والأعراق ومن أصحاب هذا الرأي وليم شلر الذي قال: «مدينة الجزائر لا تستثنى من هذه القاعدة، وليس لها أي تاريخ يميزها عن باقي مدن البربر، وبقايا الأجناس التي غزت هذه البلاد عبر العصور، والمهاجرين من الأندلس والترك»[2].

أما حمدان بن عثمان خوجة صاحب المرآة، فيقسم سكان الجزائر حسب مواقعهم الجغرافية وفي هذا الصدد يقول:« فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون، أصلهم من الشرق وينحدرون من قبائل عربية مختلفة، أما الذين يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة المنحدرة فهم البرابرة الحقيقيون أو القبائل الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب والفرق واضح بين اللغتين»[3].

أن هذه النظريات المختلفة للمجتمع الجزائري لم تنقص من ترابطه وتآزره قبل ومجيء الأتراك العثمانيون ويظهر ذلك عند التفاف السكان كلهم لدرء الغزو الابيري عن السواحل الجزائرية.

---

[1]- سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص 83.

[2]- شالر (وليم)، مذكرات، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص79.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص53.

قدر عدد سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني بين ثلاثة ملايين وأربعة ملايين نسمة، إلا أن تقديرات القادة العسكريين الفرنسيين أقل من ذلك بكثير، بحث نجد تقرير بوتان لسنة 1808م قدر سكان الجزائر بأنه لا يقل عن 2800000 نسمة لا يفوق عن 3000000 نسمة، أما شالر فقدر سكان الجزائر سنة 1822م بـــ 1870000 نسمة، بينما بيرو فقدرهم بـــ 2500000 نسمة، واللجنة الإفريقية قدرتهم عددهم ما بين 2000000 و4000000 نسمة، ولكن حمدان بن عثمان خوجة فقدر عدد سكان الجزائر ب10000000 نسمة، ويعتبر الوحيد الذي أعطى هذا الرقم الكبير[1].

فما هو منحى بايلك قسنطينة من هذه التقديرات؟

فعلا، بايلك الشرق هو أكبر الأقاليم مساحة وسكان فكان يستقطب أكبر عدد من السكان .وكان يضم 5/2من سكان ايالة الجزائر، الذي قدر بـــ 120000 نسمة حسب ما ذهب إليه ياكونو (Yacono)[2]، والظاهرة البارزة في هذا الصدد أن القبائل المشكلة لهذا البايلك كثيرة السكان[3]،أن سكان بايلك قسنطينة كانوا ريفيين بنسبة 95% من مجموع السكان[4]، فسكان المدن كانوا لا يمثلون سوى 5% من السكان.

وأهم هذه المدن نذكر قسنطينة عاصمة البايلك فقدر عدد ساكنها 25000 نسمة، ومدينة عنابة التي قدر عدد سكانها بـــ 3000 نسمة أما مدينة جيجل فقدر عددهم بـــ1800 نسمة وبجاية التي قدر عدد سكانها بـــ 18000 نسمة ومدينة القل بتعداد

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان 2000، ص566.

([2])- Yacono (x), Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830, in R.A, N° 98.1955 p277.

[3]- وقدر شالر سكان مدينة قسنطينة وحدها ب 25000نسمة.أما "نوا" الذي كان قنصل أمريكا في تونس،فقد قدر سكان قسنطينة سنة 1813 ب 60000 نسمة وقال أن الحياة فيها آمنة والمعيشة رخيصة وسكانها مهذبون، وقال احمد الانبري، مؤلف كتاب (علاج السفينة في بحر قسنطينة) أن سكان هذه المدينة قد بلغوا 40000 نسمة، هذا بطبيعة الحال بعد الاحتلال الفرنسي لها وفرار بعض العائلات منها ومقتل عدد كبير من سكانه.

[4]- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص76.

سكان يقدر بـــ 1000 نسمة وتبسة وبسكرة وزمورة وميلة وسطيف لا يتراوح ما بين 2000 و3000 نسمة[1]، وقد لعبت هذه المدن دورا حضاريا بارزا في بايلك قسنطينة[2] إبان العهد العثماني.

سكان المدن: تتكون المدينة من عناصر متمايزة ومتباينة في نشاطها وحياتها والنظم التي تتحكم فيها فالمدينة كما يقول أبو القاسم سعد الله تتكون من فئات اجتماعية متمايزة وكل فئة تتميز عن الأخرى من حيث وضعها الاجتماعي ونشاطها الاقتصادي وعلاقتها بسلطة الدولة[3].

ومن هذه الفئات يوجد :

فئة الأتراك:

تشكلت النواة الأولى لهذه الفئة منذ استقرار العثمانيين مناطق البايلك، وبلغ تعدادهم حوالي 5025 عائلة أي 39100 عنصر[4]،وتتكون أساسا من جند الانكشارية ومن المتطوعين الذين كان الداي يعزز بهم إقليم البايلك. وتميز العنصر التركي العثماني بالانضباط والطاعة، ويتسمون بالقناعة والشرف والكرامة، ومن النادر أن نجد سارقا او قاتلا من بين الجنود الاتراك فهم يحترمون عادات أهل البلاد ويحبب أنفسهم للسكان ويخفون مساوئهم لأن مستقبلهم متوقف على حسن سيرتهم بسبب ارتباط ذلك بترقيتهم في مناصبهم[5]، أما هايدو (Haedo)[6] فقد وصف علاقتهم بالسكان بالعداء، وازداد عددهم بعدما استقرت الأوضاع في الإقليم.

وللتنويه إن هؤلاء العثمانيين لم يكونوا كلهم من بلاد الأناضول، بل كانوا يأتون من الدول الأوربية التي احتلتها الدولة العثمانية من اليونان وبلاد البغدان ومنطقة

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص568.

[2]- اندري برنيان، اندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح،منصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص202.

[3]- فلة القشاعي الموساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1990، ص24.

[4]- Isabelle Grangaud, La ville imprenable une histoire sociale de Constantine au18è siecle, blida, 2010, p183.

[5]- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 119.

[6] - Haedo (Fray deego), Histoire des rois d'Alger, A. Jourdan, Alger, 1881, p219.

البلقان ويدعون بالأعلاج، واتخذوا الجزائر وطنا لهم ليحققوا أغراضهم المادية وطموحاتهم[1]، ومعظمهم كان يمارس التجارة والحرف والعمل في البحر، واستقر هؤلاء في المدن الساحلية مثل عنابة وبجاية والقل من بايلك الشرق[2]، وأهم العناصر الحاكم في البلاد وعددهم قليل ببايلك قسنطينة، مقارنة بدار السلطان، وقد كانوا يؤلفون فرق الجيش ويقدمون خدمات مفيدة لهم ويدعمون الفرق المرابطة في المراكز المتقدمة، واستقر الحكم العثماني في بايلك قسنطينة، كما كان الاتراك العثمانيون يتميزون بالصرامة والعنف فيما يخص امتيازاتهم التي كانت كثيرة، وأن العنف الذي تميز به سلوك الاتراك يمكن إرجاعه الى مصالحهم المادية خاصة بين القوة العسكرية البرية والبحرية، وهو مرتبط أساسا بمدى التحكم في السلطة[3]، ومن بين 68 عائلة مسها الاحصاء ثلث منها من أصل تركي [4]. وكان الاتراك العثمانيون الاثرياء يقيمون في الاحياء الراقية وسط المدن وفي الاحياء التي تكثر فيها الانشطة الاقتصادية وحول قصر الباي، وكان الجنود العثمانيون المقيمون خارج المدينة يشكلون الحاميات العسكرية، رغم ذلك كانوا أكثر انعزالا عن المجتمع الجزائري مقارنة بالفئات الاخرى ويرجع ذلك الى اختلاف عاداتهم ونمط معيشتهم[5]، وكانوا يحظون بالامتيازات خاصة أصحاب الوظائف العليا.

فئة الكراغلة (Kolûgli):

سعى الاتراك الى توطيد علاقتهم بالسكان والتقرب منهم عن طريق المصاهرة خاصة الاسر العريقة وصاحبة الجاه والمال على الخصوص خاصة الاندلسيين منهم، الذين رأوا في العثمانيين غرضا لتحقيق طموحاتهم وتعزيز مكانتهم، والاسر القوية كذلك مثل

---

[1]- شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006، ص55.

[2] - Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger, 1518_ 1830, B. N. A, T3, 1986, p116.

[3] – ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص 116.

[4]-Isaballe Grangaud, OP.CIT, p183.

[5] – ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص 115.

أسرة المقراني بمجانة واسرة ابن القاضي بالزواوة [1] واسرة ابن قانة[2] بالزيبان، وقد استفاد العثمانيون من علاقة المصاهرة، وكانت المصلحة المشتركة تجمع بين الطرفين، والكراغلة هم الناتج عن زواج الاتراك بالجزائريات[3] إلا أنهم قليلو العدد مقارنة بعدد الكراغلة في دار السلطان، يقول حمدان خوجة في المرآة: «لم يعد يطلب من أعين البلاد آراؤهم، كما أن أهم المناصب في الدولة والوزارات ووظيفة خوجة الخيل لم تعد تعطى أي للأتراك لان الكراغلة طردوا من الحكم على الرغم من أنهم كانوا فروعا لهؤلاء الأتراك أنفسهم» ويروي بعد ذلك قصة عن سبب هذا التصرف، إلا أننا نلاحظ أن عصمان باي[4] وحسين باي ولد صالح باي [5]واحمد باي[6] كانوا كراغلة[7]. وصلوا وصلوا الى المراتب العليا في البايلك وتمكنوا بالظفر لحسن سيرتهم وثقتهم مع داي الجزائر والملاحظ ان اقليم قسنطينة اكثر حظا من هذه التعيينات[8] .

فئة الحضر:

[1] —تزوج حسن بن خير الدين ابنة ابن القاضي، لنيل دعم الاسرة في تأمين منطقة القبائل.

[2] — تزوج احمد القلي بنت بن قانة للسيطرة على منطقة جنوب قسنطينة وتمكين اسرة بن قانة في الحكم لضرب قبيلة الذواودة وقبائل بني جلاب وقد استفاد العثمانيون من علاقة المصاهرة وكانت المصلحة المشتركة تجمع بينهما

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص43.

[4]– عصمان باي: كرغلي من أولاد قارة محمد بن عثمان الكبير باي وهران، خلف أباه على بايلك وهران، خمس سنوات وفي عام 1799 عزل ونفي إلى البليدة لمدة عامين ثم اعفي عنه وعين على بايلك قسنطينة وعين الملياني خليفة له وبن كوجك علي باش كاتب وحاج احمد الأبيض قائد الدار وبن شندرلي إبراهيم آغا الدايرة وأبناء بن زكري باش سيار وباش شاوش.

[5]– حسين باي ولد صالح باي: شهدت منطقة قسنطينة اضطرابات حين دخلت جيوش تونس واحتلتها واحتلتها لمدة ثلاثين يوما وفي حينها تدعمت القوة العسكرية بدعم من باشا الجزائر فدحرت جيوش تونس ورجعت خائبة وعندها تقرر متابعة الجيوش التونسية في أراضيها بدعم من باشا الجزائر لكن الخيبة طالتهم وعادوا خائبين إلى قسنطينة وعندها كثرت الوشايات علي حسين بن صالح باي فقتل شنقا في الجزائر سنة1223هـ الموافق ل1807م.

[6]– تولى منصبه سنة1241هـ الموافق ل1826م فساد الفساد في قسنطينة واشتهر الأتراك بالظلم فقام الباي بدراسة أحوال البايلك وعمل على تضميد الجراح وتهدئة الأوضاع وشهدت له الأيام بمقاومته الجيش الفرنسي منذ1246هـ الموافق 1930م.

[7]– حمدان بن عثمان خوجة، 154.

[8] – محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة،ص76.

وتظم هذه الفئة الأشراف والأندلسيين والأعيان الذين ولدوا في المدينة وترعرعوا فيها عبر المراحل التاريخية لكل مدينة، ومن الأمازيغ والعرب وحتى من الأعراق الأوربية[1] وانضم إليهم الأندلسيين خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد نتيجة سياسة الاضطهاد الأيبيري للمسلمين[2] و أهم هذه العائلات، عائلة الفقون وعائلة عبد المؤمن وعائلة ابن باديس وابن البجاوي وابن جلول وباش تارزي وابن حسن وابن نعمون وغيرهم هذا في قسطينة وعائلة مرداس في عنابة[3]، وهي عائلات غنية (غنى الأرض والتجارة والعلم والثقافة)، يشتغلون في الصناعة والتجارة والتعليم، ويشرفون على تنظيم شؤون المدينة، واحتلوا أهم المناصب في أجهزة الحكم في البايلك، ونفس الملاحظة والكلام ينطبق عل مدينة عنابة وبجاية، فالمدن الساحلية استقطبت الأندلسيين والمسيحيين واليهود لقربها من التفاعلات الاقتصادية والحركة الاجتماعية كما أتيحت لهم مناصب، مثل الباي رمضان تشولاق[4] وفرحات باي [5] ومحمد بن فرحات واحمد بن خوجة باي ابن محمد بن فرحات حمودة باي، واحمد باي المملوك 1818م[6]، وعلي باي بن حمودة وغيرهم ويحتلون مناصب في ديوان الأوجاق[7]، وركب الحجيج والمجلس الشرعي الديني لبايلك قسنطينة مثل ما قام به حسين باي بن

---

[1]- أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص 55.

[2]- وليم شالر، مصدر سابق، ص79.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص507.

[4]- محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص43.

[5]- كان ذا عقل ودار كبيرة، فاتفقوا عليه، وخبروا حضرة الباشا به فكتب له الأمر، وأرسل له القفطان، وفوض له الأمر، وأعانه بما يحتاج إليه فدخلوا الناس تحت طاعته، وأذعنوا لحكمه، وأذهب الله الفتن، والغلاء وكثر الرزق ونزلت العافية ولم يبقى واحد من الرعية إلا ودخل تحت طاعته وعظم عائلة ابن الفكون التي وقفت إلى جانبه منذ البداية وحثت الناس على طاعته.

[6]- اسمه احمد باي، ولم يكن واحدا من المماليك تولى باي في زمن الترك إلا هذا لان حسن باشا قصد قصد من ولايته نقمة في الترك لكونه من غير جنسيتهم، انظر محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، ص109.

[7]- لفظ تركي معناه الأصلي:المكان المعد من الطين أو القرميد، الذي تنفخ وتشعل فيه النار.وتطور مدلوله ليطلق على الجماعة التي يتواجد أفرادها في مكان واحد، ثم على مجتمع أرباب الحرف، ليصبح في العصر العثماني لقبا لأصناف جند السلطة الذين تشكلت منهم القوات "البرية والبحرية". ومن هنا،فان كلمة: أوجاقات، أو أوردي همايوني، اصطلاحا يقصد بها الجيش العثماني، وبحسب التشكيلات العسكرية العثمانية المذكورة في قانون نامة.

حسن بوحنك استمال إليه خصوم صالح باي[1] وتقريبه منه، وهذا ما يجعلنا نقر بان أعيان البايلك كانوا يشاركون في مقاليد السلطة المحلية في بايلك قسنطينة .

فئة اليهود:

لم يكن اختيار اليهود للجزائر صدفة مثل الاتراك العثمانيون بل فضلوها عن غيرها من البلدان، لما وجدوا فيها من أمن وعدل وحرية [2]، وقد بلغ عدد يهود بايلك قسنطينة حسب بعض التقديرات 5000 يهودي[3]، من بين 30000 يهودي على مستوى ايالة الجزائر[4]، كانوا يشكلون ملة مميزة معترف بها، واليهود في الجزائر العثمانية لم يكونوا حديثي العهد بل قدماء عند التحاقهم بشمال إفريقيا في القرن الثامن قبل الميلاد بعد أن تشتت صفوفهم في المشرق.

أما الفئة الجديدة فقد نزحت من أوربا الجنوبية بداية من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي[5] وعرفت حواضر إيالة أعداد كبيرة منهم وخاصة المطلة على البحر الابيض المتوسط ومنها بايلك قسنطينة، والدراسة الحديثة التي قامت بها الباحثة إزابل قرانقو (Isabelle Grangaud) قدرت عدد اليهود في بايلك قسنطينة ب 1000 عائلة يهودية [6]، وكانت لهم تقاليدهم وعاداتهم، ونظرة المجتمع إليهم نظرة متميزة نظرا لطبيعة سلوكهم، فملبسهم جلباب ذو أكمام عريضة وحزام عريض وخناجر كبيرة جميلة، وفي الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند ادني الركبة وأحذية توضع دون لمسها باليد ويلبسون دائما غطاء على الرأس ويبدو أن المرأة اليهودية يسمح لها بحرية الخروج بين العامة[7]، كما كان اليهود أثناء حكم العثماني يخضعون لقائد يعرف

---

[1]- عين محمد الشريف والد احمد باي خليفة، ورضوان قائد الدار وبن جلول بن سالم، باش كاتب،بن زكري باش سيار، وعين في منصب باش سايس أعوان آخرين من العائلة نفسها كذلك فعل حاج مصطفى انجليز باي وكذلك ما قام به عصمان باي والملاحظ أن بايات قسنطينة كانوا يولون المناصب الديوان للعائلات الفاعلة وللمزيد ارجع لمحمد صالح العنتري تاريخ قسنطينةص85-86-87.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة،مصدر سابق،ص .109. للمزيد ارجع ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص131 وما بعدها.

[3]- اندري برنيان وآخرون، مرجع سابق، ص203.

[4]- مرجع نفسه، ص211.

[5]- ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص 64.

[6] -Isabelle Grangaud, OP.CIT, p183.

[7]- وليم سبنسر، مصدر سابق، ص 84.

بالمقدم، يكلف بجمع الضرائب والرسوم والمطالبين بها وينال مقدم اليهود منصبه هذا مقابل تقديمه رسما للتولية يقدر بـــ 1000 فرنك فيساهم فيه جميع أفراد الجماعة اليهودية، وغالبا ما تتضاعف رسوم التولية التي يحصل عليها البايلك، والخاصة من مقدم اليهود بعد أن أصبح هذا المنصب يتداول عليه شخصان في العام الواحد، وبالإضافة إلى ذلك كان يحصل من اليهود على 500 فرنك إذا وافق موسم عيد الفطر يوم السبت.الا انهم كانوا يخضعون في احوالهم الشخصية لقوانينهم الدينية [1] واليهود غير قابلين للاسترقاق، وتفرض عليهم ضعفي الضرائب المستحقة على جميع أنواع البضائع المستوردة من الخارج، وكما هي عاداتهم في بلدان أخرى يمارسون جميع فروع التجارة، وهم يحتكرون في هذه البلاد السمسرة واعمال المصارف وتبديل العملة [2]، وكثيرا ما كانوا يشعلون نار الفتنة بين الأهالي كتلك التي أفتى فيها الشيخ الفكون.

فئة الدخلاء:

وتتكون من الأقلية المسيحية والعبيد والأسرى والقناصل وموظفي القنصليات ووكلاء المؤسسات التجارية وقساوسةو الارساليات، والتجار، و قد عرفت بازدياد عددهم بداية من أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي نتيجة الازدهار الاقتصادي الذي شهدته المدن الجزائية وخاصة بايلك قسنطينة، وكان الدخلاء تحت اشراف قناصلهم الذين يتوكلون عن الدفاع عليهم وحل خلافاتهم ومشاكلهم والاشراف على نشاطهم طيلة تواجدهم في الجزائر[3]، وبلغت تقديراتهم بـــ6000 عائلة[4] وكانو يتمركزون في المدن الساحلية مثل بجاية وعنابه وجيجل، وازداد عددهم عددهم في أواخر العهد العثماني بسبب قلة الغزوات البحرية وتقلص عدد الأسرى ورواج التجارة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط والانقلاب الاقتصادي الذي شهدته

(1) –ارزقي شويتام، مرجع سابق،ص132.

(2) –وليام شالر، مصدر سابق، 89.

(3) –ارزقي شويتام،مرجع سابق،ص138. انظر:

-E.Watbled : "apecu sur les premiers francais dans le levant et les Etats barbaresques", in R.A, n°16, 1878, p23.

(4) – Isabelle Grangaud, OP.CIT, p183

السواحل الجزائرية خاصة عنابة وبجاية وسكيكدة وازدهار تجارة المرجان في سواحل الشرقية منها القل وعنابة [1].

فئة البرانية:

وتشمل الجزائريين الذين هاجروا إلى المدن الكبرى واشتغلوا بالحرف كالبساكرة والأغواطيين وبني ميزاب والشعانبة والزواوة بنو مرداس في عنابه[2]، وبعض العناصر من القبائل العربية، يقول شالر:« ...وبهذه الطريقة خلت من سكانها كلية تقريبا،سهول عنابة بولاية قسنطينة،بسبب نزوح القبائل العربية عنها نتيجة لما تعرضوا له من الاستبداد الذي لم يكونوا يطيقونه، وفي الحالة الأخيرة، التجأ العرب إلى مملكة تونس...» [3] يقول ناصر الدين سعيدوني:« أما الجانب السلبي لتغيير البناء السكاني لعنابة، فهو ناتج عن قدوم الجماعات السكانية التي كانت تعيش بضواحيها، ومع مرور الوقت بدأ عدد كثير من أفراد هذه الجماعات يستقر داخل المدينة، وكانت هذه الجماعات في اغلبها تنتمي إلى قبيلة مرداس العربية التي قدمت مع الهجرة الهلالية إلى سهول عنابة منذ القرن الخامس الهجري، وكانت آنذاك ما تزال على حالة البداوة والخشونة، مما ترك أثرا سيئا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لعنابة وبالخصوص ما يتعلق بالنشاط الزراعي بفحصها في ضعف وقلة عمارة» [4] ومن هؤلاء من كانوا موسميين ومنهم من كان مستقرا في سكنه وعمله، كانت مدن بايلك قسنطينة مراكز مشعة للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، فالتجار والصناع كانوا يعملون جنبا إلى جنب مع الطبقة الحضرية السائدة وبالخصوص في المدن الكبرى حيث كانت تلك الطبقة قوية التأثير من حيث العدد وهي تراقب أحواز المدن الكبرى مثل الجزائر وتلمسان ومعسكر وقسنطينة، حيث كان الباي والأعيان والتابعون للمخزن

---

[1]- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في فترة 1792-1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص276.

[2]- سعيدنوي (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، الجزائر في العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص-ص99- 104.

[3]- شالر (وليم)، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824متعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، 1982، ص109.

[4]- نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص508.

يملكون حسب إبراهيم باي[1] أكثر من 83 منــزلا في تلمسان وقسنطينة. ففي مدينة قسنطينة صناعة الجلد لوحدها تتوفر على 33 معملا للصباغة و75معملا للسراجين و167 للاسكافيين حيث يستغل حوالي 310 إلى 480 عاملا (أكثر من 10 من المائة من اليد العاملة الفعلية)[2].

وكان "ربض الكدية" خارج سور المدينة يقيم به الصناع بجانب الفنادق واصطبلات الباي، وهنالك 18 مخزن لتوزيع الخبز على الجيش وبجانب الطواحين الهوائية هنالك 22 طاحونة مائية توفر الدقيق للفلاحين ويضاف إلى ذلك معمل الأسلحة التابع للباي الذي يشغل العشرات من العمال ومعامل الصوف والمعادن [3]، وكانت لهذه الفئة دور اقتصادي واجتماعي خاصة فيما يخص نشاطهم في تنظيف المدن والعمل في ورشات الصناعة.

سكان الريف:

لأن طبيعة حياة سكان الأرياف متميزة كان الريف القسنطيني يضم 95% من سكان البايلك، والإشكال الذي يطرح بحدة هو: ما هي المنهجية الأكثر توافق لدراسة المجتمع الريفي نظرا لتعدد أقاليمه واختلاف أنشطته وتباين مستوى معيشته؟ لذلك نتبع منهجية نراها ابسط وأحسن نتوصل بها إلى تحقيق نظرة تقريبية لحقيقة الموضوع، وتتمثل في النشاط الاقتصادي والاجتماعي للقبائل وتفاعلها مع سلطة البايلك.

ونظام الريف قبلي، لأن الإطار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والروحي الذي يجمع الأفراد، لذلك حري بنا أن نجعل دراستنا في هذا الإطار التنظيمي المتمثل في علاقات القبائل في بايلك قسنطينة وتفاعلها الاجتماعي والاقتصادي وتأثيراتها باختلاف أنواعها.

---

(1)- نصب إبراهيم بوصبع بايا على قسنطينة يوم 28 من ذي الحجة 1206هـ الموافق ليوم 21 أوت 1792م وفي ليلة محرم 1207هـ الموافق ليوم 23 أوت 1792م، هجم عليه صالح باي ورفاقه وقتل هو الرجال الذين جاء بهم من الجزائر، وعاد صالح باي إلى السلطة مرة ثانية ولكن لمدة عشرة أيام فقط.

(2)- اندري برنيان وآخرون، مرجع سابق، ص204.

(3)- المرجع نفسه، 205.

هؤلاء السكان ينقسمون إلى اعراش وقبائل يشرف عليهم قائد أو شيخ كبير يتم تعيينه من طرف الباي[1]، والقبيلة تنقسم غلى فرق والفرقة بدورها تنقسم إلى دواوير التي تجمع عدة خيام، وينقسم الدوار إلى عائلات والتي يتولاها رئيس البيت[2].

الحياة الاجتماعية و الاقتصادية

إن الحياة الاجتماعية والاقتصادية كانت لها طابع مميز في الريف بحسب الموقع الجغرافي التي تقطن فيه كل قبيلة، ومن هنا نلاحظ عدة فئات ومظاهر اجتماعية، أما السكن في الأرياف فكانت متمايزة منها القارة، ومنها المتحولة كالخيام وهي عند البدو، تكون المشاتي أما البيوت القارة فكانت تسمى الحوش، وتتكون من مجموعة من الأكواخ منها الخشبية ومنها ما يبنى باللبن، وكان تأثيث المنازل بسيط وهي ما تجود به النسوة والحرف اليديوية البسيطة من أعمال[3]، أما أكواخ الفلاحين فقد كانت لا تتوفر على أثاث، إذا وفروا لباسهم فهم يتداينون لدى الإقطاعيينن الذين يخضعون إليهم، وكان معاشهم من الكسكس والكسرى والموالح في الزيت والقصوة والتبغ وشيء من اللحم، وفي الجنوب كانت قبائل البدو تظم اهل الواحات اللذين دخلوا نظام الخماسة .

ولم تكن اسس المجتمع دينية فحسب وإنما هي معطيات تعليمية وتنظيمية وتشريعية وعلاقات اجتماعية موضوعية، وكانت فلاحة الحبوب وتربية المواشي تمكن أصحابها من استغلال العروش التي ترجع إليهم أو بعض قبائل الرعية أو إلى المخزن، وكانوا يضعون المعاهدات بينهم وبين كبار الفلاحين في موضوع المراعي العشبية، وهو ما يسمح لهم بجلب الماشية للرعي في الأراضي مقابل عملهم وتتميز بهذا النظام منظقة الهضاب العليا حيث الأراضي الواسعة لفلاحة الحبوب وهي أوفر ريحا وأكثر اتساعا[4].

كانت الحياة الثقافية الإسلامية هي الرابط بين أفراد المجتمع بنسبة 99% من السكان لأن الأقليات اليهودية والمسيحية كانت تمثل نسبة قليلة من مجموع سكان بايلك في الريف، لأنهم كانوا يستقرون في المدن الكبرى ، ويرى روزيت (Rozet) في

---

[1]- أندري برنيان، مرجع سابق، ص119.

[2]- المرجع نفسه، ص226.

[3]- المرجع نفسه، ص209.

[4]- القشاعي (فلة موساوي)، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا اواخر العهد العثماني 1771-1837م، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، الجزائر، 1983، ص49.

كتابه رحلة في البلاد الجزائرية سنة 1833م ان هذا الشعب له من التربية ما قد يفوق الشعب الفرنسي، فكانت أغلبية الناس تعرف القراءة والكتابة، وهو كذلك رأي فلسين أستير هازي عندما يذكر ان نسبة غير المتعلمين كانت اقل من ما كانت عليه في فرنسا تتجاوز نسبة 40% والشاهد على ذلك توقيع الناس إمضاءاهم في دفاتر الحالة المدنية باللغة العربية في السنوات الاولى من الاحتلال الفرنسي، فكان الأطفال يتعلمون في الزوايا والمساجد ويتلقون حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية ثم يتولون تعليمهم بأنفسهم، وكانت ميزانية هذه المؤسسات هي من عوائد الحبوس والوقف التي تشرف عليها الفرق الدينية.

السكن

إن السكن في الأرياف متمايز، فكان المخازنية والبدو بالجنوب يسكنون الخيام المكونة من "الفليج" وهي قطع من الصوف تقوم النسوة بنسجها من إنتاج الحيوانات وتغطي بها مساحات كبيرة وهي غالية السعر (عدة مئات الآلاف من الفرنكات) وكان المشتى يتركب من الخيام الأقل ثمنا وهي مساكن الخماسة والعمال في "الأحواش"، وأحيانا يتركب من الأكواخ من الخشب أو القصب وكان تأثيث المنازل رفيعا في الديار والخيام لدى الأغنياء الذين نعموا من عمل النسوة والعبيد ومن الأموال الخارجة من عوائد الأرض وعملهم[1].

الحياة في المدينة:

وكانت المدن الكبرى مراكز دينية وثقافيةوخاصة مدينة قسنطينة[2]، ومن أهم المنشآت الدينية في البايلك نذكر في مدينة قسنطينة التي ذكرها الرحالة الورتلاني في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، أنها تظم خمسة مساجد جمعة متقنة البناء[3]، وبلغ عدد الزوايا في مدينة قسنطينة لوحدها ستة عشر زاوية، وبلغت زوايا

---

(1)- فلة القشاعي موساوي، الريف القسنطيني، مرجع سابق، ص209.

(2)- المرجع نفسه، ص213.

(3)- اشهر هذه المساجد الجامع الكبير فقد بناه الباي احسن بو حنك كانت منارته تبلغ خمسة وعشرون مترا وعند بابه لوحة منقوشة وجامع السوق الغزل فقد بناه الباي حسين بوكمية وهو جامع للمذهب الحنفي جميل الشكل والهندسة وجامع سيدي الكتاني فقد بناه صالح باي وبنى جامع آخر في عنابة وجامع القصبة وجامع سيدي علي بن خلوف.

بجاية وزواوة خمسون زاوية[1]، وبلغ عدد المدارس في مدينة قسنطينة حوالي تسعون مدرسة عند الاحتلال الفرنسي لها[2]،« وكانت عملية الإشراف والتعاون والإدارة التشريعية تتلقى المدد المالي من عوائد الحبوس ،وهناك العديد من الزوايا التي أخذت على عاتقها مهمة جمع الزكاة وإعانة المساكين وإعانة المرضى والعجزة، وكان الحبوس عمدة في إنقاذ من كانوا لا يجدون قوتهم وبدونها يهلكون»، وكان العديد من شيوخ الزوايا يداوون المرضى بالطرق التقليدية البدائية باسم البركة. مثل الأدعية والأحجبة وبصاق الأولياء وتمائم والسحرة والمشعوذين[3]، كان المظهر الإسلامي للمجتمع بارز الوجود في خاصية المساواة والتسامح وهو ما يعود إلى المفهوم الديني للتنظيم الاجتماعي.

القضاء:

ففي ميدان القضاء كان لكل مجموعة محاكمها الخاصة تدير شؤونها، فالأتراك يمثلون أمام القضاة من الحنفية وأما عامة الناس فيرجعون إلى القاضي المالكي، والمزابيون يعودون إلى القاضي الأباضي[4] ، ويعود اليهود[5] إلى الرباني، وفي حالة التراعات بين مجموعات مختلفة يختار المسلمون القاضي الذي يرونها صالح لقضيتهم، والحالة الوحيدة التي يمثل فيها المتهم أمام القاضي المسلم هي حالة قتل مسلم أو يهودي[6]، ولم يكن

[1]- Féraud, (ch)," Tournée dans la Province de Constantine ",in R.A, Vol 12, 1868 , p47.

[2]- وقد ذكر فايسات أن مساجد قسنطينة قد بلغت حوالي مائة مسجد وزاوية، أما "إمريت" فقد اخبر أن عدد مساجد قسنطينة قد بلغ 35 مسجدا. وجاء في تقرير الذي أعده روس والفرنسي غداة الاحتلال الفرنسي لقسنطينة سنة 1837 أنه كان بها حوالي مائة مسجد.

[3]- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج1، بيروت، ص167.

[4]- تجدر الإشارة أن اهل ميزاب ظلوا محافظين على مذهبهم ومدينتهم رغم وجود بني جلاب بتقرت والعثمانيين، وإذا كان عمالهم وتجارهم قد وجدوا طريق العيش في قسنطينة وغيرها من المدن فان انتاج علمائها ظلوا ينتجون في بني يزقن وغيرها من قصور غرداية والعطف وبنورة وبني يزقن ومليكة وسيدي سعيد.

[5]- كان يهود قسنطينة ألين، يصدرون الصوف والقمح والشعير والوبر وريش النعام والشمع والجلود والغنم والخيول والبقر والبغال والدجاج والخشب.

[6]- اندري برنيان وآخرون، مرجع سابق، ص 213.

هناك حائل يحول دون اليهود[1] أن يشرفوا على مدارسهم الدينية حيث يتعلمون الكتابة العبرية وبعض الحساب والتوراة فالتصرف في هذه المجموعات كان حرا بالنسبة للسود الذين كان يمثلهم قائد الوصفان وله الحق في الدفاع عن العبيد وكذلك بالنسبة للأباضية، ولم يكن هناك خرق لحرمة أهل الكتاب[2]؛ ومن هذا نستخلص أن الحياة الاجتماعية في باليلك قسنطينة تميزت بالحرية في الممارسة الدينية، واتسمت العلاقات بين فئات المجتمع بالتعايش والمسالمة.

المرأة و دورها:

إن الأوضاع الاجتماعية تجرنا للحديث عن المرأة باعتبارها نصف المجتمع فالسؤال المطروح ما هي مكانة المرأة ومترلتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي، وبطرح أخر هل كانت المرأة تأثير في المجتمع فما هي مظاهر ذلك؟

إن منـــزلة المرأة فهي سيدة بيت لكنها محجوبة عن الشارع ومحرومة من الشغل في المدن[3]، فالمسلمات في المدن لا يجدن حرجا في تكليف الرجل بالمهمات خارج البيت، يقول أبوالقاسم سعد الله «ولعل من سيئات العهد العثماني أيضا عدم إعطاء المرأة نصيبها من التعليم، رغم أن هذه المسالة ليست خاصة بالجزائر فالظاهرة إنها كانت فيها أكثر حدة.ذلك إن المرأة الجزائرية المسلمة كأنها كانت غائبة طيلة هذا العهد على الساحة السياسية» [4]، أما وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر فلم يذكر عن المرأة سوى اللباس والجمال وطريقة الزواج والتخطيط والتحضير له فيقول «والمرأة الجزائرية تعتني خاصة بشعرها... والمرأة الجزائر تلبس الحلي الثقيلة، بما في ذلك الخواتم والأقراط والأساور وخلاخل من الذهب والفضة» [5]، لكن هذا الحكم غير نهائي بل يسرد علينا أبوالقاسم سعد الله جملة من العلماء والنصوص على تعلم المرأة[6].

---

(1)-وليم شالر، مصدر سابق، ص38.

(2)- المقصود بهم اليهود دون المسيحيين.

(3)- اندري برنيان وآخرون، مرجع سابق ص211.

(4)- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص336.

(5)- وليم شالر، مرجع سابق، ص85.

(6)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ص337.

وكثيرا ما لعبت المرأة دور اجتماعي وسياسي مثل ارتباط القبيلة بسلطة البايلك ومثال ذلك المصاهرة التي تمت بين احمد القلي وصالح باي[1]، عموما فالتعليم كان يتمحور حول القرآن الكريم ودراسته وحديث ولغة القرآن وبعض العلوم الدنيوية والحساب الأخرى، واعتمد على اللغة العربية وحدها.

الواقع الصحي:

وكان للوضع الصحي وعدم اهتمام السلطة به[2] وتردي الأحوال الاقتصادية تأثيرا كبيرا على عدد السكان، حيث ظل عددهم في تناقص مستمر وقل النمو السكاني[3].

وما نستنتجه أن تناقص عدد السكان بتلك الصورة كان ناتجا عن إهمال السلطة للجانب الصحي وكثرة الثورات والكوارث والهجرة والأوبئة.

كما أن التنوع العرقي في البايلك، آنذاك وتنوع العادات أدى إلى التنوع في الكثير من المجالات، أي أنه كان إيجابيا، من ناحية وكانت له سلبيات، تمثلت في تدخل اليهود والأوربيين في الاقتصاد، الشيء الذي كان له الأثر البارز في التمهيد للانتفاضات الشعبية.

رغم هذا التقسيم في تشكل البنية الاجتماعية هناك عامل مشترك ساهم بعدة أوجه في ربط فئات غير متجانسة اجتماعيا منها الوازع الديني والمصير المشترك والعادات والتقاليد التي كانت فوق كل الاعتبارات في تماسكه وترابطه[4]، فرغم الاضطرابات الاجتماعية أدت إلى تراجع المردود الفلاحي وهجرة السكان عن نشاطهم بسبب إرهاقهم بالضرائب والإجحاف الذي شاهدوه من السلطة وتراجع الوضعية الاقتصادية بسبب الكوارث الطبيعية مثل الجفاف، والجراد سنوات 1774 و1780 و1815

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص305.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ص-ص 111-124.

[3]- Fella (Moussaui El Kechai): situation démographique et sanitaire du Beylik de Constantine 1771-1837 in Arabe historical review for othman studies n°17-18،fondation temimi pour la recherche scientifique et l'information، zaghouan، Tunis sep 1998، pp 64، 65، 66.

[4]- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص146.

التفت المحاصيل الفلاحية وفقد الفلاح غذاءه وبذوره وحيواناته و لم تتوفر لهم أي تغذية سوى اللجوء إلى جذوع الأشجار يسلقونها ليتغذوا بها[1].

الأوضاع الاجتماعية للسكان كانت متمايزة من منطقة لأخرى وذلك بحسب نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي، فهناك سكان مستقرون تتميز بهم المناطق الشمالية أو الإقليم الساحلي البحري يضاف إليهم سكان المدن والحواضر والواحات والقصور الصحراوية تتوفر لهم الشروط المناسبة ويسكنون الخيام أما سكان المدن والمناطق الشمالية كانوا يسكنون المنازل المغطاة بالقرميد الأحمر والأكواخ المبنية بالحجارة والطين وتكون مغطاة بالديس* والطين والتبن وتشكل هذه السكنات مجتمعة وحدة اجتماعية واقتصادية متكاملة تعرف بالدشرة أو الدوار.

التعليم

وما نلخصه أن التعليم حتى 1830 انه كان متروك للوالدين أو للمؤسسات الدينية، أما تمويله فقد كانت تتكفل به الأوقاف الإسلامية وكان مجانيا، ورغم تدعيم الحكام الأتراك للتعليم أحيانا بالتبرعات والأوقاف وبناء المساجد أحيانا إلا أنها كانت مبادرات شخصية[2]، فالعثمانيون لم تكن لهم في الجزائر سياسة للتعليم ولا خطة رسمية لتشجيعه وتطويره وتوجيهه إلا أن ذلك لم يمنع من طلب العلم بل تركوا الحبل حسب تعبير أب والقاسم سعد الله[3]،

الواقع الاقتصادي:

كان إقليم قسنطينة في ذلك الوقت بلد فلاحي بالدرجة الأولى أتيح له ذلك مناخه وتربته وإمطاره وأقاليمه المتنوعة، فالمراعي الشاسعة، والسهول الفسيحة تنتج كميات

*– من نباتات البحر الأبيض المتوسط يستعمل كغطاء على أسطح المنازل والأكواخ

[1]– فلة موساوي-القشاعي،الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)،أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2003-2004، صص 298-299.

(*) – نبات ينو في حوض البحر المتوسط يستعمل كغطاء على اسطح الاكواخ والمنازل.

[2]– أنشأه صالح باي بن مصطفى الداي تولى حكم قسنطينة من عام 1185 إلى عام 1207هـ/ 1771-1792 م كما أنشأ بجانبه المدرسة الموجودة إلى اليوم في عام 1202هـ. وجامع الباي حسين أيضا من أهم مساجد المدينة وهذه المساجد كانت مراكز للتعليم والعبادة.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص321.

هائلة من القمح والشعير والصوف والشمع وتزخر مراعيها بتنوع الحيوانات مثل الأبقار والأغنام والماعز والبغال والحمير والجمال.

فنواحي جيجل وبجاية كانت تنتج الشعير والجوز والتين والزيتون وكثير من الجلود والشمع والشحم، وتمتد سهول عنابة على مساحة طولها أربعين ميلا[1]، وعرضها خمسة وعشرون ميلا وهي في منتهى الخصوبة تنتج جميع أنواع الحبوب[2]، أما الصحراء فهي سهل شاسع الرمال يرتفع قليل عن مستوى سطح البحر ولا تعرف له حدودا،فيه رقاع فسيحة مغطاة بالأعشاب تصلح للرعي في زمن الشتاء، وحيثما وجدت ينابيع المياه أو ساقية لاقيت قرية، وغابة من نخيل تزرع في ضلالها مختلف أنواع الحبوب وفي الصحراء تنضج السنابل في شهر مارس، والزيبان فيها أخصب الواحات وأكثرها عددامن السكان"[3].

الملكية:

أما أراضي الفلاحة فكانت ملكيتها تنقسم إلى عدة أنواع منها الملكية الخاصة وهي قليلة وتنحصر على أطراف المدن، وهي شبه إقطاعية، تستأجر للفلاحين ويقوم هذا الأخير بالعمل فيها ويدفع الديون المترتبة عليه للبايلك لكي تصبح من أملاك صاحب الملكية ويسكن القائم بالفلاحة في كوخ في المزرعة ويعطيه بقرة أو بقرتين حسب الاستطاعة والاتفاق ويعتني بالأرض وبالحيوانات مقابل عدة أرطال[4] من الزبد في فترة محددة وفي أخر السنة عندما تجنى المحاصيل يتقاضى الفلاح خمس المحصول بعد أن تخصم منه الديون المترتبة عليه ويدفع الباقي لصاحب الملكية.

ملكية مشاعة وهي أراضي العرش التي يستغله كامل أفراد القبيلة كل حسب طاقته، لكن الأسبقية تعطى للمعوزين حتى يتخلصوا من الفقر والفاقة، وإذا كان احد

[1]- كلمة ميل تأتي من اللاتينية MILIA passum (آلاف من الخطوات بصيغة المفرد: ألف passus)، في روما كان يدل على وحدة تساوي ألف خطوة (1 خطوة = 1،48 متر)، ميل الأرضي في نظام الامبراطوريه البريطانية يقابل 1760 ياردة و5280 قدم وبالضبط 1609،344 م، الميل البحري أو الميل البحري الدول(ميل بحري) طولة 1852 متر بالضبط

[2] - محمد العربي الزبيري،التجارة الخارجية للشرق الجزائري،ص ص 57،58.

[3] - Dureau de la Malle, la Province de Constantine, paris, 1837, p54.

[4]- يذكر حمدان خوجة أن الرطل الجزائري اكبر من الرطل في أوربا وهو يساوي حوالي كيلو غرام، حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 31.

أبناء القبيلة قادرا على العمل وهو لا يملك وسائل الإنتاج، فانه يشترك مع غيره أو يطلب المعونة من أقربائه الأغنياء حتى لا يضطر إلى الاشتغال لدى مالك من قبيلة أخرى وهو عيب كانت تخشاه القبيلة[1] .

أما أملاك البايلك فتشرف على تسييرها المصالح الإدارية بمساعدة قبائل المخزن وفي بعض الأحيان تعطى هذه الأراضي لأفراد أو لقبائل تستغلها مقابل اجر يتفق عليه[2] وعلى الرغم من أن السلطة لم تعتني بشؤون الفلاحة فان منتجات البايلك كانت تزيد عن احتياجات السكان [3].

كما عرف بايلك قسنطينة بمراعيه، حيث تربى الأبقار والماعز والأغنام[4]، واشتهر بغاباته، ولكنه تعرضت للتلف بسبب انتشار الحياة الرعوية[5]، كما عرفت باعتمادها على الصيد البحري على السواحل وصيد المرجان وهي الامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيون لمملكة فرنسا خلال القرن السادس عشر منذ عام 1529م حتى أواخر القرن (1597) وقد توسعت هذه الامتيازات خلال القرنين السابع والثامن من عشر في [6].

والجدول التالي يبين توزيع ملكية الأراضي:

نوعية الأراضي	عدد الجبدات*	المساحة الإجمالية بالهكتار	ما يؤخذ عليها بالقنطار
أراضي البايلك	13512	135120	2702400
أراضي العرش	2515	25150	503000
أراضي الملك	1500	15000	300000
المجموع	17527	175270	3505400

المصدر: القشاعي (فلة موساوي)، النظام الضريبي بالريف القسنطيني ، ص117، بتصرف.

(1)- محمد العربي الزبيري،مرجع سابق ،ص59.

(2)- Venture de Paradi ; "Alger au 18ém siecle"; inR.A, n°39, 1895, p286.

(3)- محمد العربي الزبيري،مرجع سابق، ص58.

(4)- المرجع نفسه، ص 59.

(5)- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 31.

(6)- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، م.ج.ط، الجزائر 1987، ص53.

* لجابدة تتكون من ثورين عادة ويختلف مردودها حسب المناطق المستغلة.

مؤسسة الوقف:

وهي من المؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا وتنفق مداخليها على هذه المؤسسات[1]، والحبس مرتبط بالجانب الديني والتعليمي ونحوهما من قضايا الديانة الإسلامية وكذا المرابطين ورجال الطرق الصوفيةونحوها من المرجعيات المتوفرة في طيات تاريخ الجزائر الثقافي الغزير بالعديد من المشارب التي تعبر عن التنوع الثقافي في الجزائر العثمانية، وكم سعت أطراف كثيرة في تزويد العديد من الزوايا بغرض تنشيطها وتزويدها ماديا ومعنويا من الطبقة الحاكمة باعتبارها ظلت إحدى المقومات الصامدة في وجه التغريب والتشتيت وهي التي قاومت الغز والصليبي الذي حرم الزوايا من أوقافها.

النشاط الحرفي

المقصود بالحرف هو النشاط الذي يمارس في مختلف مدن البايلك، كان أصحاب هذه الأنشطة ينظمون في هيئات تتولى كل واحدة صناعة نوع محدد من الأدوات والملابس التي يحتاج إليها السكان في حياتهم اليومية، ومن أشهر الصناعات، صناعة نسج الزرابي والأقمشة والصناعة الجلدية من الأحذية والسروج والمحازم والشواشي، كما توجد مطاحن للحبوب[2]، وتعدى ذلك حتى أصبحت أزقة وأحياء بكاملها لنجارين والحدادين والصباغين والدباغين والبلاغجية والشواشين، وكانت قسنطينة أهم المدن في البايلك تشمل وحدها على 33 معملا لدباغة الجلودو75معملا للسروج و176معملا للأحذية تستوعب 15% من اليد العاملة [3].

لقد تكونت هيئات تنظم الأنشطة والحرف والتي لم يزل يعظها قائما إلى ألان نذكر منها ما يلي:

النجارون والحدادون والصفارون (يصنعون الأواني النحاسية) والشقماقجية (صناعة الأسلحة وتصليحها) والسرارين (يصنعون الأجزاء الخشبية للأسلحة من بنادق وسيوف) والجلابون (تربية المواشي وتسويقها) والحواكون (يتولون صناعة الملابس والخيام والزرابي والأغطية) والفخاريون (صناعة الأواني الفخارية) وهناك في قسنطينة جمعيات

---

(1)- جمال قنان، مرجع سابق، ص 59.

(2)- محمد العربي الزبيري، ص63.

(3)- Féraud (Ch.) ; « Les corporation des métiers a Constantine avant la conquête Française » ;in R.A. T.16.1872 p70.

ثانوية أهمها جمعية البنائين والبياضين والزواقين والكواشين والجزارين والصوابنية والدخاخنية والقهاوجية والدلالين والكفانين والحفافين والصباغين والغرابلية والخياطين.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول إن قسنطينة لم تكن تعرف البطالة وإن اليد العاملة كانت تجد ما يناسبها من نشاط لتعدد الميادين المذكورة لكن هذه الأنشطة لم تخرج عن طابعها التقليدي وهذا ما جعلها تشهد ركود بسبب المنافسة القوية من طرف التجارة الخارجية الأوربية، فقد ظلت جد متواضعة ولا تتعدّى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات التحويلية، ويرجع الفضل في المحافظة عليها إلى بعض الأسر من الحضر الأندلسية واليهود وإلى بعض العائلات في قسنطينة وجرجرة وهذا عكس الصناعات المعدنية والثقيلة التي بقيت تعاني الجمود[1].

– التجارة:

كانت إما داخلية تتم عبر الأسواق أو خارجية، فالتجارة الخارجية كانت تتم عبر القوافل مع إفريقيا أو مع أوربا عن طريق الموانئ الجزائرية ولكن هذه الأخيرة احتكرت من طرف الأجانب، واستغلها اليهود،[2] فأثّر عليها كل ذلك تأثيرا سلبيا، أم الداخلية فكانت الأسواق المحلية الشعبية[3]، إضافة إلى ذلك الدكاكين والمعارض السنوية وتتناول كل ما يحتاج إليه السكان من منتجات ومصنوعات محلية أو مستوردة، وتشرف على المنتجات هيئات يشرف على كل واحد أمين[4] يجمع الرسوم المفروضة ويسلمها للمصالح الإدارية أما المعارض فان التاجر يدفع الرسوم قبل الدخول للمعرض والمقايضة هي الغالبة في المعاملات التجارية بين الإفراد.

التجارة الخارجية:

تنوعت المعاملات التجارية الجزائرية مع الخارج، نظرا للظروف التي كانت تتمتع بها من استقرار أمن وفائض الإنتاج شجع الاستثمار فيه من طرف عدة شركات أوربية

---

[1]– نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص37.

[2]– محمد العربي الزبيري،مرجع سابق، ص 65.

[3]– تعقد هذه الأسواق أسبوعيا في ساحة كبيرة ويأتيها المنتجون والمستهلكون من المناطق المجاورة ولها دور تجاري وثقافي إذ يقصدها المداحون والأقاصيص واهم هذه الأسواق الجهوية هي: سوق أولاد عبد النور، وسوق الحراكتة، وسوق التلاغمة أما المعرض السنوي فيقام بوادي العثمانية دائما تحت إشراف شيخ العرب الصحراء.

[4]– يختص هذا الأمين بمراقبة الإنتاج المشرف عليه ويستخلص الرسوم الواجبة ليدفعها إلى السلطة في البايلك.

ومتعاملين تجاريين من شتى أنحاء الجهات، من بايلك قسنطينة ولموقعه المميز كان له الدور الهام في ذلك فتونس كانت اقرب الأسواق لها ونظرا لارتباطها التاريخي والجغرافي أمكنها أن تبق امتداد اقتصادي وحيوي إضافة إلى الامتداد الجغرافي للمناطق الشرقية لها مثل ليبيا وتعتبر مدينة غدامس هي السوق المفضلة لتجار واد سوف، ومصر وبلاد المشرق العربي، وذلك الارتباط فرضه الانتماء والتاريخ المشترك والشعائر الدينية المتمثلة في فريضة الحج وما تكتسيه من مهرجان ثقافي واجتماعي ديني واقتصادي مميز فركب الحج وطرق القوافل كانت قسنطينة منطلقا لها كما كانت نقطة عبور لابد منها.أما واد ي سوف فهي همزة وصل بين جنوب الصحراء وبايلك الشرق الذي يرتبط بموانئ البحر الأبيض المتوسط [1].

أما أهم أسواق الواحات فتتمثل في سوق تقرت وورقلة ووادي سوف لأنها همزة وصل بين الشمال والجنوب وأنها تقع على خط واحد أفقي بين الشرق والغرب ومن أهم منتجات هذه المناطق إنتاج الصوف والأقمشة ومنتوج النمور والملح شجعها أن تكون من أهم المراكز التجارية، ووادي ريغ[2] يعتبر عاصمة اقتصادية لمنطقة تقرن وتشمل دائرتها على38 قرية أهمها كوينين[3] التي تلتقي فيها القوافل المتجهة نحو بلاد الجريد [4].

المبادلات التجارية البحرية:

أما التجارة البحرية التي كانت تتم بين بايلك قسنطينة ودول أوربا فكانت مرتبطة بالمعاهدات والاتفاقيات الرسمية [5]، وتعتبر أول معاهدة نصت على التعامل والتبادل هي تلك التي تدخل بشأنها الباب العالي في سنة 1628 وأمر الديوان في الجزائر بان يتفاهم مع فرنسا وان يبرم معها صلحا دائما[6]. واهم نقطة نريد الإشارة إليها هي المادة الثامنة من المعاهدة المبرمة بين فرنسا الممثلة في السيد دي مارل وباي قسنطينة في

[1]- محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص159.

[2]- مجموعة من الواحات يحدها شمالا الزاب وعاصمة بسكرة، وشرقا سوف وعاصمة الوادي وغربا وادي ميزاب وعاصمة غرداية ويشتمل على توقرت وتماسين ونفوسة.

[3]- قرية صغيرة تبعد عن مدينة الواي بحوالي ميلين ونصف وتقع في منتصف الطريق بين قمار والوادي

[4]- محمد العربي الزبيري، ص156.

[5]- قنان (جمال)، مرجع سابق، ص53.

[6]- المرجع نفسه، ص70.

15 جويلية 1714م، المتمثلة في حرية التعامل التجاري في موانئ البايلك، تنص المادة الثامنة على ما يلي: ((لا يسمح لأي مركب أجنبي مهما كانت جنسيته حتى لو كانوا مسلمين بشحن القمح والشعير والفول في مدينة بونة المعنية أو في تلك الأماكن الأخرى المشار إليها أعلاه تحت أي مبرر كان))[1]، ظل الفرنسيون يحتكرون التجارة في بايلك قسنطينة رغم المنافسة الشديدة من طرف الانجليز والهولنديين وما كان لهم ذلك إلا عن المعاهدات التي تحصلوا عليها بمبادرة من هم عن طريق الباب العالي ودايات الجزائر وبايات قسنطينة عبر المراحل مثل اتفاق حسين باي قسنطينة ودي مارل 1714م، ومعاهدة الجزائر ودولة السويد 1729م ومعاهدة الجزائر ودولة الدانمارك 1746م ومعاهدة الجزائر وجمهورية هامبورغ 1764 ومعاهدة الجزائر وجمهورية البندقية 1764م. كل تلك المعاهدات كانت لها المظاهر التجارية لكن خفاياها هي التنافس الأوربي على الجزائر[2].

أهم المسالك الرئيسية في بايلك قسنطينة

أهم الطرق والمسالك الرئيسية في بايلك قسنطينة تربط قسنطينة مع مختلف المدن والمناطق لأخرى بشبكة من الطرق، ويذكر لنا الإدريسي ستة طرق كانت تربط مابين قسنطينة والمدن الأخرى المجاورة، وهي الطرق التي تؤدي إلى "بغاي" التي كانت على ثلاث مراحل من قسنطينة، وطريقان يتجهان إلى بجاية أحدا هما تمر بجيجل والأخرى بأبرس، والطريق التي تؤدي إلى القل وتمر بقلعة بشر ونقاوس وتيفاش وقالمة والقصرين ودوار مدين، والطريق التي تؤدي إلى سطيف والطريق التي تؤدي إلى جيجل وتمر بفحص قارة وبني خلف وحصن كلديس وجبل سما ووادي شال وسوق سيدي يوسف وسوق بني زندوي وتالة والمغارة ومسجد بهلول والمزارع[3].

تتوزع هذه الطرق في شبكة متداخلة ومتكاملة بين مناطق إقليم البايلك وخارجه، ويمكننا إن نصنفها إلى طرق أفقية تربط الشرق بالغرب وطرق عمودية تربط الشمال بالجنوب الصحراوي وإن هذه الطرق تتعدى مجال الإقليم وإيالة الجزائر في العهد العثماني.

---

(1)- جمال قنان، مرجع سابق، ص194.

(2)- للمزيد من المعلومات راجع، جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م ومحمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص162.

(3)- محمد الهادي العروق، مرجع سابق، ص75.

الطرق الأفقية:

أهم هذه الطرق الطريق السلطاني المتجه من قسنطينة إلى دار السلطان لم يكن قارا في منطقة بلاد القبائل بسبب الاضطرابات خاصة عندما تكون القبائل المناوئة للسلطة العثمانية ،ويتحدد خط سيره بالمحطات الآتية باب عزون-عين الربط-قنطرة الحراش-حوش القايد-حوش باي قسنطينة ثم واد الحميز-مستنقعات أودية واد الحراش-مركز قارة مصطفى-أولاد عبيدي عند واد قدارة- الأربعطاش- محطة جبال بوزقزة- عين السلطان-واد الزيتون- جسر واد هني- مرجه واد هني- جبال بني جعد- وبني خلفون- مقطع واد الرخام-ذراع البغال-محطة بني هارون- محطة برج حمزة- محطة بني منصور- محطة جبال باب الحديد- محطة البرج بمجانة- محطة سيدي مبارك السماتي- محطة سطيف- محطة تاشودة- الخربة- محطة ببر البقرات- ثم قسنطينة[1].

طريق قسنطينة بسكرة: أهم محطاته ببر البقرات- سقان- المشيرة-مول الضاب- الزمول- باتنة- سهل القصور- الغنية- القنطرة-قلعة الحمام-الوطاية- بسكرة- ومنها إلى تقرت وورقلة وسوف.

طريق زمورة بسكرة ويستعمله سكان بلاد القبائل المتجهين نحو الزيبان والجريد ويمر على مواطن أولاد يحي ومحطات قصر الطير وأولاد موسى ووطن ريغة والولوجة وبوطالب وبربكة وأولاد دراج ومدوكال، وهذا الطريق سلكه الو رتلاني[2] في رحلته إلى البقاع المقدسة فطرق الساحل كانت تصل المناطق الداخلية بالمواني مثل مرسى الخرز (القالة) وجيجل وبونه (عنابه) وبجاية، ومرسى بني جناد ومرسى الدجاج بمرسى جزائر بني مزغنة وشرشال ومرسى التنس ومرسى وهران.

ونظرا لطبيعة التضاريس والأوضاع الأمنية المتردية وانقطاع الطريق كانت هذه المراسي هي حلقة الوصل بين المناطق لذا يضطر التجار المسافرين من استعمال السفن

---

[1]- نصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية، ص448.

[2]- هو الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، من قرية (أنو) الواقعة على سفح جبل يعرف محليا بأزر ويفلان، عرش بني ورثيلان، على الحدود الشمالية لولاية سطيف، بمحاذاة ولاية بجاية، ومؤرخا لأخبار رحلاته المتتالية نح والبقاع المقدسة، وألف كتابه الموسوم (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار) المشهور بالرحلة الورثلانية سنة 1179 هجرية، وقد وضحها في كتابه، وصف الطّريق التّي يسلكها الحجّاج في زمانه، وذكر الصالحين في كلّ بلد، ومن بين أسباب تأليفه له، شغفه الكبير بما رأى أثناء رحلته.

للانتقال من مرسى لأخر، بالإضافة إلى ذلك فهي نقاط ارتباط بين إقليم قسنطينة والعالم الخارجي في البحر الأبيض المتوسط.

أما طريق الصحراء الذي وصفه الكثير من الرحالة والجغرافيين العرب، ذكروا أهم محطاته كبسكرة وتاهودة وباديس وقيطون، فهو صعب نظرا لموقعه الجغرافي الصحراوي وارتفاع درجة حرارته وقلة مائه وانعدام الأمن به في كثير من الأحيان، وهذا ما جعل استعماله عادة على بعض القوافل المتجهة إلى الجريد وطرابلس والتي كان ينظم إليها الحجاج الراغبون في التوجه إلى المشرق، أمثال العياشي[1] والورتيلاني الذين وصفا هذا الطريق في رحلتيهما خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد[2].

هذا وقد اشتهر من مسالك الهضاب العليا في إقليم قسنطينة طريقان يتوجهان من الشرق إلى الغرب احدهما شمالي بحري والأخر جنوبي ينطلقان من القيروان، ويصلان بقلعة بني حماد والمسيلة وأشير وتيهرت، تصل بين هذين الطريقين مسالك فرعية أهمها طريق الأريس ومسكيانة وطريق مجانة وتيجس المار على نوبة والذي ينتهي عند قسنطينة وميلة وطريق بغاي وتيجس المار بمسكيانة، والذي يسلكه المسافرون إلى قسنطينة وطريق سطيف- المسيلة والذي يتفرع منه في مدينة الغدير، وطريق يتوجه إلى طبنة، عاصمة الزيبان (بسكرة)، ونظرا لعدم أهمية هذه الطرق الثانوية فسوف نركز في بحثنا هذا على الطريقين الرئيسيين وهما طريق الشمال وطريق الجنوب، نظرا لأهميته وأهمية الحواضر التي تقع عليه[3].

[1]- العياشي ت1679م هو أبو سالم عبد الله بن أبي بكر العياشي المالكي ولد بقبيلة آيت عياش قرب درعة، شعبان 1037هـ/ ماي و1628م، انتقل إلى بلاد المشرق طالبا للعلم المرة الأولى 1053هـ/1649م والمرة الثانية1064هـ/1653م والمرة الثالثة سنة1073هـ/1661م وتوفي العياشي بالمغرب الأقصى سنة 1090هـ/1679م بوباء الطاعون، من أهم مؤلفاته: ماء الموائد؛ أنظر مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص65 وما بعدها.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، م. و. ك، الجزائر، ص ص69-80؛ القشاعي، الريف القسنطيني دراسة اجتماعية اقتصادية، مرجع سابق، ص20.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، 422.

طريق الهضاب الشمالي:

إن إقليم قسنطينة يقع في منطقة انتقالية بين البحر والصحراء من جهة، وبين إقليم دار السلطان (الجزائر) وإقليم بايلك التيطري الذين يشتركان في الحدود الجغرافية مع بايلك قسنطينة.

وهذا الطريق ذكره اغلب الجغرافيين والرحالة العرب وعددوا محطاته ووصفوا المراكز العمرانية الواقعة عليه، مثل: الإصطخري الذي يعود كتابه "المسالك والممالك" إلى أوائل القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي- (322هـ- 934 م)، إذ ذكر إن مراحل هذا الطريق من القيروان إلى سطيف ست عشرة مرحلة مثلها بين سطيف وتيهرت[1].

أما الإدريسي[2] فقد وصف أن المسافة بين قسنطينة وسطيف أربع مراحل واكتسى هذا المسلك أهمية متزايدة في فترة متأخرة فسلك جزء منه العبدري البلنسي في سفره من بجاية إلى بونة، حيث مر بمواطن بني وارار وميلة وقسنطينة عام 688هـ وفضله الشيخ الورتيلاني[3] عند عودته من الحج إذ مر بالكاف (تونس) وقسنطينة وبير البقرات وأولاد الحاج ويحط رحاله ببني ورتيلان عام(1181هـ- 1768م) [4]، كذلك الزياني في الترجمانة الكبرى (1233هـ- 1818م)، وتشير التقارير الفرنسية أيام الاحتلال الأولى، إن الطريق بين قسنطينة وسطيف يتكون من مسلكين.

طريق الهضاب الجنوبي:

يربط بين القيروان والمسيلة ويصل مباشرة القيروان بقلعة بني حماد وتيهرت، فهو يخترق جهات تمودة بالظهير التونسي ويجتاز سبيبة ويصل إلى تبسة عبر مضيق-مجانة- ومسكيانة ليحاذي بعد ذلك السفوح الشمالية لجبال النمامشة والأوراس وبلزمة.

---

(1)- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق ، ص. ص. 10، 15، 423، 224، 423.

(2)- أبوعبد الله الشريف الإدريسي، أحد كبار الجغرافيين، ولد في مدينة سبتة في المغرب عام 493هـ 1100م ومات عام 559هـ 1166م، تعلم في البيلق وطاف البلاد فزار الحجاز ومصر. وصل سواحل فرنسا وإنكلترا. سافر إلى القسطنطينية وسواحل آسيا الصغرى، عاش فترة في صقلية، شرح الإدريسي موقع الأرض في الفضاء، وقدم وصفا عن وضع السودان،.

(3)- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، 449.

(4)- بالحميسي (مولاي)، مرجع سابق، ص 20.

عندما يعرج على مدينة قابس ويساير السفوح الجنوبية لجبال الحضنة وأهم مراحل هذا الطريق اعتمادا على كل من المقدسي والبكري وابن حوقل والإدريسي هي: سبيبة- مجانة- تبسة- كارمجانة على واد ملاك- مسكيانة- بغاي- فساس- قبر ماد غوس- سوق بن خلف- توفانة- عين العصافير- دار ملول- مدينة اللوز- بلزمة- نقاوس- طبنة- مقرة- قلعة بني حماد-المسيلة ومنها تتفرع طرق بجاية وأشير وتنس وتلمسان[1].

ومما يلاحظ على هذا الطريق انه اقصر السبل وأسهل المسالك بين القيروان وتيهرت وهو يساير في اغلب مراحله الطريق الروماني الشهير الذي كانت تتوزع عليه القلاع والتحصينات والخنادق التي كانت تشكل خط اللمس (Limas) ابتدءا من تيفاست (Theveste) (تبسة) وحتى طبنة القديمة (Thubannae) ومرورا على كل من مسكولا (Mascula) (خنشلة) وبغاي (Bagai) وتيمقاد (Thamugadi) ولمبيز (Lambaes) (تازولت).

(1)- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب للطباعة والنشر، 1989، ص117.

القسم الثاني

السلطة المحلية ببايلك قسنطينة

الفصل الثالث: سلطة المخزن في بايلك قسنطينة

تأسيس البايلك*:

قرر حسن ابن خير الدين سنة 1564م تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم، وكل قسم منها يحمل اسم البايلك، بالإضافة إلى دار السلطان، ويحكم كل بايلك نائب عن الباشا في الجزائر العاصمة، ويحمل لقب الباي، يساعد هذا الأخير مجلس ديوان صغير وعدد من الأعوان، وفي السنة نفسها عين حسن ابن خير الدين بوخديجة ونصبه في مدينة مازونة أما بايلك قسنطينة فلم يتم تعيين باي عليه إلا في سنة 1567م، وكان ذلك من طرف البيلرباي محمد بن صالح رايس في ظروف صعبة، ومشاكل معقدة في الإقليم.

و السؤال الذي يطرح لماذا تأخر تعيين باي على قسنطينة؟ وكيف تم تعيين باي قسنطينة في الظروف الصعبة التي كانت تعيشها منطقة الشرق الجزائري؟

لقد اختلفت الآراء عن تاريخ الحكم العثماني لمنطقة الشرق الجزائري والإشكال المطروح في هذا الموضوع هو عدم استقرار العثمانيين بالمنطقة بسهولة وبقت بين أخذ ورد بين السكان والسلطة العثمانية من جهة وبين هذه الأخيرة والدولة الحفصية من جهة أخرى، لأن الجهة الشرقية كانت تحت إمارة السلطة الحفصية، حتى سنة تعيين علي بوعكاز بن الصخري شيخ العرب اللقب الجديد الرسمي في ظل السلطة العثمانية وإلغاء لقب الأمير المتوارث في العهد الحفصي سنة 936هـ/1592م [1].

التقسيمات الإدارية لبايلك قسنطينة:

قسم بايلك قسنطينة إلى أربعة أقسام على كل منها حاكم مستقل يخضع مباشرة لباي قسنطينة، وهذه الأقسام هي:

القسم الشرقي: ويشمل مواطن الحنانشة، ووادي الزناتي، وعامر الشراقة، ومن أبرز زعمائه الأحرار الحنانشة.

---

*من الملاحظ أن لفظ البايلك كان يستعمل للدلالة عن نوع من الإيقاع الخاص بقدماء ضباط الانكشارية المتقاعدين، ثم توسع في استعماله حتى أصبح يستعمل في الجزائر ليدل على الاقتطاعات المأخوذة منها الضرائب، ثم انتهى الأمر ليصبح بمثابة نوع من الحكم الإداري للسلطة العثمانية بالبلاد الجزائرية.

[1]- محمد (خير الدين) مذكرات،م.و.ك،الجزائر، ج1د.م، د.ت، ،ص43.

القسم الشمالي: والذي يمتد من عنابة إلى بجاية، ومن أبرز زعمائه أولاد بن عاشور، في فرجيوة، وأولاد بن عز الدين في الزواغة.

القسم الغربي: ويمتد من سطيف إلى جبال البيبان، وقرى بني منصور، وونوغة ومن أبرز زعمائه أولاد مقران بقلعة بني عباس ومجانة.

القسم الجنوبي: ومن أهم زعمائه الذواودة، ثم أولاد بن قانة.

ولم تخضع كل المناطق في البايلك لسلطة الباي في بداية الامر نظرا للظروف المضطربة التي كانت تسود المنطقة، بل خضعت قسنطينة وعنابة بضواحيهما للباي مباشرة ثم تلاحقت المناطق الاخرى [1].

أن هذا التقسيم الجغرافي تحكمت فيه العوامل الجغرافية والبشرية، فمن الناحية الجغرافية نلاحظ عدم التجانس في البنية الجيولوجية، وأنواع التربة، والغطاء النباتي، والمجاري المائية، والمغياثية، وهذا ما جعل نمط معيشة المجتمع تختلف من قسم لآخر، ناهيك عن طبيعة النشاط الفلاحي وتربية الحيوانات، والنشاط الحرفي وهذا ما ينعكس على طبيعة العلاقة بين المجتمع والسلطة التي ترتبط بنظام الضرائب المفروضة أو طبيعة الامتيازات المتباينة من إقليم لآخر، وهي الصفة التي على منوالها تضبط علاقات السكان بالسلطة العثمانية وهي المعيار الأساسي لذلك[2].

المشيخات الوراثية في بايلك قسنطينة:

المقصود بها السلطة الرسمية العثمانية الجهوية في بايلك قسنطينة التي تمثل سلطة فرعية للسلطة المركزية في الجزائر العاصمة فهي محلية في إقليم البايلك، وأردنا في متن هذا الفصل إبراز ظروف وصول العثمانيين إلى المنطقة وإظهار العوامل المساعدة على تشكيل السلطة الجهوية المحلية للسلطة المركزية في الجزائر وأثر ذلك على الوضع الجيوستراتيجي لمنطقة الشرق الجزائري.

والإشكال الذي يطرح هو لماذا تأخر تنصيب السلطة العثمانية لبايلك قسنطينة حتى سنة 975هـ/1567م؟ وما الكيفية التي تم بها ذلك؟ وما الهياكل الإدارية التي نصبت

---

(1) – القشاعي فلة موساوي،الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا اواخر العهد العثماني 1792-1837م، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،سنة1983،ص14.

(2) – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص.245.

لتحقيق الاستقرار الداخلي والخارجي لبايلك قسنطينة، وكيف تعاملت السلطة العثمانية مع القبائل وشيوخ الزوايا وأهل العقد والربط من الجزائريين؟

كل هذه الأسئلة نحاول الإجابة عليها لعلها تبرز من خلالها طبيعة السلطة المحلية لبايلك قسنطينة وعلاقاتها بالسلطة المركزية للوجود العثماني في الجزائر وعلاقة هذه الأخيرة بسلطة البايلك.

تعتبر شخصية الباي[1] السلطة العليا للبايلك في قسنطينة ويعين من طرف داي الجزائر، لفترة غير محدودة ويتم عن طريق تعيين رسمي بفرمان عادة، وعلى رأس كل بايلك، وهو موظف الرئيسي للسلطة العثمانية في البايلك[2]، يساعده في أداء مهامه جماعة من الموظفين المحليين، الذي يتكون منهم ديوان البايلك، وهو بمثابة صورة مصغرة لديوان الداي في دار السلطان، من حيث تنظيمه الإداري، وصلاحياته المالية، واختصاصاته الاقتصادية والاجتماعية مع وجود بعض الفوارق والاختلافات الناجمة عن الوضعية الخاصة بلكل بايلك[3]، وكان يختار الداي من بين المقربين لحكام الجزائر أو الذين لهم صلات قرابة بالعشائر، ويكونوا ممن تولوا مناصب القيادة مثل قائد العواسي "الحراكتة" لباليك قسنطينة[4]، ويلاحظ أن بايات قسنطينة الأوائل كانوا من العرب وليسوا من الأتراك، مثل: رمضان تشولاق 1567-1574م ومحمد بن فرحات باي 1588-1608م وخير الدين باي 1674-1676م واحمد خوجة باي ابن فرحات 1700-1703م وحمودة باي1707م وعلي باي بن حمودة 1708م وعبد الرحمان باي بن فرحات 1709م وهو كان أخر البايات من العرب[5]، وتولى رمضان تشولاق منصب الباي في قسنطينة، في ظروف صعبة، ومشاكل معقدة في الإقليم، وحسب رواية فايسيت(Vayssettes)، في عام 975هـ (1567م) حصل اتفاق بين أعيان سكان مدينة قسنطينة على تكوين وفد وإرساله إلى الباشا بالجزائر العاصمة ليشرح له أوضاع

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق ،ص.241.

[2] - محمد صالح العنتري،مصدر سابق،ص31.

[3] - وليم شالر، مصدر سابق، ص45.

[4] - عندما تولى احمد القلي منصب باي قسنطينة سنة 1170هـ الموافق 1756م بادر بتعزيز أواصر الصداقة مع الصالح باي حتى انه زوجه بابنته ولاه قيادة الحراكتة وهي قيادة لا تسند عادة إلى أهم شخصية بالبايلك بعد الباي وذلك لشدة شكيمة هذه القبيلة ولوفرة مداخليها لخزينة الإيالة.

[5] - محمد الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص43.

المدينة المتدهورة، وتألف هذا الوفد من الشيخ عبد الكريم الفقون، والمفتي عبد اللطيف المسبح، وعدد من الشخصيات المعتبرة، وسافر الوفد إلى الجزائر واستقبلهم محمد بن صالح رايس الذي خلف حسن بن خير الدين، بينما هم بمدينة الجزائر سمعوا بقيام سكان مدينة قسنطينة بثورة وهجومهم على الحامية التركية، وقتلهم للحاكم التركي، فخافوا إن يسلط الباشا عقابه عليهم، ففروا ليلا إلى منطقة القبائل وعلِم الباشا بهروبهم فأمر باللحاق بهم وإعادتهم إلى العاصمة وسجنهم بعض الوقت، ثم أطلق سراحهم وصاحبهم معه في حملته التأديبية إلى مدينة قسنطينة وعند وصوله إلى مشارف المدينة فتح له السكان أبواب المدينة دون قتال، فدخلها وقبض على زعماء الفتنة وقتلهم وسجن عددا كبيرا من المتورطين، وباعهم عبيدا، وأعاد للمدينة أمنها واستقرارها وبعد ذلك قام بتعيين رمضان تشولاق بايا على المدينة وبايلك على قسنطينة، ثم رجع إلى العاصمة[1].

وفي عام 1570م عزل حسن بن خير الدين وعين بدله العلج علي الفرطاس بيلرباي على الجزائر، وقام هذا الأخير بحملة ضد الأسبان في تونس، وصاحب معه رمضان تشولاق باي، وفي نيته معاقبة الأمير الحفصي مولاي أحمد الذي أخلص في تعاونهم مع الأسبان اصطدم بحملة حفصية كبيرة في باجة، واضطر أن يسافر إلى حلق الوادي فعاد علج علي إلى الجزائر وعاد رمضان تشولاق إلى قسنطينة، وفي عام 1572م اندلعت في قسنطينة ثورة أخرى، واستعمل الباي رمضان تشولاق قسوة وشدة في القضاء عليها، وفي العام الموالي تجددت الثورة وعمت البايلك واضطر تشولاق باي أن يستنجد بقوات المخزن "الذواودة"، وثار الحنانشة في شرق البايلك وأولاد مقران في غربه، وتوسط أحمد بوعكاز الذوادي لدى الحنانشة، فأقنعهم بوضع حد للثورة والتمرد، وفي وسط هذه الاضطرابات شارك سكان البايلك في الهجوم على تونس وتحريرها من الأسبان[2].
وفي عام 1574م غزى الأسبان مدينة عنابة، فاحتلوها ففر منها سيدي خليفة بن عيسى بن سيدي عيسى، وفي العام نفسه استدعي رمضان تشولاق باي من الجزائر، وعوض بجعفر باي[3].

[1]- محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، 44.
[2]- المصدر نفسه، ص44.
[3]- Vayssettes (E), Histoire De Constantine Sous La Domination Turque De 1517 À 1837-, Challomel, 1868 .P.311.

فعلا لعب رمضان تشولاق دور هام في تحالف أهم القبائل مع السلطة العثمانية في بايلك الشرق، التي ساهمت في استقرار الأوضاع في بايلك الشرق، ومع تونس[1]، وطرد الأسبان منها، ومن عنابة، وإن هذا الدور يظهر في كيفية إقحام قبائل الذواودة والحنانشة وأولاد مقران[2] في رد العدو الإسباني وطرده من تونس ومن بايلك قسنطينة، والمساهمة في الجهاد البحري، وكانت البداية لتمكن السلطة العثمانية في منطقة الشرق الجزائري، وبذلك تكون القبائل وزعمائها لعبت الدور الريادي في استقرار الاوضاع في بايلك قسنطينة وهي صاحبة السلطة في إعلان الحرب وإنهائها.

إن هذا التحالف بين القبائل والسلطة المحلية في بايلك قسنطينة هو الذي استطاع أن يثبت سلطة العثمانيين ويمكن القبائل من الاستمرار في دورهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بالإضافة إلى دور العائلات الوراثية ومساهمتها مع السلطة الروحية المتمثلة أساسا في شيوخ الزاوايا والزعامات الصوفية.

الجهاز الإداري المحلي لبايلك قسنطينة:

وهو على نمط الجهاز المركزي في دار السلطان بالجزائر العاصمة، ويتولى الباي الإشراف عليه، ويتم تعيين أعضائه أو عزلهم بأمر من الباي في اغلب الأحيان، ويرجع إليهم الباي للبث في الأمور الهامة أو لطلب الرأي والمشورة[3]، وأهم تنظيماته هي:

- **ديوان بايلك قسنطينة:**

من مهام الباي ضمان موارد دخل الخزينة والإشراف عليها الخاصة بالبايلك، واستعمال مختلف الوسائل، كالقيام بالحملات العسكرية[4]، تجنيد الرؤساء المحليين،

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 98.

[2]- تفاوض أحمد أمقران مع حسن بن خير الدين وقبل شروطه للصلح عام 1559م فتقلصت سلطته على الزيبان وفي 1562م طلب السلطان العثماني من حسن بن خير الدين إن يستعد لمجابهة الأسبان في وهران وفرسان مالطة فكتب إلى زعماء قسنطينة وأقاليمها رسائل يحثهم فيها على الاستعداد وتجنيد الناس.

[3]-محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص31، وأنظر أيضا ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص242.

[4] – انظر الملحق (رسالة احمد باي الى حسين داي في تاديب بعض قبائل الحنانشة).

وهذا ما يظهر الباي كأنه المفوض الأول بجمع الضرائب والحصول على جميع الحقوق المستوجبة، ليقوم بعد ذلك بتسليمها للسلطات الحاكمة بالجزائر.

يعين الباي قادة المدن، وكان في غالب الأحيان يتم هذا التعيين عن طريق الالتزام. فالقياد يشترون وظائفهم بكمية من المال تقل وتكثر حسب أهمية المركز، وما يمكن أن يدره عليهم من فوائد، ومن المميزات الخاصة ببايلك قسنطينة كان يعين قائدين للعشور أحدهما في شرق البايلك والآخر في غربه لمراقبة الإنتاج لتقييم الرسوم المستوجبة ويقدمان حسابات دقيقة لشيخ البلد قبل أن تودع المحاصيل في المخازن البايلك.

إن الجهاز الإداري لم يكن سوى هيئة يفرض بها الباي سيطرته على إقليم البايلك، وضبط أمنها واستقرار أوضاعها، وتامين طرقها وذلك باستعمال القوة العسكرية والتحالفات القبلية والاستعانة بفرسان المخزن المتواجدين بالأماكن الإستراتيجية في إقليم البايلك الممثلة في المحلات[1].

– أهم الشخصيات في البايلك:

خليفة الباي: هو المسؤول عن شؤون الأوطان في إقليم البايلك، ويخضع له القواد.

ورجال المليشيا (Milice): ويقصد بهم رجال المحلة ويجندون من الاتراك، وبعض الكراغلة مهمتهم الخدمة في النوبة [2] (المعسكر) والمشي مع محلة الدنوش، ومع قوافل الغزو في الحملات التأديبية والحروب وتنظم محلات استخلاص الضرائب ويتولى إخضاع السكان لحكم البايلك، ويكلف بحمل الدنوش مرتين في العام إلى الداي بدار السلطان، في فصل الربيع والخريف إذا تعذر عن ذلك الباي، وكانت العادة تقتضي بأن يسند هذا

[1]- كان مخزن باي قسنطينة سنة 1212هـ الموافق لعام 1798م يتكون من محمد بن صالح رايس خليفة، رضوان قائد الدار ومحمد بن جلول وكوتشوك علي باش كاتب ومحمد بن مريخي آغا الدايرة، وبلقاسم البوكي، ثم دحمان بن زكري، وعين كل من احمد طبال، ومحمد شاكر، وقارة مصطفى شواشا، وترقوا كلهم فيما بعد إلى منصب الباي.

[2]– محمد صالح العنتري، مصدر سابق،ص37.

المنصب إلى أحد أقارب الباي[1] كما كانت مكلفا بصلاحية إقرار الهدوء وفرض نفوذ السلطة خارج مراكز البايلك[2].

قائد الدار: وهو بمثابة شيخ البلد يكلف بالإدارة والشرطة وتموين رجال المليشيا ودفع مرتباقم الشهرية وتمتد مسؤوليته إلى أملاك البايلك العقارية ومخازن الحبوب والإشراف على أئمة المساجد ووعاظها والقضاة، ورجال الإفتاء، ويتكلف بدفع أجورهم ومستحقاقم ويحفظ الأمن وتأمين إقليم البايلك، وقد ينوب الباي في تسيير الأمور عندما يكون هذا الأخير خارج المدينة[3].

النقاد أو المقتصد: ويشرف على كل المصالح المالية من إنفاق وجمع الضرائب وإعداد أموال الدنوش التي ترسل إلى العاصمة مرتين في السنة.

قايد الدايرة أو آغا الدايرة أو آغا العرب: وهو احد رؤساء فرسان المخزن، يدير فرق القوم غير منظمة في الأرياف، ويتولى توفير ما تحتاج إليه هذه الفرق، وله دور ضبط الأمن واستقرار الأوضاع، ويصطحب الباي في خرجاته التأديبية للقبائل المتمردة والعاصية[4].

الباش كاتب أو الكاتب العام: يحرر ويصحح البرقيات ورسائل الباي وكل ما يتصل بشؤون سياسة البايلك، وله سجلات يدون فيها كل أموال البايلك، كالنقود، والأحصنة، والبغال، وقطعان الأغنام، ويقوم بمراقبة هذه الشؤون ويختم رسائل الباي ويستقبل الرسائل الواردة على البايلك، ويحرر رسائل الموظفين، ويخضع له كتاب يحررون الجلسات المتصلة بالإحكام القضائية والمراسلات العامة بين الباي والخلفاء والقواد وشيوخ القبائل، ورجال الطرق الصوفية.

---

(1) - Vayssettes (E) , "l’hisrtoire de dernier beys de Constantine",in R.A, T3, 1858, p111.

(2)- ناصر الدين سعيدوني، ابحاث واراء في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص 126؛ انظر في الملاحق جدول اهم المحلات في بايلك قسنطينة.

(3) - Vayssettes.(E), OP.CIT, p113.

(4)-إدريس (فاضلي) ،المدخل إلى تاريخ النظم، د. م. ج، الجزائر، 2006، ص333.

الباش سيار: ومن مهامه تامين قافلة البريد ومسؤول عن رسائل الباي بينه وبين الداي في الجزائر، ويحمل رسائل الداي إلى الباي، ويصطحب الخليفة إلى العاصمة عند حمله الدنوش في موسم الربيع والخريف[1].

الباش سايس: مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك، وتوضع تحت تصرفه فرقة من جنود الانكشارية، وفرقة من فرسان الصبايحية (الكراغلة) وقوات أخرى من المخزن لتدعيمها.

شاوش الكرسي: هما بمثابة الحرس الخاص بالباي من الأتراك يتوليان الجلد ويسيران أمام الباي عندما يخرج من القصر ويتوسطان بينه وبين الأجانب في مسائل السلم وتمتين الروابط ويعلنان للناس في الاجتماعات سلامة وتحيات الباي، ويقومان بجلد من يأمر الباي بعقابه.

هذه الهيئة لها دور كبير في تسيير شؤون البايلك ومعظم أفرادها كانوا من سكان المدينة ومن العائلات الوجيهة ذات الامتيازات والمكانة في المجتمع أو زعماء العشائر والقبائل الموالية.

- الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة*:

آغا الصبايحية: وهو مسؤول عن الصبايحية والشواش الذين يقومون بدور المساعدين.

شاوش محلة الشتاء: مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن والأغذية والخيام والأخشاب التي يتحصل بها من قائد الدار مباشرة.

باشا العلم: وهو الذي يحمل العلم أمام الباي عندما يخرج الباي في مهمة سواء في السلم أو الحرب.

باش الطبل: وهو رئيس الطبول التي تضرب وتدق في حالات الحرب والسلم وغيرها من المراسيم الدينية والاحتفالية.

باش المكاحل: وهو رئيس حرس الباي الخاص ويحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة ويحكم فرسان الحرس الدائم للباي.

---

(1) - Vayssettes (E), OP.CIT, pp16-17.

*- محمد صالح العنتري، مصدرسابق.ص 33؛ وللمزيد من التفصيل ارجح ناصر الدين سعيدوني، ابحاث واراء في تاريخ الجزائر الحديث.

باش خزناجي: مهمته حراسة قوافل المحلة التي تستخلص الضرائب من الناس ويتكفل بإعداد الأحصنة والخيول لحمل هذه الضرائب في كل مرحلة من مراحل العملية ويتكفل بحمل أمتعة الباي عند السفر، و يشرف على مختلف أوجه الإنفاق بالبايلك ويساعده كاتبان رئيسيان[1].

باش مانقا: وهو مسؤول عن إعداد وتقديم البغال والأحصنة للقافلة التي يقودها الباي للقيام بغارة مفاجئة.

قائد موهر باشا: آغا وخوجة الخيل وهو المسؤول عن تنشيط سير البغال والأحصنة ويصطحب الخليفة إلى الجزائر عندما يحمل الدنوش في فصل الربيع، ويتكفل بإرسال أمتعة القافلة من الجزائر العاصمة إلى عاصمة البايلك.

باش سراج: وهو سؤول عن إسطبلات الباي في عاصمة البايلك.

– **موظفو قصر الباي***:

قايد المقصورة: ويمثل وظيفة قصر الباي الخاص.

باش الفراش: والذي يتكلف بفراش قاعات القصر.

قايد الجبيرة: والذي يتكلف بجبيرة الباي وتزويدها بالأموال اللازمة ومراقبتها.

قايد السيوانة: ويحمل مظلة الباي في الشتاء عن الإمطار وفي الصيف عن الحرارة.

قايد السبسي: يتكفل بحمل غليون الباي، ويعد له حشيشه الدخان.

قايد الطاسة: يتكفل بحمل أدوات شرب القهوة خلال سفر الباي أو في إقامته في القصر، وهي مصنوعة من الفضة.

باش قهواجي: يقوم بإعداد القهوة وتقديمها للباي وضيوفه بالقصر.

قايد الدريبة: وهو البواب الأول لمترل الباي، ويكون خصيا أسود، ويدعى آغا الطوايشي[2].

موظفو المدينة:

أمين الخبازين: وهو المسؤول عن صناعة الخبز من ناحية الوزن والطهي والبيع.

---

[1]- الفاضلي إدريس، مرجع سابق، ص330.

*- محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص 34.

[2]- المصدر نفسه، ص37؛ وانظرل أيضا ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص214؛ فاضلي ادريس، مرجع سابق، ص333.

أمين الفضة: وهو المسؤول عن صناعتها وتصريفها ونظافتها والتعامل بها.

قائد الباب: يكون مسؤول عن السلع التي تدخل الأسواق المدينة للتجارة ويستخلص من أصحابها الضرائب والمكوس المطلوبة، ويساعده كاتب خاص، وعدد من المساعدين والمعاونين وهم.

قايد السوق أو مفتش الأسواق: وله دور مراقبة السلع والمكاييل والمعاملات التجارية

قايد الزبل: وهو المسؤول على تنظيف الشوارع والأسواق والحارات.

قايد القصبة: وهو مسؤول عن امن المدينة ليلا، ويخرج للمراقبة والتفتيش والتفقد.

البراح: ويكلف بتبليغ الناس في الأسواق والساحات العامة بأوامر الباي أو قايد الدار أو الخليفة، خاصة في الحالات الطارئة وحالات تنفيذ حكم الإعدام بصحبة شاوش الباي.

باشا الحمار: مسؤول عن البغال ويتولى تجهيزها عند القيام بحملة من الحملات التأديبية أو غيرها.

وكيل بيت المال: ومهمته إعانة الفقراء والمساكين والتصرف في المواريث التي لا صاحب لها وحفر القبور وحماية المقابر، ويضع الباي مبلغا ماليا من خزينة البايلك لمواجهة هذه المشاكل.

- **موظفو الإدارة المالية**:

هناك عدة مصادر مالية للبايلك وأساسها الضرائب التي تفرض على الأنشطة واستغلال أملاك البايلك من أراضي وكراء المحلات والأسواق وغيرها بالإضافة إلى أموال العشور على المنتجات الزراعية والحيوانية والغرامات التي تفرض على القبائل الثائرة والممتنعة واستغلال الأراضي من طرف الخماسين وأراضي الأوقاف وأموال التولية على المناصب في السلطة وأموال الحجز والضرائب والمخالفات والإتاوات على النشاط البحري والتجاري مع الخارج. ويتعين عن ذلك عددا من الموظفين وهم:

قائد العشور: ويتكلف بتحديد ضرائب حبوب الحرث.

قائد الجابري: ويتكفل بتحديد ضرائب أراضي البايلك.

قائد عزب الجمال: ويتكفل بحراسة جمال البايلك.

قائد عزب البقر: ويتكفل بحراسة أبقار البايلك.

قائد عزب الجلب: ويتكفل بحراسة قطعان الغنم التابعة للبايلك.

باش خزناجي: أو قائد المهور باشا أو خوجة الخيل [1].

– القوة العسكرية النظامية لبايلك قسنطينة:

تتألف القوة العسكرية من حوالي 45000 رجل موزعة على النحو التالي:

22000عنصر من المشاة،23000عنصر من الفرسان والخيالة، ويكونون ثلاث فئات هي فئة المليشيا، وفئة الزمول، وفئة دوائر المخزن، وجنود المليشيا يجندون من الأتراك وبعض الكراغلة ومهامهم تنحصر في الخدمة في النوبة (المعسكر) والمشي مع محلة الدنوش ومع حملات الغز وفي الحروب.

– أهم النوبات في بايلك قسنطينة.

نوبة **قسنطينة** وعدد إفرادها 73 عسكريا.

نوبة **عنابة** وعدد إفرادها 71 عسكريا.

نوبة **بسكرة** وعدد إفرادها 44 عسكريا.

نوبة **بجاية** وعدد إفرادها 72 عسكريا.

نوبة **تبسة** وعدد إفرادها 29 عسكريا.

نوبة **جيجل** وعدد إفرادها 29 عسكريا.

نوبة **برج حمزة** وعدد إفرادها 15 عسكريا.

جنود الزمول (رجال الزمالة): وهم المجندون من رجال قبائل المخزن ويشرف عليهم قائد العرب (قايد الزمالة) ومكان تمركزهم بين قسنطينة وعين مليلة [2].

جنود الدايرة: وهم لفيف من المجندين من القبائل ويشرف عليهم آغا الدايرة وهم رجال حرب ويبلغ عددهم ألف فارس وأماكن تمركزهم هي:

دايرة الوادي في واد بوسلام بين عين الخشبة وجميلة الوادي، دايرة السراوية في السرا جنوب ميلة، دايرة وادي الزناتي في قرفة، دايرة قسنطينة.

---

[1]– محمد صالح العنتري، مصدر سابق، ص36.

[2]– نقل صالح باي جنود الزمالة إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة، وأسكنهم هناك، وملكهم أراضي خصبة في عين الكريشة وبرج الفسقيا، وأمرهم باستصلاحها،وزراعتها، وممارسة تربية الخيول بها لصالح إدارة البايلك.

الجهاز الشرعي والديني ببايلك قسنطينة:

وهي الهيئة التي أسندت لها المهام القضائية والتشريعية ومهام إدارية وتدخل في إطار تنظيم البايلك وتستند إلى الشرع الإسلامي والسنة فيما يخص القضاء وكتابة العقود وتوزيع التركات وتحبيس الأراضي وغيرها من المهام التي أنيطت بها.

ويوجد بمدينة قسنطينة مفتي وقاضي مالكيين لعموم الناس، وقاضي حنفي للأتراك والكراغلة، وعدلان، وناظر للأوقاف الإسلامية، يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا والفتاوى المختلفة، ويرأسه الباي، أو قائد الدار.

كانت هذه الهيئات أكثر تنظيما وصرامة لأنها مصدر مداخل البايلك، وتحظى بامتيازات مضطردة مع نشاطها، مادام أن الباي يمتاز عن بقية موظفي الدولة بالسلطة المطلقة ضمن حدود البايلك، وذلك بتفويض من الداي، فلا يحد من سلطته سوى بعض الإجراءات كالالتزام بالحضور إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات لتقديم فروض الطاعة وأصناف الهدايا، والضرائب، أو التقييد باستشارة أعضاء الديوان المحلي، والقبول بوجود قائد عسكري (آغا الدايرة) على رأس حامية البايلك يتلقى الأوامر من الداي في الجزائر العاصمة، امتاز النظام الإداري في بايلك قسنطينة باحترامه للتسلسل التدريجي للمناصب من جهة، الذي تؤخذ فيه صلاحيات الموظفين، ونوعية المهام الإدارية المنوطة بهم، حيث أصبح كل موظف لا يماثل عمله الإداري عمل موظف أخر، أو يتعارض معه، وهذا توزيع محكم للمهمة الإدارية[1].

إن هذا التدرج في الوظائف والرتب يعكس مصالح الجماعات ويحافظ على نفوذها الاجتماعي، ونشاطها المتميز، وعلاقاتها الخاصة، إن القوة العسكرية والمالية هي التي كانت القاسم المشترك بين جماعة الأتراك المستبدين بالحكم، بفعل انتمائهم للسلطة العثمانية، ونفس العوامل خضع لها الكراغلة، رغم أصولهم التركية، اعتبروا طائفة مميزة، لا ترقى إلى طائفة الأتراك نظرا لعدم تمكنهم من تكوين قوة محلية تجابه قوة الأتراك.ان هذا الجهاز الاداري لم يكن ان يحقق دوره الا بالتعاون و التحالف مع بقية القوى المحلية المتمثلة في سلطة القبيلة التي بقت مستمرة في وجودها و تفعيل دورها كما كانت قبل التواجد العثماني في المنطقة ، وهذا ما نستشفه في الفصل الموالي.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مصدر سابق، ص119.

الفصل الرابع: سلطة القبيلة في بايلك قسنطينة، وعلاقتها بالبايلك

إن اوضاع بايلك قسنطينة أثناء الفترة العثمانية يكتنفها بعض الغموض خاصة الريف الذي يعتبر بمثابة حجر الزاوية في البناء الاجتماعي، وكانت تمثل القاعدة الأساسية للتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، إلا أن البنية الاجتماعية التي ميزت بايلك قسنطينة جعلت دراستها متداخلة بتداخل عدة هيئات في نسق متكامل، وهذا ما جعل صعوبة في تناول هذه الدراسة، فالقبيلة هي الوحدة الأساسية ذات الدور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فإلى أي مدى يمكن اعتبارها مصدر سلطة ونفوذ؟ وبطريقة أخرى، ماهي مساهمات القبائل في سلطة بايلك قسنطينة؟

موقف سكان مدينة قسنطينة من الدخول التركي للمدينة

عقب وصول العثمانيين إلى مشارف قسنطينة مباشرة ظهر بالمدينة تياران متناقضان تيار معارض وتيار مؤيد لدخول العثمانيين لمدينة قسنطينة.

أ- التيار الأول: وكان التيار الأول بزعامة شيخ الإسلام عبد المؤمن وينحدر من أسرة دينية ورثت منصب شيخ الإسلام في المدينة في العهد الحفصي، ومن حلفائهم عرب أولاد صولة، وكانت المنازعة شديدة إلى درجة أنها أخرت الوجود العثماني في المدينة حتى النصف الثاني من القرن 10هـــ / 16م .وقد أغلقت أبواب المدينة في وجه القائد العثماني حسن آغا، وبأمر من الشيخ عبد المؤمن، هذا ما دعا بالقائد العثماني يتمركز في سطح المنصورة في انتظار الظرف المناسب لدخول المدينة دون سفك الدماء، و هذا ما استدعى اتصال القائد العثماني بالشيخ عبد الكريم الفكون[1] ليسهل دخول العثمانيين إلى المدينة، وكانت نصيحته للقائد العثماني التقرب من شيخ الإسلام عبد المؤمن والتعهد له بالإبقاء له على سلطته بالمدينة الروحية، و أكد له أن ذلك كفيل بفتح أبواب المدينة أمامه[2].

(1)- هو ابن الشيخ يحي محمد الفكون

(2)- Cherboneau(A), "Lnscriptions Arabe de la province de Constantine", in R.S.A.C,1856-1857,p98.

إلا أن محاولات العثمانيين لاستمالة الشيخ عبد المؤمن باءت بالفشل*، الأمر الذي أدى إلى استعمال الحيلة لاستدراج الشيخ إلى صلح المنصورة بدعوى التفاوض حول الصلح، وهناك تم اغتياله[1]، ومما جاء على لسان الشيخ أحمد بن العطار في الموضوع: «و نزل الأتراك بسطح المنصورة وشرعوا في بناء نصبة هناك لمعسكرهم واظهروا العدل والسياسة وخالف سيدي عبد المؤمن وأهل حومة باب الجابية على الترك وقابلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على الشيخ سيدي عبد المؤمن وكانت له مشيخة فصالحوا و لم يزالوا ينصبون له حبائل المكر والخداع حتى تمكنوا به...»[2].

بعد مقتل عبد المؤمن سنة 980هـ/1572م هاجم العثمانيون المدينة وحاصروا أسرته وأتباعه،الذين أصروا على المقاومة بحومة باب الجابية ودام القتال حسب بعض المصادر مدة يومين كاملين، انتهى بالقضاء على هذه المقاومة وسلمت الأسرة أسلحتها لجماعة المدينة ورفعت المتاريس التي وضعت حول الحي المذكور وبذلك عاد الأمن بالمدينة بفضل تدخل علماء المدينة وعلى رأسهم الفكون المناصرة للعثمانيين أما عن مصير أسرة عبد المؤمن الثائرة فرغم هزيمتها فان العثمانيين احترموا شيوخها ومكانتهم الدينية وابقوا للأسرة جميع ممتلكاتها بل يبدوا أن هؤلاء تركوا بعض المهام الدينية منها إمارة ركب الحج في يد شيخ هذه الأسرة حتى زمن متأخر من حكمهم[3]،و خير أفرادها بين البقاء في المدينة أو الرحيل عنها فاختار بعضهم البقاء في حييهم بعيد عن

*- لعل ذلك يعود إلى اعتزاز هذا الشيخ بنسبه الشريف وعدم اعترافه بخلافة العنصر التركي على المسلمين.

[1]- تقول بعض المصادر منها الكتابات الفرنسية بصفة عامة و"تاريخ حاضرة قسنطينة" لابن العطار، ان الشيخ عبد المؤمن قتل عن طريق السم بسطح المنصورة، وان العثمانيين قاموا بسلخ جلده وملؤه قشا قبل ان يرسلوه إلى مدينة الجزائر، الا اننا نشكك في صحة هذه الرواية لمبالغة السكان في وصف مظالم الترك للكتاب الفرنسيين اثناء كتابتهم لتاريخ الفترة العثمانية،كما اننا لا نعتقد ان العثمانيين يمثلون بجثة شخصية بمكانة الشيخ "عبد المؤمن" شيخ الاسلام خاصة في بداية عهدهم لان ذلك لا يخدم اغراضهم بالمنطقة،و قد جاء في تعليق الباحث فيسات (vayssettes). على هذه الواقعة على أنها خرافة (Légende) لا يمكننا تصديقها دون تمحيص. حول الموضوع انظر ابن العطار، مصدر السابق،ص58.

[2] – المصدر نفسه، ص ص57- 58.

[3]- عبد الكريم الفقون،منشور الهداية،مصدر سابق، ص102.

أي نشاط سياسي أو اتصال بالحكام الجدد ورحل البعض الآخر إلى جنوب البايلك ليستقروا بمدينة بسكرة وضواحيها [1].

أما أتباع الأسرة وعلى رأسهم عرب أولاد صولة *، فواصلوا مناوشاتهم للعثمانيين إلى أن هزموا وشردوا بدورهم فلجؤوا إلى الجنوب ليستقروا بمنطقة ليانة شرق مدينة بسكرة.

ب- **التيار الثاني**: المناصر للعثمانيين :مثلما جاهرت أسرة عبد المؤمن بعدائها للعثمانيين جاهرت أسرة الفكون بولائها لهم، ويبدوا أن اتصال العثمانيين بزعيم أسرة الفقون، يحيى بن محمد الفقون، كان مبكرا إذ يعود حسب بعض المراجع،إلى سنة 920هـ/1622م[2]. حين اتصل قائد الحامية العثمانية الرابطة على مشارف قسنطينة بالشيخ للتوسط له لدى قبيلة أولاد يعقوب الذواودة لتموينهم بالمواد الغذائية مقابل تزود القبيلة بالعتاد الحربي، ولقد تمت هذه الصفقة بين الطرفين في نفس السنة .

و قد يتساءل المرء هنا عن الدافع الذي جعل العثمانيين يتصلون بأسرة الفقون للتعاون معها دون غيرها من العائلات القسنطينية المشهورة مثال أسرة عبد المؤمن التي كانت تتزعم الحياة الدينية بالمدينة، والواقع أننا لا نجد سببا واضحا لذلك سوى الاعتقاد بأن وجود الأملاك الواسعة لأسرة الفقون بالفحص الأبيض "الحامة"،على مشارف المدينة جعل زعيمها يحيى بن محمد يتصل بسهولة بالعثمانيين الذين كانوا يرابطون بالقرب من المنطقة ولعل الشيخ أعجب بقواتهم ورأى أنها غير منقذة للبلاد بعد الضعف الذي كانت تشهده الدولة الحفصية كما أننا لا نستبعد استخدام العثمانيين لسياسة "فرق تسد" التي ميزت حكمهم في مختلف الولايات العربية بين الأسر القسنطينية فقربوا الأسرة الأقل شهرة لضرب أسرة عبد المؤمن الشهيرة[3] المناصرة للدولة الحفصية.

---

(1)-Mercier(E), Histoire de constantine, P.229.

*- كانوا يتزعمون مشيخة العرب في العهد الحفصي.

(2)- Mouloud gaid,chronique des beys de constantine,OPU,alger,P.7

(3) - نفس التفسير(سياسة فرق تسد) وجدته عند عميد الأسرة اليوم"الشيخ حسونة بن الفقون" الذي يرى ان السياسة العثمانية كانت تعمل على بث الشقاق والتحاسد بين الأسر القسنطينية لاضعافها واخضاعها جميعا لسلطتها.

و إذا كانت علاقة أسرة الفقون بالعثمانيين سنة 928هـ/1522م لا تتحدى الوساطة فإنها أصبحت ولاء حقيقي لسنة 961هـ/1534م تاريخ خروج آخر الولاة الحفصيين من قسنطينة، إذ تشير المراجع إلى أن شيخ الأسرة يحيى بن محمد خرج من قسنطينة في هذه السنة للالتحاق بالقائد العثماني خير الدين بربروس بتونس وتقديم الولاء له إلا انه قتل هناك في نفس السنة، من طرف شارل الخامس اثر الحملة الفرنسية على تونس، فاعتبر العثمانيون مزيدا من شهدائهم واعتراف جميل باعتباره المؤيد الأول لهم بقسنطينة،عين باشا الجزائر ابنه أبا الفضل سنة(965هـ/1557م) في اسم قاضيا على قسنطينة بعد أن رفض الشيخ عمر ألوزاني هذا المنصب واستمر ولاء الأسرة للعثمانيين وتكريم هؤلاء لها، إلا أن بوؤوها المكانة الأولى بالمدينة بمنح منصب شيخ الإسلام للابن الثاني للشيخ يحيى وهو عبد الكريم بعد أن أزيح الشيخ السابق سيدي عبد المؤمن من منصبه*.

موقف قبائل بايلك قسنطينة من دخول العثمانيين

اختلف أوضاع بايلك قسنطينة بحسب مواقعها الجيوستراتيجية من السلطة العثمانية فمنها من دعم وشجع هذا التواجد وتحالف معها وساهم في تثبيتها مثل قبيلة الذواودة، وأصبحت تتمتع بكل الامتيازات التي كانت من قبل مدعومة بامتيازات إضافية، ومنها ما وقف موقف متريث بحسب الظروف المفروظة عليه، ومنهم من وقف موقف المعارض الرافض الساخط على هذا التواجد يمكن طرح الإشكال الآتي: كيف تفاعلت هذه القبائل مع السلطة العثمانية وماهي أدوارها ومواقفها؟ وما نتائج ذلك على الحياة الاقتصادية والاجتماعية على كل منطقة؟

*- اختلف الباحثون حول تحديد تاريخ انتقال مشيخة الاسلام إلى أسرة الفكون فمنهم من يرجعه إلى سنة 1563م(Vayssette,p.77.) ومنهم من يعيده إلى سنة 1568/1567م أو سنة 1572م (Mercier ET Féraud) اما المصادر العربية منها تاريخ قسنطينة للصالح العنتري وايضا احمد بن العطار فانهما لم تذكر شيئا من تاريخ هذا الحدث الا اننا نستشف من ابن العطار ان ذلك كان بعد ثلاث سنوات من الحروب وان الحدث كان سنة 979هـ/1572م واذا اعتبرنا ان الحروب بين العثمانيين وسكان قسنطينة بدات سنة 976هـ/67-1568م، انظرابن العطار، المصدر السابق،ص ص57- 58.

أهم القبائل المحلية الفاعلة في بايلك قسنطينة

تتشابك وتتداخل مصالح القبائل في بايلك قسنطينة نظرا لعدة عوامل طبيعية متمثلة أساسا في المراعي ومنابع المياه الموجودة على سطح الأرض بالإضافة إلى العصبيات التي اكتسبوها عبر الفترات التاريخية التي كونتها، لذلك كان الطابع الاجتماعي ينم على ميزة كل قبيلة بخصائص تميزها لموقعها الجغرافي من ناحية ومن ناحية أخرى لقوتها وعدد أفرادها .

و هنا تطرح عدة تساؤلات: هل كانت هذه القبائل تمثل الوحدات السياسية الفعلية للمناطق التي كانت تسيطر عليها؟ وهل تمثل الأسر الحاكمة فعلا الهيئات الأساسية السياسية لهذه القبائل؟ أم أنها كانت مجرد وسيط إداري يربط بين الحكم المركزي وبين الرعية؟ هل كان حكم هذه الأسر وليد العهد العثماني أم انه كان سابقا لذلك؟ هل لهذه الأسر علاقة بالحكم المركزي العثماني في الجزائر؟ ما دور هذه الأسر في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والعسكري؟ ما هي الرابطة التي أبقت هذه الأسر مرتبطة بمضاربها وعشائرها؟

على أسس هذه التساؤلات والانشغالات نريد أن نصل إلى مقاربة طبيعة الحكم العثماني وعلاقته بالقبائل، وعلاقة هذه الأخيرة بالحكم المركزي ودرجة مساهمة أصحاب المضارب ومن حولهم الرعية في تسيير شؤونهم.

لهذا الشأن ارتأينا دراسة عينات من قبائل هذه المنطقة خلال الحكم العثماني لبايلك قسنطينة وتتمثل في:

- قبيلة الذواودة، لأسرة بوعكاز حكام الصحراء .
- قبيلة الحنانشة، لأسرة أحرار الحنانشة حكام الحدود الشرقية للبايلك.
- أسرة ابن قانة التي لم تظهر على الساحة السياسية إلا في منتصف القرن 12هـ/18م ولعبت دورا هاما في الحياة السياسية ببايلك قسنطينة باستيلائها على مشيخة العرب[1]. كيف تفاعلت هذه القبائل مع هذا الوضع الجديد؟

[1] في هذا الصدد يقول الحسين الورثيلاني في رحلته: «... وفي هذا اليوم لقينا ولد الشيخ الجيد، الذي كانت أزمة العرب في يده، وأيضا كلمته مقبولة ومنفذة عند الترك... لم يضرب سعيه ولا انكشف رأيه، فدام ما معه من الستر والعافية عليه مع تداول اولي الأمر على وطن قسنطينة »؛ انظر الحسين الورثيلاني، مصدر سابق، ص105.

1 - قبيلة الذواودة:

أصولها: قبيلة الذواودة الهلالية من فرع رياح وكان استقرارها الأول في شرق الجزائر، على يد جدها الأول مسعود بن سلطان الملقب ب"البلط" [1] لقوته وشجاعته، وذلك سنة 572هـ/1176م حيث كانت هذه القبيلة في أوج مجدها تحت لواء هذا الزعيم الذي لعب دورا رائد إلى جانب الموحدين في الجهاد في الأندلس، وبعد أن عاد من الأندلس إلى قسنطينة حيث سيطرا على أراضيها، وهذا ما ذكره ابن خلدون في قوله: «واعتزام رياح بعهدهم بافريقية وملكوا ضواحي قسنطينة ورجع إليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز الذواودة على الأمراء والدول» [2].

كما يبرز لنا نفوذها الذي طغى على نفوذ الحكام الحفصيين في المنطقة، وقد استمر هذا النفوذ بنفس القوة تحت زعامة "الشيخ الصخري بن يعقوب بن علي"[3] على كامل المنطقة الواقعة بين قسنطينة وورقلة [4] حتى وصول العثمانيين إلى المنطقة.

و قد عمل العثمانيون، منذ بداية حكمهم للجزائر، على كسب ولاء هذه القبيلة فتقربوا من شيوخها، ويبدو أن أول اتصال بهذه القبيلة كان في عهد البيلرباي "خير الدين بربروس" أول حاكم عثماني بالجزائر، إذ تقول إحدى الوثائق التي لخصها لنا بعض أحفاد الذواودة، الشيخ محمد خير الدين[5].

إن خير الدين باشا أصدر سنة 936هـ/1529م نداء عام دعى فيه أئمة المساجد إلى قراءة الخطبة باسم السلطان إلى كافة القبائل العربية إلى قبيلة رياح إلى طاعة السلطان فأجاب هؤلاء إلى ذلك بشروط أهمها:

- عدم المساس بما تحت أيديهم من الأراضي والحقوق والامتيازات التي مكنهم منها الحكام الحفصيون .

---

(1)- ابن خلدون،كتاب العبر، مصدر سابق، ج6، ص70.

(2)- المرجع نفسه، ص49.

(3)- انظر ملحق شجرة نسب الأسرة بو عكاز.

(4)- لم تكن مناطق نفوذ القبيلة قارة، بل كانت في مد وجزر مع نفوذ غيرها من القبائل والأسر الحاكمة بالبايلك (انظر ملحق الخريطة التوضيحية حول انتشار نفوذ الأسر الحاكمة ببايلك قسنطينة).

(5)- احد أعضاء جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وسليل أسرة بوعكاز الذواودة.

- احترام اختيارهم بأنفسهم لأمرائهم، أي عدم تدخل العثمانيين في تعيين أمرائهم، احترام قوانينهم القبلية [1].

و بقبول خير الدين باشا بهذه الشروط دخلت قبيلة الذواودة عهدا جديدا مع العثمانيين بزعامة أسرة بوعكاز، إذ أصدر الباشا أمر بتزكيته لكي يعين أمير على القبيلة ومنحه لقب "شيخ العرب"،و كان أول أمير من القبيلة حمل هذا اللقب هو شيخ العرب"علي بن السخري" الملقب بوعكاز[2] الذي أخذت هذه الأسرة اسمها منه.

مقومات قبيلة الذواودة:

مما سبق تتضح لنا السمات الأساسية لأسرة بوعكاز وهي:

الطابع الإقطاعي للقبيلة : إذا اعتمدت في بسط نفوذها على سعة أراضيها الممتدة من سهول قسنطينة وعنابه شرقا إلى سطيف والمسيلة غربا، ومن الاوراس إلى الزاب وورقلة جنوبا، بل تقول بعض المراجع إن نفوذ الذواودة وصل إلى"مندداس"[3] (وتيهرت) بغرب البلاد، وجميع هذه الأراضي، هبة من الحكام الموحدين والحفصيين مقابل ما كانت تقدمه القبيلة لهم من خدمات عسكرية إلا أن قبيلة الذواودة وعلى رأسها أسرة بوعكاز لم تكن تستغل هذه الأراضي في الفلاحة بل حولت معظمها إلى مراعي لمواشيها لان الطابع البدوي كان يغلب على القبيلة [4].

الطابع البدوي للقبيلة: اتسمت القبيلة بطابعها البدوي غير مستقر[5] فكانت تقوم تقوم برحلتي الشتاء والصيف بين الزيبان والهضاب العليا طلبا للكلأ والعشب لقطعانها، فتقضي فصل الشتاء على ضفتي وادي جدي وتضرب صيفا بأراضي "البلاغة" المجاورة

[1]- خير الدين (محمد)، مذكرات الشيخ محمد خيرا لدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت، ص ص 41-42.

[2]- لقب الشيخ "علي بن الصخري" بهذا اللقب لان عصاه كانت تلازمه.

[3]- خير الدين (محمد)، مرجع سابق، ص 36.

[4] - انظر ملحق الخريطة.

[5]- قيل لي إن القبيلة كانت تعرف ب"بيت بوعكاز" لان البيت يعني محليا بيت الشعر (الخيمة) لأنها من الرحل وذلك عكس القبيلة المستقرة التي كان يطلق عليها اسم دار مثل " دار الفقون" وغيرها.

لأراضي أولاد عبد النور[1] بالهضاب العليا، وأحيانا تصل حتى مشارف مدينة قسنطينة، ويدلنا اتساع أراضي هذه الأسرة على مدى ضخامة عدد مواشيها التي أكد بعض الباحثين أنها كانت لا تحصى، الأمر الذي جعل من قبيلة الذواودة الممون والممول الرئيسي لقسنطينة وضواحيها بمادة اللحوم[2] وللتعبير عن الثراء الواسع لهذه الأسرة أكد الباحثان الفرنسيان "مارت" و"غوفيان" أن زعيم الأسرة الشيخ علي بن الصخري بوعكاز كان يقوم وحده بنحر حوالي 140 جملا في أيام الأعياد والمواسم[3]، إلا أن الطابع البدوي للقبيلة وحياة الترحال هذا كان السبب في اعادة تكوينها كامارة حقيقية على غرار بني جلاب بتقرت أو المقراني بمجانة أو شقيقتها قبيلة "جامع بن دهان"، من بني علي إحدى بطون رياح، التي استطاعت أن تكون "إمارة عربية بمدينة قابس (بتونس) ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين وضربت السكة باسم أميرها الرشيد"[4] وإن كان هذا لم يمنع الباحثين من إطلاق لقب الأمير على شيوخ القبيلة، إذ بدل لقب السلطان الذي كان يطلق على بني جلاب والمقراني أطلق على شيوخ قبيلة وأسرة بوعكاز لقب "أمير العرب" وأحيانا "شيخ رياح"[5] وهذا قبل أن تلغى جميع هذه الألقاب ويحل محلها لقب "شيخ العرب"، الذي أطلق على القبيلة من قبل العثمانيين [6].

---

(1)- يقول الشيخ محمد خير الدين إن جميع هذه الأراضي انتقلت إلى يد المعمرين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولإعادة الاعتبار للأسرة أعاد أحفادها شراء هذه الأراضي من المعمر(بورجو) سنة 1939 اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية؛ محمد بن خير الدين، مرجع سابق، ص41.

(2)-الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمان حميدة، الرياض، 1981م، ص 60.

(3) - Govion(E),kitab Ayanes el maghariba,(Bouakaz),imprimerie orientale, Alger,1920,P31-32.

(4)- مصطفى أبو الضيف (احمد عمر)، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، د.م.ج، الجزائر، 1982،ص61.

(4)- انظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 30- 43.

(5) – ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق، ص405.

(6)- انظر الملحق شجرة نسب القبيلة (أسرة بو عكاز).

شيخ العرب زعيم قبيلبة الذواودة:

كان شيخ العرب (الذوادي) يحكم جميع قبائل الاوراس من بلزمة حتى منطقة خنقة سيدي ناجي، ويمتد نفوذه إلى بلاد سوف، حدود الصحراء الكبرى وإلى الغرب حتى ورقلة وعرب الصحراء الرحل[1].

وقد توارث هذا المنصب أبناء أسرة بوعكاز الذوادي، وذالك طوال الحكم العثماني، قبل تنافسها فيها أسرة أبن قانة [2]، أخوال الحاج أحمد باي أخر بايات قسنطينة، في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، ألا أن نفوذ أسرة بوعكاز ظل أوسع وأكثر قوة[3] من نفوذ أسرة بن قانة أوخر العهد العثماني.

فقد كان نفوذ الشيخ الصخري بن يعقوب بن علي بوعكاز (1481م) أخر زعماء الأسرة في العهد الحفصي يشمل معظم المناطق الصحراوية ويصل حتى سهول قسنطينة، وأستمر الوضع كذلك في بداية الحكم العثماني ليشمل ثلث بايلك قسنطينة كان خاضعا لنفوذ الذواودة الذين كانوا يمثلون الحكام الحقيقيين لمعظم أراضي الهضاب والصحراء، حتى الأغواط ووادي ميزاب، وبذالك كونوا حكما مستقلا عاصمته قرية "سيدي خالد"، على ضفاف وادي جدي. أما مقر شيخ العرب من أسرة بن قانة فكان مدينة بسكرة.

علي بوعكاز بن السخري: تولى أول شيخ العرب، وهو من أسرة بوعكاز، المشيخة رسميا سنة 947هـ /1541م وبذالك ألغي لقب"أمير العرب"،كان متداولا في العهد الحفصي ليحل محله "شيخ العرب"، وكان قفطان التعيين يصل إلى الشيخ باسم باشا الجزائر على طريق باي قسنطينة[4].

أما مهمة شيخ العرب من أسرة بو عكاز اتجاه الحكم المركزي فكانت تتمثل، كما هو الحال بالنسبة لجميع شيوخ الأسرة الحاكمة في حفظ الأمن بمناطق نفوذه من جهة، وجباية الضرائب من جهة ثانية، إلى جانب دفعه لضريبة سنوية في البداية بـــ20000 بوجو، ثم أعفي منه الشيخ في عهد الحاج أحمد أخر بايات قسنطينة لكون شيخ العرب

---

[1]- انظر ملحق خريطة توزيع القبائل في بايلك قسنطينة.

[2]- فلة القشاعي، مرجع السابق، ص235.

[3]-الشيخ محمد خير الدين، مرجع سابق، ص42.

[4]- المرجع نفسه، ص43.

أصبح يعين من بين أخواله (أولاد بن قانة).وقد أسنده مهمة شن الحملات العسكرية على القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب لشيخ العرب وكان هذا من مهام خليفة الباي في بداية الحكم العثماني، وبذلك أصبح الشيخ يتمتع بسلطة شبه مطلق بجنوب البايلك.

ولتثبيت حكمه والمحافظة على نفوذه بالصحراء كون شيخ العرب قوات هامة من قبائل التابعة له، منها زمالة خاصة، تمثل حرسه الخاص وتتكون من عدد من القبائل منها فنتاسة وعرجان [1] والكعاعمة ونهد وخمير، وقد قدرت هذه، القوات ب1000 فارس[2] بالإضافة إلى الفرسان المكلفين بجمع الضرائب من القبائل المستعصية وحماية الأمن بالبلاد .

من هنا نتصور مدى استقلالية شيخ العرب وأهمية دوره في أدارة شؤون جنوب البايلك، وقد كان أفراد قبائل المنطقة لا يعترفون بأي سلطة غير سلطة شيوخهم وهو ما برهنوا عنه بالتفافهم، جماعيا، حول الشيخ أحمد بن الصخري عندما أعلن الثورة على الباي مراد سنة 1637م، إذ كادت هذه الثورة أن تطيح بالحكم العثماني بالبايلك بسبب التفاف جميع القبائل حول شيخ العرب لضرب السلطة المركزية بقسنطينة.

الطابع العسكري لقبيلة الذواودة: أسرة الذواودة، بطابعها البدوي بفروسيتها وجيوشها الضخمة الأمر الذي جعل الباحثين يطلقون عليها اسم "الارستقراطية الحربية" أو نابلة السيف (Noblesse d'épée) ويدخل ضمن هذا التصنيف عدد من الأسر بشرق الجزائر منها أسرة أحرار الحنانشة وكانت الأسر العسكرية بشرق الجزائر أقوى نفوذا من الأسر المرابطية، وشرف الانتساب إليها لم يكن يقل عن شرف الانتساب إلى النسب الشريف، بل اعتمدت أسرة بوعكاز،أو قبيلة الذواودة في فرض نفوذها بالقوة العسكرية التي كانت تتمتع بها،

فكانت ترهب القبائل والسلطات الحاكمة بما تملكه من جيوش قوية، حددها الرحالة المغربي الحسن الوزان، في النهاية العهد الحفصي، بحوالي 5000 فارس مجهزين أحسن تجهيزا، عدا قوات القبائل التابعة لهم[3]حين حددها القائد الاسباني

[1]- قبيلة بفرفار، قرب الزعاطشة.

[2] - Féraud (ch), Le Sahara de constatine, OP.CIT, p336.

[3]- IDEM,p338

(Bernardino de Mendoza) في بداية العهد العثماني 1700 فارس بالصحراء و10000 بمنطقة قسنطينة[1]، ورغم استحالته إعطاء العدد الصحيح لقوات الذواودة فان ما يمكن تأكيد هو فعالية هذه القوات، إذ بفضلها استطاع هؤلاء العرب فرض نفوذهم على المنطقة وحافظوا على استقلالهم، بل كانت ضغوطاتهم على الدولة الحفصية واضحة إلى حد اشتراط الحصول «على نصف الضرائب والمنتجات الأرض التي ستزرع من المملكة» [2]، لكف يدهم على الإساءة للحكم المركزي.

من هنا يمكن القول أن أسرة بوعكاز لم تكن حديثة العهد بالحكم والسلطة ببايلك قسنطينة ولم تعتمد على العثمانيين في اكتساب ذلك النفوذ، بل كان حكمها متوارثا منذ العهود السابقة كما سبق ذكره، إذ كان نفوذهم عند دخول العثمانيين اقوي حتى من الدولة الحفصية نفسها سواء بالنسبة لمواردها المالية أو نفوذها العسكري والسياسي. و سلطتها تكمن في اعتراف الداي نفسه بها و كانت مكانة شيخها في مكانة الباي برمز السلطة المخولة له و قفطان التولية. فهل كانت الوحيدة التي تتمتع بهذا الامتياز ؟هذا ما نتعرف عليه مع قبيلة احرار الحنانشة الحدودية.

2-قبيلة أحرار الحنانشة:

أصولها: إذا كانت أصول قبيلة الذواودة لأسرة بوعكاز ثابتة ومتفق عليها فان قبيلة أحرار الحنانشة لم يتفق عليها وقد وضعت لها احتمالات ثلاث:

الأول أنها قبيلة بربرية من هوارة التي حكمت طرابلس ثم انتقلت إلى إفريقيا مع الفاتحين المسلمين، واستقرت بالمنطقة الغربية من البلاد، وهو ما ذكره ابن خلدون في تاريخه لقبيلة هوارة، ويتضح ذلك من خلال ذكره لعدد من زعماء هوارة الذين ترأسوا القبيلة بالمنطقة الواقعة بين مدينتي تبسة وعنابة ويحملون جميعا اسم حناش وأولهم حناش بن بعرة الذي يقول عنه المؤرخ انه كان قائدا لقبيلة هوارة وانه لعب دورا هاما في محاربة ابن غانية إلى جانب الحفصيين[3]، ويذكر في موقع أخر مقتل احد قادة هوارة من طرف الحفصيين سنة 636هـ/1236م وهو أبو الطيب بعرة بن حناش[4]، ثم يشير

---

(1) -Féraud(ch) ,le Sahara de constatine, OP.CIT, p140.

(2)-الحسن الوزان مصدر سابق ص57.

(3)-عبد الرحمان بن خلدون،مصدر سابق، ج6، ص 195.

(4) – المصدر نفسه، ص198.

إلى اسم قائد هوارة في عهده فيقول: « ورئاستهم (هوارة) لهذا العهد في ولد يفرن بن حناش لأولاد سليم بن عبد الواحد ابن عسكر بن محمد بن يفرن ثم لأولاد زيتون بن محمد بن يفرن ولأولاد دحمان بن فلان بعده، وكانت الرئاسة قبلهم لسارية من بطون ونيفن ومواطنهم ببسائط مرماجة وتبسة »[1].

إن بعض السمات التي ميزت قبيلة هوارة بقيت، حسب بعض الباحثين الفرنسيين أمثال "فيرو"(Féraud(ch.))، تميز قبيلة أحرار الحنانشة، منها الديانة اليهودية، فقد ركز هذا الكاتب لغرض في نفسه على الديانة اليهودية التي كانت حسب ابن خلدون تدين بها قبيلة هوارة قبل الفتوحات الإسلامية[2] و أكد على بقاء بعض فروع هذه القبيلة على هذه الديانة حتى فترة الاستعمار الفرنسي ومنها أسرة أحرار الحنانشة نفسها، حيث جاء في تاريخ الباحث للأسرة : « من بين إفراد أسرة أحرار الحنانشة الذين استقبلوا القوات الفرنسية بمنطقة سوق أهراس، مركز حكم الأسرة، أحد الفرسان الشجعان الذي قدم لنا أكبر المساعدات للقوات الفرنسية وعند استيلائنا على المنطقة لم ينس قائد الحملة هذه المساعدات وعمل على مكافأة الفارس وعند حضوره إلينا وجدنا انه يهودي» [3].و للتأكيد على انتساب الأسرة إلى هذه الديانة يقول نفس الكاتب أن القبائل كانت تتعمد إهانة الحناشي بذكر أصولهم بقولهم« حناشي بن فناش بن فلاش بن حباس بن شالوم اليهودي» [4]. ومهما كان غرض الباحث "فيرو" من تأكيد على هذه الصفة الحنانشة وعلى رأسهم أسرة الأحرار فان نفس الصفة الحنانشة يشير إليها أحد الكتاب الجزائريين المعاصرين، حسن دردو فيقول:«رإن من بين الحنانشة أقلية يهودية وهي من سلالة حمارة اليهودية بنت الخفاش،خرجوا من بلادهم صحبة الحواريين أجداد الحنانشة واستقروا في منطقة زعرورية قرب سوق أهراس وكان لهم مجلس خاص يعقد اجتماعات في معبد يهودي(synagogue)،وقد بقيت هذه الجماعة تقيم قرب سوق أهراس حتى سنة 1939م » [5].

---

[1] – ابن خلدون، مصدر سابق، ،ص188.

[2] – المصدر نفسه، ص 185 وما بعدها.

[3] - Féraud (ch.),les Hrars…,opcit,p31.

[4] – IDEM, p30.

[5] - Dardour (h’sen), Annaba 25siecles de vie Quotidienne et de lutte, T2, S. N. E. D, Alger, 1981, p59-50.

لم يبقى لنا إلا أن نميل إلى رأي الباحث (Féraud) الذي يذهب إلى أن قبيلة الحنانشة تتكون من عدة قبائل مختلفة في أصولها منها ثلاث قبائل رئيسية هي :

- الشاوية(الحراكتة والنمامشة)بالا وراس.
- هوارة وإخوانهم غداسة.
- العرب الهلالية وبني سليم[1].

و هو ما أشار إليه ابن خلدون نفسه بقوله أن قبيلة هوارة كانت تضم العديد من القبائل منها نفزاوة وبني بفرن ونقوسه وعددا لا يحصى من قبائل البربر التي خضعت للعرب من بني سليم[2] ويفند ذلك الرحالة الحسن الوزان بقوله «أن عدد كبيرا من القبائل انضمت إلى الحنانشة بعد انتصار زعيمهم "نصر" على الحاكم الحفصي سنة 915هــ/1510م، وأعلنت ولائها لهم وحملت اسمهم» [3].

إلا أننا إذا سلمنا أن قبيلة الحنانشة هي مجموعة من القبائل المختلفة، يصعب على الباحث التسليم بأنها كونت وحدة متماسكة، إذ أن الفروق بقيت واضحة بين القبائل التابعة الموالي والقبيلة الأصلية وهي أحرار الحنانشة وهي التي كانت تحتكر عامة القبيلة طوال العهدين الحفصي والعثماني ولعل ذلك هو السبب في إضافة صفة الأحرار لاسمها أحرار "الحنانشة" أي أن الحنانشة الأقحاح أو الأصليون أما البقية فهم الحنانشة "بالحلف والموطن" وأن هذا الفرع هو الذي التفت حوله بقية القبائل والفروع القبلية، وهو الذي تبقى أصوله تحتاج لمزيد من البحث .

مقومات قبيلة أحرار الحنانشة:

استطاعت قبيلة أحرار الحنانشة أن تتزعم ولفترة طويلة دامت خمسة قرون المناطق الحدودية لشرق الجزائر وأن تخضع لسلطانها عددا كبيرا من القبائل الحدودية التي كونت منها قوة عسكرية كبيرة عززت بها نفوذها بالمنطقة وقد كان نفوذ أسرة أحرار الحنانشة على غرار قبيلة الذواودة يتسع بتقلص نفوذ السلطة المركزية إلى أن وصل نفوذ الأسرة في بداية القرن 10هــ/16م إلى مدينة تبسة وشرق الاوراس وحتى الزاب

---

[1]– Féraud (ch.), les Hrars..., opcit, p29.

[2]– ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص204.

[3]–الحسن الوزان، مصدر سابق، ص428.

جنوبا وإلى القالة وعنابة شمالا ويصل نفوذها غربا إلى شرق قسنطينة[1]، وبذلك ضمت منطقة القالة والناطور وماهونة والنبايل من أحواز قالمة وسوق أهراس وتبسة والأوراس الشرقي وحتى ما وراء الحدود التونسية إذ ضمت القبائل التابعة لتونس كما كانت تضم حمير وشارن وأولاد وبورنان والفراشيش في تونس وكان الجنوب من الزيبان حتى المناطق بالتراب التونسي حاليا[2]، وكانت هذه الأراضي تتسع أحيانا وتتقلص أخرى حسب فترات قوة أو ضعف شيوخ الأسرة من جهة، أو فترات قوة وضعف الحكم المركزي من جهة ثانية، كما كان يحدد ذلك طابع العلاقة التي كانت تربط شيوخ الأسرة بالحكام في تونس أو قسنطينة[3].

قيل استمدت قبيلة أحرار الحنانشة نفوذها وسلطانها من اتساع إقطاعاتها مما أعطى الصفة الإقطاعية لها؟ أم من قوة الحلف الذي كونته مع غيرها من قبائل المنطقة؟ وهل الحنانشة أنفسهم كانوا يمثلون حلفا قبليا أم قبيلة موحدة اتسعت تدريجيا ليشمل نفوذها جميع هذه المناطق؟ أم أنها سلطنة توارثها أبناء أسرة واحدة استطاعت أن تكون حكما محليا قويا متماسكا بالمنطقة، تارة يوالي الحكم المركزي وأخرى يخرج عنه؟

-الطابع البدوي القبيلة:

أما عن المكانة الاقتصادية لقبيلة أحرار الحنانشة فانه رغم سعة أرضيها، الذي يؤهلها إلى أن تكون قبيلة إقطاعية كبري فإن طابع البداوة كان يغلب على نشاطها، إذ كانت القبيلة غير مستقرة ولا تستغل إلا الأجزاء الضئيلة من أراضيها في الفلاحة في حين تبقي معظم الأرضي الصالحة للزراعة مراعي لقطعانها وقطعان أتباعها من القبائل، وهو ما جعل الثروة الحيوانية هي أساس ثروة القبيلة إلى جانب الضرائب التي كانت تجمعها من أتباعها ولعل هذا المصدر الأخير لثرواتها هو السبب في إهمال القبيلة لاستغلال أرضها لأن ذلك كان كافيا لتكوين ثروة واسعة لها .

كانت قبيلة أحرار الحنانشة تقوم برحلتي الشتاء والصيف بين السهول والتلال سعيا وراء المراعي الخصبة لقطعانها وكان شيوخها يصلون على رأس قواتهم حتى سهول قسنطينة وعنابة وقالمة التي كانت في الواقع مركزا هامة للقبيلة ومنها يعودون إلى "قلعة

[1] –انظر ملحق خريطة قبائل بايلك قسنطينة.

[2]- Féraud (ch.), les Hrars…, opcit, p22.

[3]-انظر ملحق خريطة قبائل بايلك قسنطينة.

سنان"* ملجأ القبيلة أيام الحروب والمحن، كما كانت قرية "تيفش" مخزنا لحبوبهم وحبوب أتباعهم.

و كان شيخ القبيلة يعسكر بزمالته[1] كل صيف، اما في كاف ثلاثة بجبل مسيد أو بجبل حناش "قلعة سنان" وفي الشتاء ينتقل مع أتباعه إلى الجنوب و ينصب خيامه على ضفاف وادي مجردة حيث يقضي كامل الشتاء[2]؛ بعد هذا العرض لأصول الأسرة وتطورها منذ العهد الحفصي يمكن تصور مكانتها السياسية والعسكرية والاقتصادية قبيل وبعد مجيء العثمانيين إلى المنطقة.

الدور الإداري لقبيلة الحنانشة: اكتسبت قبيلة الحنانشة مكانة هامة لدى العثمانيين بحكم أهمية المنطقة التي كانت تديرها، ونالت العديد من الامتيازات جعلتا قريب من مرتبة الباي أو مساوي لها، في ارتداء شيخها قفطان الباي تعبير عن اعترف السلطة المركزية بحكمه ومساواته مع الباي[3]، أمام سلطة الباشا بالجزائر كما خول له حق استعمال الطابع الذهبي على غرار الباي وقراع الطبول ورفع الأعلام الخاصة أثناء سيره وحمايته كما كان جوق الباي يرافقه من قصر الباي حتى مقر إقامته بعاصمة البايلك كلما حضر لتقديم ما على قبيلته من ضرائب كل هذه الأمور كانت حكرا على الباي في مقابل هذه الامتيازات كان الشيخ يلتزم بدفع ضريبة سنوية تقدر بـــ 10000 بوجو، كرمز لولائه للحكم المركزي بقسنطينة، كان شيخ الحنانشة يشرف على إدارة شؤون 16 قبيلة يسكن القسم الأكبر منها الجبال لأن المنطقة كانت جبلية.

كان شيخ الحنانشة يتمتع باستقلال داخلي يساعده على إدارة شؤونه مجلس يتكون من جماعة القبيلة الذي كان يقوم بتعين أعضاء ديوان القبيلة ولا يمكن للشيخ التصرف

---

[1]- فرقته العسكرية.

[2]- Féraud (ch.), les Hrars…, op.cit. p22.

*-كان كل بآي جديد يدعو شيوخ القبائل الكبرى إلى الاجتماع على ضفة واد الرمال لاستقباله عند وصوله لأول مرة إلى البايلك وهناك يسلمهم قفطان التعيين كرمز لمشاركتهم له في الحكم (انظر Gouvion (E), op.Cit, p.22.

في الأمور الهامة كالحرب إلا بموافقة هذا الديوان الذي كان يقوم على تنفيذ رغبة الرعية[1].

كان من أهم واجبات الشيخ اتجاه القبيلة هو السهر على تطبيق كل أسرة داخل القبيلة لمهامها الاقتصادية العسكرية الإدارية والإشراف على تحركات القبائل الرحل واختيار مضاربها ورعاية مصالحها أثناء الترحال وفي الاسوق التجارية.

أما مهمته تجاه السلطة المركزية فتتمثل أساسا في امريين يشترك فيهما معظم موظفي الإدارة العثمانية وهما: جباية الضرائب من القبائل التابعة له، حفظ الأمن بمنطقة نفوذه.

كان شيوخ قبيلة الحنانشة يتصرفون في أموار رعيتهم بكل حرية وكأي حاكم مستقل ولهم جيوش خاصة تخضع لأوامرهم وكان الحكم وراثي في المنطقة ويعتبرون حكمهم شرعي لأنهم يدافعون عن مصالح القبيلة أمام الحكم العثماني ويعترفون بسلطة البايات، إلا أن بتتبعنا لسياسة شيوخهم وطاعتهم لهم هذا ما أثبتته هذه القبائل أثناء التفافها الجماعي حول شيخها "خالد بن نصر" في ثورة 1046هـ/1637 وغيرها من الثورات التي كان الشيوخ كلما تدخل البايات في شئونهم الداخلية.

إن لقب السلطان الذي أطلقه الرحالة الأجانب أمثال (Shaw) و(Poyssonal) على شيخ الحنانشة يدل الدلالة الواضحة على استقلال حكمه،كما يدل على أن الوفاق الذي كان يطبع علاقة البايات مع هؤلاء الشيوخ لم يكن إلا نوعا من التحالف والتعاون بين الطرفين لتسيير شؤون الرعية وبما أن البايات، كانوا في حاجة ماسة لمساعدة شيوخ الحنانشة فإنهم كانوا يعملون على المحافظة على هذا التحالف الذي كان مهدد بالنقض كلما تعرض استقلال هؤلاء إلى التهديد فتقربوا من أسرة النمامشة عن طريق المصاهرة أو الامتيازات المادية المختلفة.

الطابع العسكري لقبيلة أحرار الحنانشة: أسرة أحرار الحنانشة كانت تتوفر على قوة عسكرية ضاربة منذ العهد الحفصي، حيث كان فرسانها من أهم الوحدات العسكرية التي اعتمد عليها في الحروب وجباية الضرائب، وبفضل قواها العسكرية تمكنت الأسرة من فرض سيطرتها على معظم القبائل الحدودية بين المغرب الأدنى

[1]- كان شيخ الحنانشة يدفع الضريبة أحيانا إلى بأي تونس وأخرى لباي قسنطينة وأحيانا أخرى لا يدفع لأي منهما انظر Féraud(ch.), " Les Hrars.. ", op.cit., p.346

والأوسط وخاصة في غياب السلطة المركزية القوية وهو ما حدث في نهاية العهد الحفصي، وهو ما أشارة إليه ابن خلدون بقوله: «غلبوا على أمرهم منذ ضحى عملهم في ظل الدولة فتملكوهم تملك العبيد للجباية والاستكثار منهم في الانتجاع والحروب»[1].

إلا أن هذا لايعني خضوع الحنانشة للسلطة العثمانية خضوعا تاما، بل كثيرا ما نجدهم يثورون عليهم ويكبدوهم الخسائر الهامة، كما أن مضاربهم كانت في أغلب الأحيان على غرار قبيلة الذواودة، ملجأ للثائرين من الأمراء الحفصيين وذلك قصد إضعاف الحكم المركزي بضرب الحكام بعضهم ببعض وهو ما حدث في سنة383هـ/1434م، إذ فر الفضل أخ المنتصر إلى الحنانشة الذين ساندوه في ثورته ضد أخيه، إلا أن الثورة انتهت بالفشل وكانت سببا في الهزيمة القبيلة وتشريدها[2]، إلا أن القبيلة سرعان ما كانت تجمع شتاتها وتعود إلى موطنها بقوات جديدة،وقد زاد من قوة ونفوذ الحنانشة تحالفهم مع الشابية [3]، الذين فروا من القيروان بعد حروبهم مع الحفصيين وكونوا حلفا قويا مع معظم قبائل الحدود الشرقية للمغرب الأوسط حتى الاوراس غربا فكونوا بذلك دولة مستقلة قوية وقفت ضد كل من الحفصيين والعثمانيين بعد ذلك وقد أطلق الباحث "فيرو" على هذه القبيلة (الدولة) التي كانت معظم قبائلها من الرحل اسم "الجمهورية الرعوية" (pastoral République)[4].

3 – أسرة بن قانة:

جاء في كتاب الأنساب للشيخ احمد بن محمد العشماوي، الذي دون فيه تاريخ الأسر الشريفة ومنها "القنوات" التي تنحدر منها الأسرة،حسب الشيخ بن قانة، وقد نقل لنا الشيخ جزاء من الكتاب جاء فيه: «إن ابن عطاء القنوات وونوغة وأولاد مهدا، كانوا يملكون جبل بوعون غير بعيد عن بني سنوس، كان جدهم يدعى محند(محمد) ويلقب بابن مسعود بن موسى بن عزوز بن عبد العزيز بن جبار بن عمران بن سالم بن عبد الله بن احمد إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر....». وبعد ذلك يقول:

---

[1]- ابن خلدون، مصدر سابق، ج6،ص،289.

[2]-ابن أبي الضياف(احمد)،المصدر السابق،ص236.

[3]- طريقة صوفية وسياسية ظهرت في القرن العاشر الهجري . ومن زعمائه الشيخ عرفة بن نعمون الشابي والذي ينتسب إلى "الشابية" مدينة قرب المهدية بتونس.

[4]-Féraud (ch.),kitab el adouani,opcit,pp95-97.

«أن القنوات يسكنون العداوة (الساحل الشمالي) غير بعيد عن افريقية (تونس) وجدهم هو محمد بن مسعود » [1].

ونفس النسب أكده شيوخ الأسرة الأوائل للباحثين الفرنسيين الذين سلمت لهم وثائق أسرية تثبت هذا النسب منها الرواية المكتوبة التي سلمت إلى القائد "سراكة"(commandant sera ka) الذي حضر، احتلال الزاب وتقرب وكتب عن تاريخ المنطقة في هذه الفترة[2]، إلا أن الباحث "فيرو" (Féraud) الذي نشر هذه الوثيقة، انتقدها بشدة وقال أنها خلطت بين سليمان الجد الأول للأسرة والحاج سليمان بن قانة صهر الباي احمد القلي[3]،وبذلك علق الرواية شخصية محمد بن قانة نعيش لعدة قرون من دخول الأتراك العثمانيين قسنطينة (حوالي 1534م) إلى عهد الباي احمد القلي1169هـ/1756م، والرواية تقول أن احد أسرة ابن قانة الأول وهو محمود بن قانة كان من كبار علماء الأندلس، وقد فر سنة 856هـ/1452 م مع الفارين من مسلمي الأندلس إلى المغرب الأوسط اثر عمليات المطاردة التي تعرضوا لها من طرف الأسبان، وان هذا العالم كان من أشراف الأندلس إلا انه أضاع ما يثبت نسبه هذا أثناء العملية الفرار.

وبينما ينفى الباحث فيرو النسب الشريف للأسرة نفيا قاطعا يؤكده وبشدة الباحث (Gouvion) معتمدا أن في ذلك على الراوية المذكورة من جهة وعلى شجرة النسب التي أعاد صياغتها أبناء الأسرة اعتماد على الروايات أسلافهم من جهة ثانية ويؤكد الباحث على صحة هذه الشجرة بقولهما إنها مثبتة بالحجة القاطعة وممضاة من طرف عدد من العلماء والقضاء، منهم الشيخ احمد بن محمد الحسين، سي محمود موفق الحفصي الشيخ المجاوي عبد القادر والشيخ ابن وادفل[4]، وقد نشر الكاتب هذه الشجرة ابتداء من الشيخ بوعزيز بن" قانة " أخر شيوخ العرب الأسرة في عهد العثماني إلا أن ما يلاحظ من هذه الشجرة هو اختلافها عن الشجرة التي نشرها شيخ الأسرة

---

(1) -Gouvion- (E) , (Benganab). OP.CIT. p.23.

(2) - commandant sera ka, Le sud Constantinois de 1830 a 1855, pp1912.

(3)- أنظر الملحق شجرة النسب بن قانة.

(4) - Féraud (Ch.), Le Sahara de Constantine, OP.CIT, p216.

"بوعزيز بن قانة " في مراجعة العديد من الأسماء، وقد توصل إلى أن نسب الأسرة لا يدوم إلى امرأة تدعى"قانة".

نفوذ أسرة ابن قانة في الصحراء:

فكيف وصلت أسرة ابن قانة إلى الصحراء وسيطرت على بعض القبائل في المنطقة؟ إن الباي احمد القلي (1756هـ/1721م) جد أحمد باي آخر بايات قسنطينة هو الذي كان وراء انتقال أسرة ابن قانة إلى الصحراء ذلك انه كان حريصا على إيصال أصهارها إلى المجد السياسي الذي كانت تتمتع به بعض الأسر المحلية ببايلك، وكان اول عمل له في هذا السياق هو تزوج أخت زوجته"مباركة" ابنة بن قانة لابن أخ شيخ العرب "علي بوعكاز" وبهذه الطريقة استطاع أن يربط أصهاره بأكبر أسرة بالصحراء المتمثلة في أسرة بو عكاز من قبيلة الذواودة، وكانت الخطوة الثانية في خاله الباي، هي الزيارات المتكررة لمحمد بن قانة، أخ مباركة إلى الصحراء بدعوى زيارة أخته الأمر الذي سمح للضيف من تكوين علاقات مع سكان المنطقة وكانت له سياسة واضحة في تحقيق الألفة بين سكان المنطقة وحاول القضاء على كل التمردات في إقليم قسنطينة وعمل على استتباب الأمن وشجع خدمة الأرض وغراسة الأشجار وتطوير الحياة الاقتصادية في البايلك[1] وقد حافظ الشيخ على هذه العلاقة بما كان يدره على الفقراء منهم من صدقات جعلته يحتل مكانة هامة في نفوس العرب سرعان ما استغلها الباي لتعيين شيخا عليهم، فكان ذلك بداية لإشعال نار الحرب، بين شيوخ العرب القدامى من أسرة بوعكاز وشيوخ العرب من أسرة بن قانة[2]، ولكن السؤال الذي يجب طرحه في هذا السياق هو: هل حقا أن نفوذ أسرة ابن قانة لم يظهر في الصحراء إلا في فترة حكم الباي احمد القلي؟ أم أن هناك من يشكك في ذلك؟

إن العديد من الشواهد التاريخية تجعلنا نقول أن وجود أسرة ابن قانة بالصحراء كان سابقا للتاريخ تولي الباي احمد القلي[3] الحكم في قسنطينة منها ما جاء في رحلة

---

(1)- محمد صالح العنتري .مصدر سابق .ص76.

(2) – انظر ملحق شجرة نسب أسرة بن قانة.

(3) –احمد باي القلي حكم من1756- 1771م وجاء بعد حسين باي زرق عينو وهو جد الحاج احمد باي وهو تركي صاحب ديانة وشجاعة في الحروب وعين اغا على القل في عهد هذا الاخير ومنه اخذ هذا اللقب . توفي سنة 1185هـ /1771م.

الشيخ الحسين والورتيلاني، الذي مر بمنطقة الزاب سنة 1175هــ/1762م حيث التقى بشيخ العرب الحاج ابن قانة وقال عنه ما يلي : «وفي هذا اليوم لقينا ولد الشيخ الجيد الذي كانت أزمة العرب في يده وأيضا كلمته مقبولة ومنفذة عند ترك الحاج بن قانة، وكان رجلا عاقلا مطمئنا في نفسه ثقيلا يأخذ كثيرا بيد الضعيف ولذا لم يضرب سعيه ولا انكشف رأيه فدام ما معه من الستر والعافية عليه مع تدوال أولى الأمر على وطن قسنطينة وعادتهم إذا جاء والي جديد غير أصل الدولة الأولى الدولة وربما يصلح به من أصحابه وهو الحمد الله مقبول محبوب عند كل متولي ...»[1].

فالرحالة بقوله هذا يؤكد أن وجود الشيخ ابن قانة بمنصبه كان سابقا لعهد الباي احمد القلي وهو ما أشار إليه أيضا المؤرخ الفرنسي "قوفيان "Gouvion بقوله «أن نفوذ أسرة ابن قانة وصل حتى تقرت ورقلة وان بآيات قسنطينة كانوا يحترمون شيوخ الأسرة ويتفاوضون معهم على قدم المساواة واستدلا على ذلك بعض من رسالة الباي حسن زرق عينو (1167-1170 هــ175_1756) كان قد وجهها إلى سي مصطفي قائد بسكرة»[2].

وهذا يدلنا على وجود شيوخ هذه الأسرة بالصحراء قبل مجيء الباي احمد القلي إلى الحكم 1170هــ/1756م إلا أن هذا لا ينفي بالضرورة بأن نفوذ أحمد القلي هو الذي أوصل أصهاره إلى حكم الصحراء سواء كان ذلك قبل توليه البايلكية أو قبل ذلك إذ تقلد احمد القلي العديد من المناصب التي كانت تخول له تحقيق أغراضه وأغراض أسرته دون للوصول إلى الحكم، منها منصب الباش سيار ثم آغا القل ثم خليفة للباي الباي زرق عينو[3] ولعل انتقال الأسرة إلى الصحراء كان في فترة خلافته للباي المذكور وليس في فترة حكمه لقسنطينة؛ وأمر تاريخ دخول هذه الأسرة الصحراء فإنها استطاعت في فترة قصيرة أن تصبح أسرة حاكمة قوية إداريا وسياسيا وعسكريا، وان

---

[1] - الورتلاني الحسين، المصدر السابق،ص 105.

[2] -Gouv ion(E) ;(M) ; "Les Beng ana", op.cit. p.5.

[3] - حسين باي المعروف بزرق عينو 1754-1756م وهو تركي اعلن الحرب على داي تونس بابا علي سنة 1755م بسبب رفضه دفع ما عليه من جزية لخزينة الدولة اقتحم تونس بدعم من أمير تونس اللاجئ في قسنطينة علي باي بن حسين باي بن علي يوم 5 ذو الحجة 1169هــ /31اوت 1756م.و قتل علي باشا وابنه محمد باي.

تسيطر على معظم أراضي بالزاب[1] وان نفوذها بالمنطقة قد بقي صوريا ومدعما من طرف بآيات قسنطينة حتى نهاية العهد العثماني[2].

ـــ الطابع العسكرية قبيلة لأسرة بن قانة:

لم يكتف بايات قسنطينة بوصول أسرة ابن قانة إلى مشيخة العرب وحكم الصحراء، بل سعوا إلى دعمها بقوات عسكرية هامة خولت لشيوخها السيطرة على المنطقة، رغم رفض السكان لحكمهم، ومحاربة أسرة بوعكاز، شيوخ العرب الشرعيين لهم، كانت الحامية العسكرية المقيمة في بسكرة تساند الأسرة وتخضع تحت تصرف شيوخها تساندها قوات عامة من قبائل الصحراء.

و كانت قبيلة الصحاري أهم قبيلة عسكرية لدى أسرة بن قانة، وكانت تشمل الحرس الخاص لشيوخ العرب وأكثرها إخضاعها لهم، كما ضم البايات لقوات ابن قانة العديد من القبائل التي اشتهرت باللصوصية وقطع الطريق منها قبيلة الشعانبة، يمكن أن نقول أن أسرة بن قانة ورثت المنطقة، من أسرة بوعكاز وهذا ما أراد بايات قسنطينة من تحقيقه وكسر شوكة الذواودة، وسوف تكون لهذه العملية دور فعال في المنطقة، بحيث تدخل في صراع مرير بين القبائل، وسوف يتضح ذلك في الفصل الخاص بالعلاقة بين السلطة البايلك والقبائل.اذا كانت اسرة بن قانة قد ظفرت بمنصب شيخ العرب اواخر العهد العثماني بازاحتها لأسرة بو عكاز و باعاز من السلطة العثمانية ،فذلك يفسر لنا جليا طبيعة الحكم العثماني و علاقته مع قبائل الريف القسنطيني فالى أي مدى استطاع الحكام العثمانيون في بايلك قسنطينة استمالة السلطة الروحية المتمثلة في شيوخها و هيئاتها و مريديها لصالحهم ؟ام كان تحالف ضمني بين هما تجمعهم المصلحة المشتركة و تفرقهم مطالب وامتيازات مادية و معنوية؟هذا ما نسعى لتحقيقه في الفصل الموالي.

[1] ـــ أنظر ملحق الخريطة التوضيحية لمناطق نفوذ القبائل في بايلك الشرق الجزائري.

[2] - Féraud(ch.) ;le Sahara de Constantine ;pp.219-220.

الفصل الخامس: السلطة الروحية في بايلك قسنطينة

سلطة الطريقة الصوفية

وجد العثمانيون الأرضية مهيأة في الجزائر فيما يخص الطرق الصوفية لاعتمادها على الهياكل المنوطة بها المتمثلة في الزاوية، وشيخ الطريقة الأشراف والوجهاء والأولياء لأنهم نخبة المجتمع، نظرا لشيوعها في بلاد المغرب العربي خلال العهد العثماني، وقسنطينة من أهم المناطق تأثرا بذلك.

ولم يكن الوجود الصوفي حديث العهد بل كان قديما ووجد الأرضية المناسبة ليشوعه وانتشاره، فإلى أي مدى تعاملت السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية ومع شيوخ الزوايا؟ وهل كان لها دور في دعمها ومنحها ما تستحقه من دعم مادي ومساندة معنوية وامتيازات خاصة؟ هل استفادت السلطة من النفوذ الروحي للطرق الصوفية في خدمة مصالحها؟ وإلى أي مدى نجحت الطرق الصوفية في تعبئه السكان لصالح السلطة العثمانية في بايلك قسنطينة؟

الزوايا و دورها الاجتماعي و السياسي

لقد كانت للزاوية [*1] والطرق الصوفية سلطة قوية، بما تملكه من مال وأتباع في المجتمع، وقد انصهرت سلطتهما في المجتمع بمختلف طبقاته، وشيوخ الزوايا، يمثلون السلطة الروحية وهم أصحاب مكانة بين أهل المنطقة التي ينتشر فيها أتباعهم ومريديهم وكل طريقة تنشر ثقافتها في مجال غير متناهي حسب قوتها التي تستمدها من مبادئها وخدماتها الاجتماعية المتمثلة في تعاليم الشرع الإسلامي وإعانة الفقراء والمعوزين والأيتام وعابري السبيل، وتعبئة أفراد المجتمع في سياق اجتماعي ديني.

[*] -الزاوية: مؤسسة كبيرة ارتبط وجودها بتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور أولى الزوايا وهو أمر مختلف فيه عند جل المؤرخين، وأما في الغرب الإسلامي فإن الزاوية قد ظهرت منذ أيام الموحدين، بعد أن زال نوعًا ما دور الرباط العسكري وأصبحت الزاوية مركز دول في بعض مواطن الغرب الإسلامي، "الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، السنة 12، العدد:40-41-42-43، الشركة التونسية للفنون، أفريل 1975م، ص100؛ الميساوي (عبد الجليل)، "زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 21، السنة السابعة، تونس، 1982، ص55؛ معريش (محمد العربي)، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1290-1311هــ/1873-1894م)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ص127؛ مؤنس (حسين)، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، ص61؛ ضريف (محمد)، "مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع، السنة الأولى، العدد 1 ، 1986، ص18.

وتعتبر الزوايا مراكز إشعاع هذا السياق، و قد تحل محل السلطة السياسية إن غابت أو تتحالف معها مثلما نجده في مواجهتها للغزو الايبيري على سواحل البحر المتوسط بداية من القرن الخامس عشر وما بعده .و هنا كان التحالف بين التواجد العثماني في شمال إفريقيا كسلطة سياسية والطرق الصوفية كسلطة روحية. إن حرص قادة الرأي العام من العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية، بما يملكون من مكانة في نفوس الناس وما بين أيديهم من ثروات طائلة وعقارات كبيرة، هي التي شكلت نقاط اللقاء بين السلطة العثمانية الجديدة، والسلطات القائمة التقليدية من الفقهاء، والقضاة، وشيوخ الزوايا باسم الجهاد، فرد الغارات الأجانب والانتصار عليهم كان يعتبر من أهم أنواع الجهاد وليس ذلك متوقفا على مواجهة الاستعمار الايبيري[1].

إن علاقة الشيخ بالمريدين[2]، علاقة متينة في الخيال الثقافي الشعبي، ولهذا عملت السلطة مجهودات كبيرة للانخراط في هذا المجال، فعززت صفوفها بكسب ولاء وود رجال الطرق وأصحاب الزوايا .

إن ثورة درقاوة[3] التي انتمى إليها الثائر محمد بن عبد الله بن الأحرش صاحب الثورة في وادي الزهور على الباي أحمد القلي الذي ثار على السلطة العثمانية، مع حلفائه أولاد عطية وكانت بينهم وبين أحمد القلي مواجهات مسلحة، هزت فيها الطريقة الدرقاوية السلطة المركزية في الجزائر [4]، وكادت ثورة ابن الأحرش وحليفه المرابط عبد الله الزبوشي الرحماني قلب الأوضاع في الشرق الجزائري ضد العثمانيين،،

---

(1)- تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص205.

(2)-للمزيد حول هذه النقطة أنظر: محمد بن عبد الله الشافعي الطصفاوي التيجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني، المعارف، تغزوت، وادي سوف، د.ت، ص28 وما بعدها.

(3)-ما تجدر الإشارة إليه هو أن الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر كانت مليئة بالثورات ضد الوجود العثماني في الجزائر، ومثال ذلك ثورة محمد بن عبد الله الشريف (الملقب بابن الأحرش) سنة 1804، في شرق البلاد وثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي سنة 1805 في غربها، وثورة محمد بن أحمد بن سالم التيجاني سنة 1826 في جنوبها، بالإضافة إلى تمرد القبائل في الشرق والغرب والجنوب، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص222؛ بلحميسي (مولاي)، "الثورة على الأتراك في الجزائر"، مجلة الثقافة، العدد 48، الجزائر، 1978؛ ناصر الدين سعيدوني، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية (ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي. بيروت، 2000، ص310.

(4) – محمد صالح العنتري.مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص29.

كذلك الطريقة التيجانية[1] التي اعتنقها بعض كبار أفراد حاشية، ليس لأن هذه الطريقة كانت من مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن زيارة الأضرحة مثلا، بل أيضًا لأن أتباع الطريقة التيجانية في الجزائر-حيث نشأت- كانوا يومها ضد الأتراك وحكمهم.

اشتهرت في الشرق الجزائري في كل من الجزائر، وقسنطينة– الطريقة الرحمانية، التي أسسها عبد الرحمن الأزهري) (مجاورة) وتأسست بها عدة زوايا من أهمها زاوية باش تارزي بقسنطينة التي أسسها عبد الرحمن باش تارزي، والزاوية" العزوزية" بضواحي بسكرة التي أسسها تلميذها ابن عزوز البرجي المتوفى سنة1233 هجرية، وقد امتدت فروع هذه الزاوية إلى تونس وطرابلس، عن طريق أبناء ابن عزوز البرجي.

أما الطريقة التجانية التي أسسها أحمد التجاني المتوفى سنة 1230 هجرية من أهم الطرق التي شدّت انتباه الناس إليها، لأنها كانت من بين الزوايا أو الطرق التي ثارت في وجه الوجود العثماني، ولها عدة فروع في المغرب الأقصى والسينغال وغيرها من الدول الأفريقية، وفي منطقة القبائل نذكر الحسين الورثلاني المتوفى سنة1193 هجرية الذي ورث الطريقة والزاوية عن اجداده إذ كانت لهم ببني ورثلان زاوية عامرة بالطلبة والمريدين.

وفضلاً عما كانت تقوم به الزاوية من وظائف متعددة تحدثنا عن بعضها فإنها كانت كذلك مخازن للكتب، ومن أشهرها مكتبة زاوية الفيجيجي التي وصفها ابن عبد السلام الناصري، وأشار إلى اعتناء آل الفيجيجي بها، ومباهاة غيرهم بما فيها من نفائس الكتب[2]، وكانت لعائلة الفقون مكتبة ضخمة وغنية بنفائس المخطوطات وكان اعتماد الفقون الحفيد في ثقافته الدينية والصوفية والأدبية عليها كبيراً وكانت مكتبة الفقون من ضمن المكتبات التي مسها الإحصاء أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر[3] كما كانت مكتبة عبد الرحمن باش تارزي من أشهر المكتبات بقسنطينة إذ ذكر تقرير الإحصاء الفرنسي بها

---

[1] – عن ثورة التيجانية على السلطة السياسية العليا المركزية في الجزائر انظر: المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود، الجزء الأول، مصدر سابق، ص352؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الرابع، بيروت، دار الثقافة، 1980، ص51 ؛ الجابري (محمد عابد)، تطور الأنتلجنسيا المغربية، الأصالة والتحديث في المغرب(الأنتلجنسيا في المغرب العربي، بيروت، دار الحداثة، 1984، ص10؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، مرجع سابق، ص509؛ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)، بيروت، مكتبة دار الشروق، (د.ت)، ص79.

[2]– أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي- الفريد في تقييد الشريد وتوطيد الوبيد، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغر، 1983، ص18.

[3]– أنظر عبد الكريم الفقون، مصدر سابق، ص11.

ما يزيد عن خمسمائة مخطوط جلّها في الفقه والدين وحسب هذا التقرير، فلا تكاد تخلو زاوية أو مسجد من مكتبة[1]. هذا يبين لنا دور المؤسسة الدينية و دورها الاجتماعي التعليمي ،و ما هذه الكتب المتنوعة المشارب سوى مظهرا لمكانتها في جمع الشمل و ربط الفرد بكيانه و مقومات شخصيته الدينية و الاجتماعي الحضارية،و من هنا تبرز لنا جمهرة من العلماء الكتاب الذين دونو علوم الشرع و الفرائض و الايام و الاحداث و منهم من جادت قريحته شعرا مثل ابو القاسم الرحموني و منهم من اجادت قريحتهكتابة عن احوال الايام ووصف ححياة العامة و منهم من ركن في كتابة النوازل و نحوها .

وممن كتبوا في مناقب الصوفية وتاريخهم في بايلك الشرق عبد الكريم الفكون والذي قسم كتابه إلى مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة، وبين في المقدمة أن الذي حمله على وضع هذا الكتاب هو ما كان يراه من انقلاب الأوضاع أمام عينيه، فالجهلة أصبحوا أدعياء للعلم، والعلماء أصبحوا في موضع الخساسة، وأهل الطريقة الحقة علاهم أهل الزندقة والبدع.

من أعيان قسنطينة عمر الوزان (ت695هـــ)، وقد وصفه الفكون، بعدة أوصاف منها "شيخ الزمان" ومنها "العالم العارف بالله الرباني" ومنها "وله في طريق القوم اليد الطولى" ومنها "ويقال أنه دعوة الشيخ الصالح القطب الغوث أبي العباس أحمد زروق"[2] ثم يذكر عدداً منها وللعلم فهو لا ينكر كل ذلك بل يشيد به. ولكنه بالمقابل يعيب على الشيخ محمد ساسي البوني أنه صار في "بلد بونة" أي عنابة "رئيس الباطن والظاهر" ويعتقد الناس في البلد ونواحيها أنه "وارث شيخه وخليفته"، ثم ينكر عليه أنه "ادعى مقام الأكابر من الأولياء" ثم يذكر أنه كان شاعراً، و"يزعم أنه شرب من كأس الصفوة" وأنه "جلس على بساط القرب" وأنه "عرج به إلى السماء وكشف له عن أحوال الملكوت"[3] وكل هذه وغيرها مما يتهم به الفكون، الشيخ البوني، ويعتبر ذلك من البدع، وهو كما نرى من "شطحات" الصوفية.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص287.

[2] – عبد الكريم الفقون، المصدر السابق، ص ص35- 37.

[3] – عبد الكريم الفقون، المصدر السابق، ص ص 164- 165.

القسم الثالث

العلاقات بين السلطات في بايلك قسنطينة

الفصل السادس: العلاقات بين سلطة البايلك وسلطة القبائل

إن القبيلة اساس الظاهرة الاجتماعية في الريف القسنطيني والقبيلة تبرز المستوى الاقتصادي والاجتماعي في للريف بما فيه الصحراء[1]، وقوة القبيلة تظهر من مكانتها الاقتصادية و الاجتماعيةوالعسكرية، وهذه المكانة هي التي ترفع ذكرها وتسجل جاهها في حياة المجتمع.ورد المصطلح قبيلة في القران الكريم بصيغة الجمع ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ (الحجرات الآية رقم 13)؛ وتعرض إليه النويري في ترتيبه النوعي للمجموعات البشرية، إذ تندرج من الجذم إلى الجمهور إلى الشعب إلى القبيلة إلى العمائر،ثم البطون، فالأفخاذ، فالعشائر والفصائل وأخيرا الرهط على أن تحديد المفاهيم يختلف من مصدر لآخر[2]، والإشكال الذي يطرح :هل القبيلة حققت دورها المتمثل في شرعية السلطة السياسية في العهد العثماني في بايلك قسنطينة ؟ أو كان النزاع قائم حول السيادة والمال والشرف والجاه والشرف لا غير ؟ وهل حافظت القبيلة على مكانتها الاجتماعية والسياسية؟ وما هي المنافع التي جنتها من تحالفها مع السلطة العثمانية تارة والوقوف ضدها تارة أخرى؟ وهل نعتبر هذا التحالف أو الامتناع منه لصالحها أو على حسابها؟

لتحقيق ذلك ارتاينا أن نسرد مواقف بعض الأسر والقبائل في إقليم بايلك قسنطينة كنماذج لهذه الدراسة من خلال الأسر الشهيرة ولقد اقتصرت في ذلك على أسرة بوعكاز لقبيلة الذواودة، وكذا قبيلة أحرار الحنانشة، وقبيلة اسرة بن جلاب، وأيضا قبيلة أسرة المقراني قلعة بني عباس.

موقف الأسر الحاكمة وشيوخ القبائل بأرياف قسنطينة من العثمانيين:

الإشكال المطروح في هذا الصدد كيف تعامل العثمانيون مع القبائل وشيوخها قبل وبعد دخولهم قسنطينة؟ وما موقف شيوخ القبائل الخارجة عن المدينة مع نظام الحكم الجديد؟ هل فعلا كان خضوع القبائل خضوع جبريا للعثمانيين أم كان للعثمانيين

---

(1) – فلة القشاعي موساوي، النظام الظريبي في الريف القسنطيني، مرجع سابق، ص 57.

(2) – محمد الامين بلغيث تاريخ العدواني .ص56.

سياسة استطاعوا من خلالها تقويض سلطة القبيلة لصالحهم؟ وعليه استمالة الأسر والقبائل لصالحهم، عن طريق المراسلات واللقاءات التي تمت بين الطرفين العثمانيون وشيوخ القبائل؟

إن المصالح الخاصة وعلى رأسها التمسك بالزعامة الإقليمية لكل قبيلة كانت قد لعبت دورا هاما في تحديد موقف كل أسرة حاكمة من القادة الجدد، السبب يدفعنا إلى عرض مواقف بعض الأسرة الحاكمة وكيف تفاعلت مع الأوضاع الجديدة بظهور العثمانيين في المنطقة، والإشكال المطروح يتمثل في ما يلي: هل مواقف هذه القبائل بقت ثابتة أم تغيرت وتطورت حسب تطور الأوضاع التي عاشتها المنطقة طول الفترة العثمانية؟ وما هي الأسباب التي جعلتها تغير من مواقفها إن كان ذلك؟ هل نعتبر مجارات هذه القبائل لسياسة اللعثمانيين رغبة منها أو فرضت عليها قصرا؟ وكيف كان انعكاسها على الأفراد والجماعات في المجال الاقتصادي والاجتماعي والوضع الأمني؟

أسرة بوعكاز قبيلة الذواودة:

تعتبر قبيلة الذواودة من أهم القبائل في بايلك الشرق الجزائري نظرا لعدة اعتبارات منها الجغرافية والاقتصادية والسياسية، ولقد لعبت دورا محوريا في تثبيت الحكم العثماني في بايلك الشرق، ويرجع لنفوذها في المنطقة و لقوتها ودهاء حكامها رغم الصراع الذي كان بينها وبين جيرانها من الحنانشة وأولاد جلاب وأولاد عبد النور[1].

لقد لعبت قبيلة الذواودة دورا مهما في مرحلة أنتقال من الحكم الحفصي إلى الحكم العثماني وكان لذلك نتائج على مستوى القبيلة وعلى مستوى الحكم في البايلك، ومن هنا سنتعرض إلى كيفية وجود هذه القبيلة في منطقة بايلك قسنطينة ودورها ومكانتها قبل مجيء العثمانيين ودورها في تثبيت الحكم العثماني في بايلك قسنطينة والتطورات التي أحدثتها في المجال الاجتماعي والاقتصادي والجيوسياسي.

إن شيوخ الذواودة كانوا من بين الزعماء المحليين الأوائل الذين بادروا بمباركة دخول العثمانيين إلى مقاطعة قسنطينة، وذلك ابتداءا من سنة 920هـ/1522م، حيث تم كما أسلفنا اتفاق بين قائد الحامية العثمانية المرابطة قرب قسنطينة وقبيلة أولاد يعقوب على التعاون فيما بينهم بتمويل القبيلة لأفراد الحامية بالمواد الغذائية

[1] -أنظر ملحق خريطة القبائل في بايلك قسنطينة.

مقابل تزويدها بالأسلحة[1]، وللتعبير عن ولاء الأسرة للقادة العثمانيين أرسل شيخها احمد الكربوش أول زعيم للأسرة في العهد العثماني هدايا قيمة للحاكم خير الدين بربروس من بينها سبعة جمال مكسوة بالفلال المطرزة بالذهب يقودها سبع عبيد من السود وكان ذلك سنة935هـــ/1527م[2] هذا يبين بداية العلاقات العثمانية الذوادية فأصبح العثمانيون يلجؤون إليهم كلما اقتضت الحاجة، فكانت تؤمن الطريق، وقد دامت العلاقة طيبة، وكان التنافس بين الذواودة والحنانشة، فأخذ الحنانشة الناحية الشرقية لقسنطينة، وأخذ الذواودة الناحية الغربية منها[3] وبهذا الوفاق تم بين العثمانيين وولاء الأسرتين وبالتالي ضمنوا هدوء كامل المنطقة الشرقية والجنوبية للبايلك[4] و بعد عملية المطاردة التي قام بها الحاكم العثماني حسن أغا لأولاد صولة بالجنوب، قام بربط شيوخ هذه الأسر رسميا بالحكم العثماني وذلك سنة 1541م بتنصيب شيخها علي بوعكاز بن أحمد الكربوش قائدا على جميع القبائل الرحل ومنحه لقب شيخ العرب[5] و ةمنحه قفطان التولية رمز السيادة و الولاءوبذلك احتلت أسرة بوعكاز مكانة ابن صولة في مشيخة العرب ودخلت عهد جديد اتسم بالتعاون لحفظ الأمن بالبلاد والاحترام المتبادل وكان ذلك طول العهد العثماني ما عدا ما وقع في عهد مراد باي قسنطينة سنة 1046هـــ/1637م بقتل شيخ الأسرة محمد بن الصخري لمجرد شك مما أدى إلى ثورة عارمة ضد الحكم العثماني كادت أن تطيح به لكن الأمور عادت إلى نصابها.

موقف أسرة أحرار الحنانشة من الحكم العثماني: كان أحرار الحنانشة عند دخول العثمانيين الجزائر تحت زعامة الشابية[6] الذي كان يشكل حلفا قويا لمعظم قبائل شرق

---

(1) -Mouloud Gaid, chronique des bey de Constantine. OP.CIT, p.7

(2) – Gouvion (E) ,OP.CIT, p. 197.

(3)- Mercier (E), Histoire de Constantine, OP.CIT , p.194.

(4) –Idem, p.194-195.

(5)-Idem,p.197.

(6) – الشابية طريقة صوفية وسياسية ظهرت في القرن العاشر ومن زعمائها الشيخ عرفة بن نعمون الشابي . وهو الذي خرج عن طاعة الحفصيين في سوسة والقيروان. وقد انتشرت الطريقة الشابية في الشرق الجزائري. يقول ابو القاسم سعد الله في تهميش منشور الهداية «ومازلت اذكر اننا في الطفولة كان الناسينعتون لنا حفرة في الارض (قمار) على انها موضع اقدام فرس الشابي،وهم وهم يشركون بها ويحافظون عليها».

قسنطينة والهدف من ذلك تكوين دولة محلية قوية تخلف الحفصيين وتقف في وجه الأسبان والعثمانيين، وهذا ما أكده الباحث فيرو (Féraud) وأطلق عليها اسم الجمهورية الرعوية (république pastoral) وكانت تمتد من سوف إلى القالة وعنابة، استطاع هذا الحلف أن يصد الدولة الحفصية والعثمانية وإخضاع داي تونس لشروط الشابية عبد الصمد وإقطاعه مناطق من الإيالة[1] رغم هذه المهادنة استمرت الحروب بين الحكام العثمانيين في تونس والجزائر حتى سقوط دولتهم بالقيروان 965هـ—1557م ودخولهم شرق الجزائر وتفكك حلفهم سنة 1088هـ—/1680م[2]، يمكن تلخيص موقف قبيلة أحرار الحنانشة تجاه العثمانيين انه كان في البداية يتسم بالرفض التام رافض سلطة مركزية إلا أن التحالف والاتفاق بين الأطراف الثلاثة الذي يقضي لاقتسام المنطقة بينهم بسيطرة الذواودة على السهول الغربية لقسنطينة والحنانشة على السهول الشرقية منها في حين تكون قسنطينة ونواحيها تحت القيادة العسكرية العثمانية وبذلك تم الاعتراف الرسمي بقبيلة أحرار الحنانشة بالعثمانيين وأصبحت المنطقة تحت زعامة ثلاثية يخضع لسلطة باشا الجزائر وعبر الشيخ احمد بن مبارك بن العطار هذا الوفاق بقوله: «ووقعت بينهم (العثمانيين) وبين العرب وقائع عظيمة أعظمها وقعة واد القطن بين المسيلة وقسنطينة واتخذ كل فريق صاحبه ثم وقع بينهم صلح بان يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثا، ثلث لابن علي بوعكاز شيخ العرب وثلث لشيخ نجع الحنانشة وثلث لحكام الترك وتعاهدوا على هذا وتصالحوا عليه من ذلك الوقت وبقيت العادة إلى وقتنا» [3].و اصبح قفطان التولية متقاسم بين الباي و قبيلة الدواودة لاسرة بو عكاز و اسرة الحنانشة و هي الصبغة السياسية

موقف أسرة بن جلاب:

اذا كانت أسرة بوعكاز والمقراني وأحرار الحنانشة قد احتكت مبكرا ومباشر بالعثمانيين كان حكام تقرت بقوا بعيدين عن أي احتكاك بهم في بدايتهم وذلك لبعد منطقة حكمهم عن منطقة التواجد العثماني فرغم وصول حسن أغا إلى الصحراء حوالي

[1]—الشابي (علي)، "العلاقة بين الشابية والاتراك العثمانيين بتونس بين اواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، عدد18/17، 1980، تونس، ص81.

[2] -Devoulx,opcit,p,45.

[3]- Haédo, opcit.p.272.

سنة 941هـ/1532م، وإخضاع سكانها ومن بينهم قبيلة بني جلاب للحكم العثماني بفرض إثارة سنوية عليهم، فإن هؤلاء سرعان ما خرجوا عن طاعة العثمانيين ورفضوا دفع ما عليهم من ضرائب، وذلك نظر لانشغال الحكام العثمانيين بتحرير الثغور الشمالية للبلاد من الأسبان.

وقد استمر استقلال سلاطين تقرت عن الحكم المركزي العثماني إلى أن غزا صالح رايس المدينة من جديد سنة1552/959م لإعادتها إلى حظيرة السلطة العثمانية وإجبارها على دفع الضرائب التي فرضت عليها من طرف القائد حسن آغا، وستطاع هذا القائد بمساعدة أسرتي بوعكاز المقراني أن يخضع حكام المدينة إلا أن ذلك لم يكن إلا شكليا وبقي هؤلاء شبه مستقلين عن قسنطينة، بل ظل سكان المدينة حسب ما أورده (هايدو) يكنون كل العداء للعثمانيين.

موقف أسرة المقراني سكان قلعة بني عباس:

كانت أسرة المقراني بزعامة عبد العزيز[1] حاكم قلعة بني عباس من اشد المعارضين للوجود العثماني ويرجع ذلك حسب بعض الباحثين إلى التحالف المبكر للإخوة بربروس مع أسرة ابن القاضي، وأمراء كوكو[2]، المناوئين التقليديين لأسرة المقراني منذ وصولهم للسواحل الجزائرية سنة 1512م بدعوى من أحمد بن القاضي على تمتين العلاقة بهذه الأسرة، بل جعل ابن القاضي حاكم على منطقة الشرق الجزائري[3]، الشيء الذي ثار حفيظة شيخ المقرانيين وتحالف مع الأسبان ضد العثمانيين مقابل إتاوة سنوية على أن يُدَعَّمَ من الأسبان بالمدد من السلاح، لكن العثمانيين أرغموا شيخ المقرانيين من تحويل هذه الإتاوة لصالحهم وكان ذلك حوالي 1516م[4]، و منذ تلك الفترة مال ميزان

---

[1] – الامير عبد العزيز اخر الامراء الحفصيين في بجاية توفي سنة 1550 وهو حفيد السلطان عبد العزيز الذي توفي سنة 1510م.

[2] – بنوجيت (يوسف)، قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر للميلاد، الجزائر، 2007، ص142.

[3]-المدني (توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص ص 211-212.

[4]– قدر صاحب الغزوات هذه الإتاوة ب 7000دينار و1000مكيال(صاع)قمح و1000شاهو 700 راس بقر و14 فرس مجهزه، انظر نور الدين عبد القادر محقق غزوات عروج وخير الدين ص.30.

القوة لصالح العثمانيين، وخضوع الأسرتين (المقراني، ابن القاضي) إلا أن هذا ليس النهاية، بل استعاد ابن القاضي قوته وهزم حلفاؤه حكام قلعة بني عباس سنة 1523م، تمتنت العلاقة بين المقرانيين والعثمانيين حتى تم القضاء على ابن القاضي سنة 933هـ/1527م [1]، لكن التحالف رجع بين الأسرتين المحليتين والعثمانيون عند ظهور الأسبان على السواحل القل وجيجل وعنابه وصخرة البنيون[2]، ازدادت الثقة بين أسرة المقرانيين والعثمانيين عندما شارك هذا الأخير في الحملة التي قادها حسن باشا ضد أولاد صولة المناوئين للعثمانيين في منطقة شرق بسكرة سنة 948هـ/1541م.

(1) –يوسف بنو جيت، مرجع سابق، ص143.

(2)- Mouloud Gaid, L'Algérie sous les Turcs, OP.CIT, p5.

الفصل السابع: علاقة البايلك بالسلطة الروحية في بايلك قسنطينة

تشتهر الجزائر بخصوبة الحياة الصوفية وذلك قبل العهد العثماني، وامام الضعف السياسي الذي شهدته الجزائر في عهد الدولة الزيانية والدولة الحفصية في تونس اعتمد المرابطون على انفسهم في الدفاع عن اراضيهم الاسلامية لذلك كانوا يتولون قيادة الحملات والحروب بأنفسهم ضد العدو من ناحية أو يوجهونها روحيا بإصدار الأوامر الى أهل المدن الساحلية خاصة في إقليم قسنطينة، فقد دعا عبد الرحمان الثعالبي اهل مدينة الجزائر للجهاد والاستعداد للحرب في رسالة وجهها إلى سكان بجاية يحثهم بالجهاد[1]، وبما ان المبرر الاول لظهور العثمانيين في الجزائر هو الدين الاسلامي في طليعة المبررات امام الهجمات والتوسعات الايبيرية على سواحل البحر المتوسط لان رغبة الجهاد والحماس الديني والدفاع عن حدود الدولة الاسلامية فوجدوا رجال الدين والمرابطين فتحالفوا معهم ضد العدو المشترك والظروف الاقتصادية والسياسية مواتية لذلك التحالف.

فالتصوف ظهر في المدن ثم انتشر في الارياف وسبب ذلك يرجع الى فساد الادارة المركزية وتعفن الحياة السياسية وكثرة الظلم والفساد، انتشرت الحركة الصوفية في الارياف واسس اتباع المرابطين زوايا فاصبحت منارات للاشعاع في نشر العلم وبث الاخلاق والتحريض على الجهاد ضد العدو[2].

موقف العثمانيين من السلطة الروحية.

كانت الثقة متبادلة بين رجال الدين والعثمانيين منذ نزول هؤلاء ارض الجزائر الامر الذي شد تحالفهم وهدفهم في القضاء على التواجد الصليبي في المنطقة ويعتبر اقليم قسنطينة من المناطق الاولى التي نزل بها العثمانيون ارض الجزائر فبيري رايس الذي نزل هو وعمه كمال رايس بمدينة بجاية في غزوتهما سنة 901هـ، لجأ الى زاوية الشيخ محمد التواتي الذي كان يبلغ من العمر مائة وعشرون سنة، كانا يحسان بالأمن والأمان عند شيخ الزاوية وتأصلت تلك العلاقة بينهم.

و كان بايات قسنطينة يعفون عددا من الزوايا والاضرحة من دفع الضرائب ومنها زاوية عبد الرحمان الاخضري في بنطيوس كما تحث الوثائق على ضرورة احترام الناس

(1) – ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص460.

(2) – نفس المرجع، ص 463.

لعائلته ونسله، ومن هذه الرسالة نستنتج، ان هذا المرسوم بمثابة تعيين رسمي لشيخ الزاوية السيد محمد الشريف ابن المرحوم الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد امقران على زاوية بني بو مسعود وحبست عليه وعلى خلفه من بعده و رفعت عليه كل الضرائب والمغارم المخزنية وان تصان حرمته وحرمة زاويته[1].

ثورة "أحمد بن السخري":

كانت ثورة "أحمد بن الصخري" أهم وأشمل ثورة واجهها الحكام، العثمانيون ببايلك قسنطينة منذ بداية حكمهم، ورغم ذلك لم تنل اهتماما يذكر من طرف المؤرخين الجزائريين، إذا لم نجد حتى ألان من كتب عن هذه الثورة باستثناء الكاتبين الفرنسيين"شارل فيرو" (Féraud) وبربروجر (berbugger) الذين خصا هذه بمقالين هامين بالجملة الإفريقية لسنة 1866، وقد اعتمد فيروا (Féraud) على وثيقة عربية هامة[2]، صورت لنا أحداث وأسباب هذه الثورة ولإتمام النقص الذي كان بالوثيقة اعتمد الباحث على ما كتبه الامبيري"عن الثورة في كتابة "علاج السفينة في بحر قسنطينة" وكذلك على ما كتبه " الأب دان "le père dan" في مؤلفه histoire de barbarie"، في حين لم نجد ذكر لهذه الثورة في المصدر العربي الذي عاصر فترة الثورة وهو المخطوط "منشور الهداية" للشيخ عبد الكريم الفقون الذي، رغم معاصرته للأحداث، لم يذكر شيئا عن هذه الثورة، باستثناء الإشارة إلى أن الشيخ "خالد" في حالة ثورة[3].

ورغم تحول ثورة "ابن السخري" إلى الثورة عامة جمعت معظم قبائل البايلك فان أسبابها كانت شخصية تقف وراءها إحدى الأسر المحلية الحاكمة وهي أسرة بوعكاز الذواودة، وقد كانت هذه الأسرة، كما سبق ذكره، تحتكر مشيخة العرب وتسيطر على صحراء البايلك سيطرة شبه مطلقة الامر لم يكن يسمح لبايات قسنطينة بالتدخل في

---

(1)- انظر ملحق نص الرسالة كاملة.

(2) – هي عبارة في ورقة من مخطوط عربي مفقود كتب على حاشيتها عبارتها "وقعة مراد باي مع بوعكاز"و يعتقد الباحث Féraud ان المخطوط يكون لكاتب من القرن 18م، وهو"سي بركات الشريف" ويقول ان الامبيري يكون قد اخذ من هذا المصدر لتاليف كتابه"علاج السفينة في بحر قسنطينة".انظر نص الوثيقة في Féraud(ch.), "l'époque de l'établissement... ". in R.A, 1866,P.180-181

(3)- الفقون (عبد الكريم)، المصدر السابق،ص 167.

هذه الأراضي أو السيطرة عليها، وكان دور البايات في بداية الحكم العثماني للبايلك الاكتفاء بقبول ما تجود به الأسرة من ضرائب سنوية تدل على ولائها الاسمي للبايات مع احتفاظها باستقلالها، وفي عهد الباي مراد (1031-1046هـ/ 1622-1637م) كانت المحاولة الأولى للقضاء على نفوذ هذه الأسرة والتخلص من سيطرة الاسرةعلى جنوب البايلك حيث قام الباي بالقبض على شيخ العرب "محمد بن الصخري" وجماعة من أعيان الأسرة وسجنهم عندما قدموا إلى معسكره[1]، لتقديم ما على الأسرة من ضرائب، ثم أرسل إلى باشا الجزائر (علي باشا) يستأذنه في قتل الشيخ بتهمة العصيان ومحاولة الانفصال عن السلطة المركزية، وبعد وصول امر من الباشا والديوان نفذ لباي الحكم في الشيخ وستة من أعيان الأسرة كما قتل ابن الشيخ الذي كان يرافقه، وحتى تكون هذه الأسرة عبرة لغيرها من الأسر من تتمسك باستقلالها أرسلت رؤوس أعيان الذواودة الستة[2]، إلى قسنطينة لتعلق على أسوارها[3] وكان ذلك يوم الأربعاء 1 صفر 1047هـ (جوان 1637م)[4].

بعد وصول خبر اغتيال شيخ العرب ومن رافقه إلى الذواودة بالصحراء ثارت أسرة بوعكاز وعلى رأسها أخ الضحية "احمد بن الصخري " الذي أعلن الثورة على الباي قسنطينة" مراد للثأر لأخيه، وفي السنة الموالية (1048هـ1638م) اجتاح بجيوشه على مدينة قسنطينة.

وقد صادف هذا الحدث آخر بشرق البايلك ثارت أسرة أحرار الحنانشة ومن تبعها، وهو إقدام السلطة العثمانية على هدم الباستيون الفرنسي bastion de

---

[1]- كان الباي يعسكر على بعد 4 كلم جنوب مدينة قسنطينة، في منطقة جبل الزيتون غرب الجامعة المركزية الحالية.

[2]- لم تذكر المصادر ان رأسي الشيخ وابنه قد علقتا على اسوار المدينة وبعد ذلك كان خوفا من ثورة ابناء الشيخ بوعكاز.

[3]- انظر الملحق

[4] - Férand(ch) " Epoque de l’etablissement des turcs à constantine", in R.A, vol10, 1866, p180.

France بالقالة[1]، الذي كان مصدر رزق لسكان شرق البايلك، ومصدر ثراء "خالد بن نصر" الذي تضررت مصالحه الشخصية من جراء هذا العمل، يعلن الثورة على الباي مراد ويقوم بطرد الحاميات التركية المتواجدة بمناطق نفوذه كما سيطر على ساحل البايلك بعد أن طرد إلى تونس .كانت قبائل ذياب ودريد وأولاد نهد الموالية للقائد العثماني "علي بتشين" الذي قام بتحطيم الباستيول بأمر من باشا الجزائر وأثناء هذه العملية التمشيطية لساحل بايلك قسنطينة انظم إلى الشيخ "خالد بن نصر" والعديد من القبائل الجبلية (البربرية) التي كانت في ثورة ضد السلطة العثمانية لنفس السبب وهي ما عرف بثورة فليسة[2] التي اختلطت أحداثها مع أحداث ثورة ابن السخري وتزعمت الأحداث في هذه المنطقة أسرة حاكمة ثالثة هي أسرة المقراني [3]، و بذلك توفر شرطان مختلفان لقيام ثورة موحدة وتزعمتها أهم الأسر الحاكمة لباليك قسنطينة، وكادت أن تقضي على الحكم العثماني في بدايته، فقد هاجم شيخ العرب أحمد بن السخري قسنطينة من الجنوب الغربي حيث أنضمت اليه أسرة المقراني بقواها بزعامة الشيخ بتقة بن ناصر[4]، في حين كانت أسرة أحرار الحنانشة تكبد القوات العثمانية بشرق البايلك الهزيمة تلو الأخرى وقد وصفت لنا الوثيقة العربية، التي عثر عليها الباحث الفرنسي فيرو (Féraud) قوة الهجوم الذي شنه ابن السخري على قسنطينة أحسن وصف فجاء فيها:«...بعد قتل المذكورين جهز اخو (كذا) الهالك المذكور وهو أحمد ابن السخري جميع الأعراب والحنانشة وغيرهم من سائر الرعية كان من كان من باب الجزائر (كذا) إلى باب تونس ونافق على دار السلطان بزمالته المذكورة بقسنطينة فخرج أهل البلد لقتاله فغشيهم بخيلة ورجاله وقتل منهم نحو خمسة وعشرون رجلا فخرجوا إلى البلد مكسورين وفي غد ذلك اليوم فزع بخيله ورجاله

---

[1]- يعود سبب هدم الباستون، وهو امتياز فرنسي قديم كان سببه إلى تازم العلاقات الفرنسية الجزائرية بسبب تجاوز الفرنسيين للامتيازات المخولة لهم بساحل القالة والمتمثلة في احتكار صيد المرجان، إلى اعمال تجارية واسعة تم الاتفاق عليها بين القبائل وعلى راسها أسرة احرار الحنانشة وبين التجار الفرنسيين بالوكالة الفرنسية وقد شملت تصدير الحبوب والجلود والشمع والخيول إلى مرسيليا دون علم من السلطات العثمانية انظر Berbrugger(A), " notes relatives à la Revolte de bensakhri",in R.A, vol10, 1866 p.340.

[2] -حول هذه الثورة انظر الغالي غربي، مرجع سابق، ص ص.142-143.

[3]-Dercou(B), opcit,p84-85.

[4] - المنيا:حي بأحواز قسنطينة على الطريق المؤدي إلى مدينة سكيكدة.

للفحص الأبيض والحامة وتلك النواحي وأطلق النار في نوادر القمح والشعير فأحرقها عن آخرها واحرق ما فيها من دشر (القرى) حتى انتهى الحرق إلى المنيا[1] وأطلق النار من نواحي أخرى ومن الغد وهو اليوم الثالث أطلق النيران من قسنطينة إلى أن انتهى إلى حفرة صنهاجة [2] ولم يزل يحرق وينهب[3] وتقول الوثيقة أن قوات الباي تكبدت خسائر فادحة قبل أن ينسحب الثوار إلى الغرب ويستمر فيرو (Fèraud) سرد أحداث هذه الثورة استنادا إلى الامبري، فيقول أن الباي مراد لم يجد بدا أمام هذه الخسائر من الالتجاء إلى باشا الجزائر فاسل إليه وفدا يعلمه بالإعلان عرب البايلك لثورة عارمة ويطلب منه النجدة للقضاء عليها قبل أن تصبح خطرا حقيقيا على الحكم العثماني بالبايلك فأرسل إليه "علي باشا" قوتين الأولى بقيادة القائد يوسف، والثانية بقيادة شعبان ونتكون القوتان من 200 خيمة أي حوالي 4000 رجل وبذالك وصل عدد القوات العثمانية المجهزة لقمع هذه الثورة بالإضافة لقوة الباي مراد المكون من 100 خيمة (2000 رجل) حوالي 6000رجل[4].

تحركت هذه القوات متجمعة لتهاجم قوات "أحمد بن الصخري" وأتباعه وحلفائه من الأسر الحاكمة بغرب البايلك والتي قدرت ب 10000 رجل[5]، وكان اللقاء بين الطرفين في معركة دامية بمنطقة كجال بين سطيف وقسنطينة، تكبد فيها العثمانيون خسائر فادحة من الأرواح والسلاح إذا قتل العديد من قوات الباي ومن بينهم الكاتبه الأولى ومستشاره "شريط بن صوله" الذي تقول المصادر انه قتل قتله شنيعة من طرف الثوار انتقاما من صديقه الباي الذي تمكن من الفرار من المعركة ولم يتمكنوا من القبض عليه[6] كما غنم شيخ العرب وأتباعه من جميع أسلحة ومتاع القوات العثمانية التي انسحبت منهزمة إلى الجزائر، ويقال إن الباي مراد لم يلتحق الجزائر ولا بقسنطينة خوفا من الانتقام الباشا منه، بل الأب دان Pére Dan الذي عاصر هذه الأحداث[7]

---

[1] - حفرة صنهاجة: بين جبل سيدي مسيد والمرتفعات المؤدية إلى الحامة.

[2]- Ainn(Louis), histoire de l'insurrection…, p.13.

[3]- Féraud(ch.), "L'époque de l'établissement… "OP.CIT, pp180-181.

[4]- Idem, p.183.

[5]- Berbrugger(A), "notes relatives a la révolte de bansakhri ",p.343.

[6]-Féraud (ch.), op.cit. ; p.184.

[7]-كان بالجزائر في سنة 1634، انظر Berbrugger(A),opcit,p.342

يقول أن القائد يوسف إقترح على الثوار تسليمهم الباي مراد لأخذ الثأر شخصيا مقابل تخليهم عن الثورة كان هذا الطلب قد اتفق عليه من طرف أعضاء الديوان بالجزائر لإخماد الثورة من جهة، والقضاء على مراد الباي والاستيلاء على أمواله الضخمة من جهة ثانية، إلان هذا الأخير تمكن من الإفلات من هذا المخطط بفضل بعض أصدقائه بالديوان وما دفع لهم من أموال[1]، بعد فرار مراد باي من موقعه كجال لم تذكر المصادر أخبار عن ومصير مراد باي، ما جاء في الوثيقة العربية التي نشرها فيرو[2] من الهاثر هذه المعركة في صفر من عام 1049هـ(جوان 1639) [3].

أمام تحدي الأسر المحلية الحاكمة للقوات العثمانية وانتقاما للهزيمة التي لحقت بهذه القوات في معركة كجال قرر باشا الجزائر العودة إلى بايلك قسنطينة بقوات أضخم للقضاء على هذه الثورة نهائيا، وبما أن الثورة عمت جميع مناطق بايلك الشرق واختلطت ثورة قبائل فليسة بجبال جرجرة بثورة ابن الصخري وخالد بن ناصر، فان باشا الجزائر بدأ بمحاولة لإخماد الثورة بالجبال القريبة من الجزائر والتي تسببت في قطع الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة، إلا أن القوات العثمانية هزمت مرة أخرى وكانت أن تهلك لولا تدخل احد مرابطي المنطقة لوضع هدنة بين الطرفين بشروط فرضها الثوار على الباشا لقبول وقف المعارك وهي:

-عدم مطالبة العثمانيين للثوار بضريبة اللزمة.

-عودة القوات العثمانية إلى الجزائر دون الرجوع مرة أخرى إلى المنطقة.

-إعادة بناء الحصن الفرنسي (الباستيون) وملحقاته.

عودة جميع الكراغلة إلى الجزائر واسترجاعهم لجميع امتيازاتهم التي أخذت منهم بعد ثورتهم سنة 1636م.

بعد قبول الأتراك العثمانيين هذه الشروط، أعلن المرابط انه سيتكلف بنفسه بحراسة القوات العثمانية حتى تصل إلى الجزائر وحذر القبائل من الاعتداء عليها،

---

[1]-Berbrugger(A), OP.CIT, p343-344.

[2] -Féraud (Ch), OP.CIT, p.181-180

[3]-يعتقد أن الشيخ "احمد بن الصخري" أعلن مكافأة كبرى لمن يأتيه برأس مراد باي ولذلك بقي حسب ما اورده فيرو مثل سائد في منطقة كجال قرب سطيف يطلق على كل من ادعى الشجاعة والقوة فيقال: «وهل اتيت براس مراد باي»، ان العديد من البايات بنفس الاسم خاضوا معارك بهذه المنطقة ومنهم مراد باي تونس1692م Féraud(ch.),"Epoque de l'établissement des turcs..." OP.CIT, p.185.

وبذلك عاد الهدوء النسبي إلى هذه المنطقة، فبقيت أرياف البايلك تحت نفوذ الأسر المحلية الحاكمة[1]، في حين بقيت مدينة قسنطينة بعد فرار الباي مراد في حالة الفوضى والاضطرابات وظهر النزاع من جديد بين مؤيد للعثمانيين ومعارضيهم وقد انتهى الأمر كما مر بنا بارسال الشيخ عبد الكريم الفقون إلى الجزائر لطلب تعيين باي على المدينة ليخلف مراد باي.

في ظل هذه الظروف عاد يوسف باشا[2] إلى الحكم بالجزائر ولإثبات قوت وحفاظا على حياته من انتقام الباب العالي منه في حالة انسلاخ بايلك عن إيالة الجزائر، قرر العودة إلى محاربة المتمردين بالبايلك، وقبل إقحام نفسه في معارك سبق وان ذاق هزائمها، عمل الباشا على مراسله رجال الدين والمرابطين بالمنطقة والتأكد من ساندهم له وكان أول اتصال له بعناية الشيخ "محمد الساسي البوني" وذلك في ذي الحجة 1050هـ/ مارس 1641م يخبره بأنه ألغى حملته للجهاد ضد الإسبان لتحرير وهران بسبب الثورة التي أعلنتها الأسر الحاكمة بالبايلك، ويدعوهم إلى مساعدته على إعادة ثقة الرعية بالحكم العثماني وحثهم على طاعة أولى الأمر، كما اخبره بنيته في العودة إلى البايلك لإعادة الهدوء إليه [3]، وقد تبادل الباشا العديد من الرسائل في نفس الموضوع مع العديد من العلماء ورجال الدين منهم سعيد، مفتي الجزائر وعيس الثعالبي وعبد الواحد الأنصاري وعبد الكريم الفقون وغيرهم.

بعد تهيئة الجو المناسب تحرك يوسف باشا بقواته نحوا البايلك، وذلك عبر البحر عبر عنابة وأخرى عبر البر من جبال البيبان، وكان الباشا على رأس القوة البحرية ومن عنابة اتجه الباشا إلى قسنطينة حيث أقر الأمن وترك الأمور بين أيدي أعيان المدينة

---

(1)- Berbrugger (A), "notes relatives...", Op.CIT, p.345.

(2) - بدا العثمانيون فعلا في تطبيق هذه الشروط وعلى رأسها إعادة بناء الباحثون المفاوضات حوله بين الجزائر وفرنسا في 7جويلية1640م، وتم الاتفاق النهائي على إعادة بنائه في بداية سنةم 1641م انظر Berbrugger (A), OP.CIT, pp345.346

(3)- من خلال الظهائر(جمع ظهير=المراسيم) التي منحت لعدد من الأسر الدينية والمرابطين بمنطقة أولاد عبد النور من طرف شيخ العرب"احمد بن الصخري" وهي مؤرخة في 1055هـ/1651م و1062هـ/1651م يتبين لنا إن هذه المنطقة بقيت ولفترة طويلة تحت السيطرة التامة لأسرة بوعكاز الذواودة انظر Féraud, OP.CIT, pp 186-187 .

وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبد الكريم الفقون ثم تابع عبوره نحو الصحراء لملاحقة الثائر "ابن السخري"، وقد احتفظت لنا بعض المصادر بصور عن المعارك التي دارت بين قوات الباشا المساندة من طرف بعض القوات المحلية وعلى رأسها رجال الدين وبين الثائر "السخري" وأتباعه، من هذه المصادر رسالة عثر عليها الباحث الفرنسي (Vayssette) ونشر ترجمتها في كتابة "تاريخ قسنطينة histoire de Constantine" وهي مرسلة من الشيخ عيسى بن محمد شبلي إلى أستاذه سيدي علي بن سيدي محمد الساسي البوني، المفتي الحنفي بعناية يصف له فيها سير المعارك التي كان يشارك فيها إلى جانب القوات العثمانية ضد "ابن السخري" وحليفه "خالد بن نصر" زعيم الحنانشة [1].

بهذا يمكن القول إن ثورة ابن السخري كانت أول تعبير صريح عن رفض الجزائريين للظلم العثماني، إن الرعية وعلى رأسها الأسر الحاكمة كانت على درجة ما من الوعي السياسي والوطني وإلا فكيف نفسر رفض الثوار دفع الضريبة للسلطة المركزية وهي الدليل الوحيد على خضوعهم لهذه السلطة، وأكثر من ذلك وقوفها إلى جانب أبناء الوطن من الكراغلة الذين طردوا من الجزائر إثر ثورتهم سنة1046هـ /1636م وحرمانهم من جميع امتيازاتهم على الأخص حقهم في المناصب الحكومية خوفا من اتجاههم مع أخوالهم الجزائريين ضد الحكم العثماني، فتبني قضية كهذه من الطرف الثائرين لا يمكن تفسيرها إلا ببروز الشعور الوطني بين الرعية وذلك نتيجة لما أحس به هؤلاء من ظلم في الحكام العثمانيين ويظهر ذلك في ثورة ابن الاحرش أخر ثورة عامة في العهد العثماني.

ثورة عبد الله محمد بن الاحرش[2]

تعتبر ثورة ابن السخري ثورة منظمة تزعمها شيوخ الأسر الحاكمة ببايلك قسنطينة والتف حولها الرعايا لأغراض عدة منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

---

(1)-Vayssette (E), Histoire de Constantine, OP.CIT ,p.99-101.

(2) –عبد الله الشريف الدرقاوي المعروف بابن الاحرش، هو مقدم الطريقة الدرقاوية،مغربي الاصل، حضر الحملة الفرنسية سنة 1212هـ/1798م في طريق عودته من البقاع المقدسة، استقر بالساحل الشرقي بالجزائر، وبنى زاوية في منطقة القبائل قرب جيجل(بني فرقان)، وفيها بدا دعوته المتمثلة في الثورة ضد الحكم العثماني في الجزائر.

والشخصية، فإنها كانت أعمق وأكثر شعبية، إذ كانت تهدف إلى قلب النظام العثماني ليس بالبايلك الشرق فحسب بل في الجزائر ككل .

وأهم ما دفع على هذا الاعتقاد ظهور الطريقة الدرقاوية على راس الثورة بشرق الجزائر وغربها، وقد تزعمها بالشرق ابن الاحرش وبالغرب ابن الشريف الدرقاوي وكأن هناك تنسيق بين الثورتين لأنهما كانا وكلاهما مقدمان للطريقة الدرقاوية وإن لم يفصح الزعيمان على اتفاقهما المسبق على الثورة ضد الحكم العثماني في الجزائر[1].

فبعد التطورات الخطيرة التي وصل إليها الحكم العثماني في نهاية القرن 12هـ/18م وما انجر عنه من ظلم الحكام للرعية وإرهاقهم بالضرائب، في مقابل الأزمات الاقتصادية الزراعية التي اجتاحت المنطقة الشرقية[2] وكذلك منح امتيازات للعناصر اليهودية التي سيطرت تدريجيا على اقتصاد البلاد، وظهور منافسين للفرنسيين المتمثلين في الانجليز في السواحل الشرقية على الباستيول بدا بعض المرابطين والمتصوفة يتخلون عن تأييدهم للحكام العثمانيين ويقفون ضدهم لأنهم اخلوا بالقواعد الإسلامية المبنية على الإخوة والمساواة بين المسلمين، وتقربهم من اليهود إلى حد إشراكهم في شؤون الحكم لذا اتخذ هؤلاء مسؤولية الدفاع على الإسلام وشرعوا في التحضير للثورة ضد الظلم والفساد العثماني وقد كانت ثورة ابن الاحرش الثمرة الأولى لهذا الاتجاه، إلا أن هذه الثورة، رغم تأييد المرابطين لها والتفاف الرعية حولها باسم الدين، فان أسبابا خارجية أقحمت فيها.

فقد ربط الفرنسيون ثورة ابن الاحرش بالصراع الفرنسي الانجليزي بالمنطقة واتهموا الانجليز بتحريض "ابن الاحرش"، منذ التقائهم به في مصر، على عرقلة المصالح الفرنسية بالجزائر، وقد استدلوا على ذلك بالمساعدات التي قدمها الانجليز للثائر في مصر[3]، إذ خصصوا له ولرفاقه عددا من السفن لنقلهم إلى شمال إفريقيا [4]، وتقول المصادر الفرنسية أن الثائر كان يصرح بميله للانجليز وكرهه للفرنسيين منها قوله في إحدى خطبه إمام القبائل : «أن هؤلاء الانجليز قد حرروا الأرض من مغتصبيها (الفرنسيين) لذلك امرني الله أن أعاملهم معاملة حسنة ».

---

(1) - Berbrugger(A), "un chef Kabyle… ",OP.CIT, p p 210-211.

(2) جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، 1987، ص256.

(3) – سبق وان اشرنا إلى ان ابن الاحرش شارك في صد الحملة الفرنسية على مصر وقد اجنب الانجليز بشجاعته في الدفاع عن مصر واحسوا بكرهه للفرنسيين الامر الذي جعلهم يعتمدون عليه في ضرب المصالح الفرنسية بالجزائر .

(4) – Vayssette (E), opcit, p 268.

والحقيقة أن ثورة "ابن الاحرش" تزامنت من اشتداد الصراع الفرنسي الانجليزي على أملاك الدولة العثمانية، وقد انتهز الانجليز فرصة التنافر الذي حصل بين الجزائر وفرنسا بسبب حملة نابليون على مصر 1212هـ/1798م، للتقرب من الجزائر والحصول منها على ما كان للفرنسيين من امتيازات بها، إلا أن عودة التقارب بين الطرفين، الفرنسي والجزائري، وخاصة بعد اتفاقية 1217هـ/1802م التي اعتادت لفرنسا جميع امتيازاتها بالجزائر[1]، سعى الانجليز على إثارة الوضع بالبلاد عن طريق ثورة محلية عارمة للإطاحة بالحكم العثماني، وضرب المصالح الفرنسية بالبلد وتدخل تلك العملية في التنافس الأوروبي على الامتيازات في الدولة العثمانية وخاصة في الجزائر، وقد كان اول عمل قام به الثائر ابن الاحرش حسب المصادر الفرنسية هو الهجوم على الحصن الفرنسي الباستيول بالقالة فقد ذكر ber (brugger) أن اول ما قام به ثائر تصليح مركب بجيجل ومهاجمة الصيادين الفرنسيين على راس ستين من الصعاليك (bandits) فقتل عدد منهم وأسر 54 رجل من المنطقة [2] ويذهب احمد الشريف الزهار إلى أن هناك علاقة بين الثائر وباي تونس حمودة باشا لما كان من عداء بين تونس والجزائر أما في التحفة المرضية فيذكر محمد بن الأمير عبد القادر نفس الطرح[3] استنادا إلى أن ابن الاحرش، نزل عند الباي حمودة باشا الذي أكرمه واقترح عليه التعاون معه ودعمه بالمال والسلاح حين رجوعه من الحج، وكل المصادر تؤكد أن ثورة بن الاحرش كانت مدعومة من الخارج لما آلت إليه منطقة الشرق الجزائري من أوضاع سيئة.

إن التفاف قبائل الساحل الشرقي للجزائر حول ابن الاحرش كان لعدة اعتبارات منها:

1- التذمر العام الذي ساد أوساط السكان من ظلم الحكام العثمانيين وبطشهم.

2- سياسة العثمانيين وانفتاحها مع اليهود والنصارى (امتيازات تجارية).

3- تضييق الخناق على أهل البلاد (السكان).

4- قوة شخصية ابن الاحرش بشجاعته وفصاحته وقدرته على الإقناع.

---

[1] – وقعت الاتفاقية بين مصطفى باشا من الجانب الجزائري سنة 1802و Dubois Thanville من الجانب الفرنسي وقد نصت المادة الثالثة على ما يلي :(تعيد الإيالة إلى الجمهورية الفرنسية جميع المؤسسات الافريقية بنفس الطريقةو نفس الشروط التي كانت معروفة قبل القطيعة) انظر العربي الزبيري، مرجع سابق، ص301.

[2] - Berbrugger(A), "un chef Kabyle... ",opcit,p211.

[3] – الغالي (الغربي)، المرجع السابق، ص 163.

5-شرف نسب ابن الاحرش وادعائه الولاية والتفاف الرعية من حوله باسم الجهاد ومن قوله: «أنه صاحب الوقت وإن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيث توجه وبارود عدوه لا يضره ولا يصيب أتباعه بل يرجع لديهم ماء إلى غير ذلك من الادعاءات الكاذبة ... »[1].

6-إعلان الثورة على الامتيازات الغربية[2] التي كان السكان يرون فيها التحالف العثماني الأوروبي ضد مصالحهم [3].

بداية الثورة والهجوم على قسنطينة :

كثر أتباع ابن الاحرش خاصة قبائل ساحل بايلك قسنطينة بالدروس التي يلقنها لمريديه بمسجد سيدي الزيتوني بجيجل ثم بالزاوية التي بناها ببني فرقان حيث اطلع شيوخ القبائل على نيته في تخليص البايلك من الحكم العثماني فاستجاب له الجميع بذلك بدا في احتلال المناطق الساحلية وطرد الحاميات العثمانية من جيجل والقل وعنابة وأصبحت جميع المناطق الساحلية تحت إمرته[4].

بعد هذا بدا ابن الاحرش يستعد لمهاجمة قسنطينة، عاصمة البايلك واستطاع في فترة وجيزة أن يجمع حوله أكثر من 10000 مقاتل[5]، يقول صاحب كتاب لمؤلف مجهول: « ... قلم الرجال من ناحية القبائل وادعى انه شريفا وطلب الناس لأتباعه،فاتبعوه واتفقوا على أن يقوموا على قسنطينة ويأخذوها من يد الأتراك وتصير ملكا من أملاكهم فكان الأمر كذلك...و بعد ستة اشهر جاءه (باي عثمان) أمر من الجزائر بان يمشي إلى وادي الزهور ويقصد ذلك الدرقاوي فيقتله أو ينفيه من تلك الأرض...لكن حين خرج رفع معه كل ما يكسبه من السلاح والخيل والإبل و لم يخلف شيئا من أموال البايلك في البلد»[6]، وتم الهجوم على المدينة في ربيع الثاني 1219هـ (جوان

---

(1)– محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص 29.

(2)–محمد العربي الزبيري، مرجع سابق .ص218.

(3*)– هذا عكس ما كانت تراه الأسر الحاكمة التي وقفت ضد ثورة ابن الاحرش.

(4)– انظر الغالي غربي، مرجع سابق، ص164.

(5) – هذا ما يذكره العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص30. في حين يقدر (Vayssette) هذه القوات ب 60 الف مقاتل(انظر .Vayssette (E),opcit,p.268) وهناك من يقول انها 70 الف انظر الغالي الغربي، مرجع سابق،ص164.

(6)– مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تحقيق، حساني مختار، د.م، د.ت،ص.60.

1804م)، وقد استغل الثائر غياب الباي عصمان عن المدينة إذ كان على راس المحلة لجباية الضرائب من منطقة ريغة قرب سطيف[1]، إلا أن المدينة، رغم هذا الغياب، إذ بلغ عدد الثائرين 10000 ثائر[2]، لم تستسلم لهجوم ابن الاحرش، ونظمت مقاومة شديدة تحت زعامة قائد الدار سي الحاج احمد بن الأبيض[3] الذي كون جيشا من السكان المدينة قدر ب: 1000 رجل وبعد معركة خارج المدينة كان فيها النصر، حسب العنتري، لسكان قسنطينة وسقط من أتباع ابن الاحرش حوالي 200 قتيل[4] عاد السكان ليحتموا بأسوار المدينة و لم يتمكن الثوار[5] من اقتحامها وهنا أصيب ابن الاحرش بجروح خطيرة أسقطت ادعاءاته القائلة بأنه محمي بالقدرة الإلهية ولا يمكن أن تصيبه نيران العدو، وإنه عندما نضع يدي على الباب تنفتح من غير مفتاح[6].

في نفس الظروف هاجم بعض القبائل القوات العثمانية بالأرياف منها هجوم السقنية، جنوب قسنطينة على برج الفسقية الذي بناه صالح باي وجعله مقرا للقبائل المخزنية المكلف برعاية خيل البايلك، فهدموا البرج وشردوا قبائله [7].

معركة وادي الزهور :

بعد الانسحاب من قسنطينة استقر ابن الاحرش في شبه جزيرة "السبع روس" بجبل "بني فرقان" للاحتماء به ضد أي محاولة من باي قسنطينة لمطاردته والقبض عليه، إلا أن هذا الأخير لم يفكر في الصعوبات التي قد تواجهه أثناء مطاردته للثائر ونظم حملة كبرى للهجوم على منطقة بني فرقان، ولدعم قوات الباي أرسل له باشا الجزائر أربعة

[1] –جمال قنان،مرجع سابق، ص253.
[2] – المؤلف مجهول، مصدر سابق،ص60.
[3] -مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص254.
[4] – العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص ص 30-31.
[5] – حول سير معارك هذه الثورة انظر الخريطة التي وضعها الغالي (الغربي)، مرجع سابق، ص 226.

[6] - المؤلف مجهول، مصدر سابق.ص60.
[7] – كان مقر القبائل الزمول وقد بقي مهدما و لم يعد بناءه الا في عهد تشاكر باي سنة 1231هـ/ 1231هـ/ 1816م.

مراكب رست بمرسى الزيتون شرق وادى الزهور في محاولة للقبض على الثائر وتحويل أنظار الرعية عنه[1]، إلا أنهم لم يتمكنوا من الأمر الذي زاد من ثقة أتباعه في نجاحه.

بعد فشل قوات باشا الجزائر تحرك عصمان باي من قسنطينة باتجاه بني فرقان التي وصلها في بداية رجب 1219هـ/1804م ووجه جميع قواته[2] من فرسان ومدفعية لضرب مواقع القبائل الثائرة إلا انه وقع في كمين أوقعته فيه قبائل المنطقة، وذلك انه حولوا مجرى وادي الزهور نحو السهول التي كان يعسكر بها الباي ففرقت معظم قواته قبل أن يقتل الباي من بقي من جنوده في معركة دامية أثناء محاولة الباي الإفلات من محاصرة القبائل.وقد قدرت خسائر الباي ب500قتيل بالإضافة إلى الباي وثلاثة من نوابه والعديد من فرسانه وكانت غنائم القبائل كبيرة تتمثل في أموال وأسلحة[3] .وعندما وصل الخبر بهزيمة البالباشا.كره أرسل أعيان قسنطينة وعلى رأسهم شيخ الإسلام محمد بن الفقون رسالة إلى باشا الجزائر[4].طالبا منه تعيين باي جديد،فعين عبد عبد الله باي1804هـ- 1806.و ناولهم كتابان كجوابين من الباشا

موقف الأسر المحلية الحاكمة من ثورة ابن الاحرش

عكس ثورة ابن السحري التي شاركت فيها معظم الأسر المحلية الحاكمة بالبايلك وقفت ضدها الأسر الدينية، فان ثورة ابن الاحرش وجدت دعما من المرابطين ورجال الدين أمثال الزبوشي[5]، مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة القبائل والذي لعب دورا كبيرا كبيرا في تحريك هذه الثورة والدعاية لها بين القبائل، في حين وجدت معارضة شديدة من طرف الأسر الحاكمة التي وقفت إلى جانب القوات العثمانية في القضاء على هذه الثورة، وقد كانت أسرة المقراني من أهم القوى التي دعمت صفوف "عصمان باي" في

(1) – يقول عثمان بن حمدان خوجة ان الباي حاول اغراء شيوخ القبائل بالاموال لخيانة زعيمهم والتخلي عنه الا انه فشل، حمدجان خوجة، مصدر سابق، ص170.

(2) – تشكلت قوات الباي من 4000 مقاتل تركي و3500 من قبائل المخزن ترافقهم 4 قطع من المدفعية (انظر الغالي الغربي)، المرجع السابق، ص 165.

(3) – محمد صالح العنتري،تاريخ قسنطينة.ص ص.90 - 91.

(4) – جمال قنان،مرجع سابق،ص.253.

(5) – كان المرابط الزبوشي في ثورة علي باي قسنطينة لاسباب شخصية تمثلت في حرمانه من بعض الامتيازات منها الاعفاء من الضريبة، وكان قد فر إلى مرتفعات عراس قرب الوادي الكبير لاعلان الثورة ضد الباي ولذلك كانت ثورة ابن الاحرش فرصة للتحالف ضد العدو المشترك وهو الباي العثماني انظر الغالي الغربي،المرجع السابق،ص162.

حربه ضد ابن الاحرش، حتى أن احد شيوخها عبد الله كان سقط بين قتلى معركة وادي الزهور، ولذا اعتبرت أسرة المقراني المنقذ الأول للبايلك من السقوط في هذه الفترة، إذ بالإضافة إلى مشاركتها في المعارك التي خاضها الباي ضد القبائل الثائرة .كانت قواته قد أخمدت العديد من الثورات بغرب البايلك التي قادتها بعض القبائل أمثال أولاد دراج وأولاد ماضي وعياد وغيرها ضد الحكم العثماني مساندة لثورة ابن الاحرش . ولم تكن مساندة الأسر المحلية الحاكمة للحكم العثماني ضد هذه الثورة إلا تمسكا بزعامتها على مناطق نفوذها التقليدية، وليس تمسكا بالحكم العثماني في حد ذاته لأننا كما لاحظنا من تاريخ هذه الأسر لم تكن في يوم من الأيام على وفاق تام مع الحكم المركزي، بل كانت مصالحها هي التي توجه مواقفها من أي حركة، وثورة ابن الاحرش كانت تهدد هذه الأسر بانسلاخ القبائل عنها وبالتالي تقليص نفوذها ثم فقدانها النهائي للزعامة بالمنطقة.

فشلت ثورة ابن الاحرش في تحقيق هدفها وهو القضاء على الحكم العثماني إلا أنها كانت صورة صادقة على اجتماع كلمة الرعية، ليس تحت الزعامة القبلية، وهذا لأول مرة، وإنما تحت زعامة روحية دينية أحسوا أنها تعبر عن أمالهم في التخلص من الحكم العثماني، وقد استمر هذا الاتجاه لتكوين حكم محلي حتى بعد فشل هذه الثورة والدليل على ذلك استمرار الثورات في مختلف أنحاء الجزائر والتفاف القبائل، خاصة بعد دخول الفرنسيين الجزائر، هو في اعتقادي بداية وجود وعي وطني وبداية تبلور عناصر الشخصية الوطنية الجزائرية.

العلاقات بين السلطات الثلاث:

إن السلطة المركزية (البايلك)، قد عوضت سلطة وتقاليد الزاوية من خلال الإجلال إلى حد الإفراط أحيانًا في احتفالات الزوايا الموسمية "الزيارة" والرعاية المادية، حيث كانت الاحتفالات التي تقام حول الأضرحة والزوايا وتشريفات السلطات العليا، وكثيرًا ما تتضمن تنقلات البايات والسلاطين إلى الأضرحة والمزارات في احتفالات رسمية.

كما حرصت الزاوية على ربط نفسها بالشرع، فهي تسعى إلى حرمان السلطة السياسية العليا (المخزن) من "مشروعية" إخراجها عن إطار الإسلام الشرعي، لأنها تمثل الشرع على مستوى محلي، وقد يفوق تمثيلها للإسلام السلطة العليا العثمانية، وبفضل إشعاع الزاوية وتأثيرها، وهو ما أهل الشيخ الولي إلى مكانة مرموقة، ترفع من شأنه كأحد حماة الدين والشرع في مواجهة سلطة ظالمة.

كانت الزاوية تعمل أحيانًا على إدماج القبيلة في "المجتمع العام" وإضفاء المشروعية على وجودها بواسطة تبني مبادئ الطريقة الصوفية، كما أن الانتماء إلى الطريقة وسلالة الشيخ قد يرفعها إلى مرتبة الشرف والانتماء إلى آل البيت، حتى ولو كانت الطريقة من تأسيس الفقيه العالم من وسط غير عربي، فما بالك أن يكون هاشميا، وهو الجدل المطروح بقوة في المناقب المميزة لشيوخ الزوايا والصلحاء والفقهاء والعلماء عصر العثماني [1].

وانصهرت القبيلة، وتحالفت مع شيخ الطريقة، وكانت علاقة القائد (ممثل المخزن) والقبيلة، (شيخ القبيلة)، والشيخ المتعالي (العالم أو الفقيه) (شيخ الطريقة)، قد تداخلت وبدأ الشد والجذب بين هذه السلطات وأولوية وشرعية كل منها إلى غاية ظهور من هو أجدر واقوى في فرض سيطرته على المجتمع طيلة الفترة العثمانية في الجزائر، وستصبح لكل طريقة خصوصيات، وسوف تكون الطريقة الصوفية الممثلة لسلطة الزاوية والقبيلة لمواقف مختلفة والسلطة المخزن في الفترة العثمانية في الجزائر[2].

فكثير ما ساد الظلم وانتشر الفساد، مما أدى إلى نشوب العديد من الثورات والتمرد الأمر الذي جعل البايات يتعددون لمحاربة المتمردين ويحاولون التصالح مع الثائرين مثل ثورة بن الصخري من عائلة بوعكاز والمقراني في قلعة بني عباس[3].

سياسة الحكام نحو القبائل

اهتم بعض البايات بإصلاح مشاكل البايلك مع مراعاة مصالح المجتمع وهو النوع الذي كان يرمي إلى هدف واحد متمثل في تحقيق التزاماته المادية اتجاه الداي في الجزائر، واستتباب الأمن في ربوع البايلك، والقضاء على الفتن والنعرات والتمردات ضد سلطة المخزن أو ضد الوجود العثماني في الجزائر، أي الجري وراء الكسب والاهتمام بالمصالح الخاصة مع إهمال المجتمع الريفي، وذهب هذا الصنف من الحكام ابعد من ذلك بحيث مارس سياسة مستبدة في غالب الأحيان تجاه سكان الأرياف التي كانت بعيدة عن سلطة المخزن إلا عن طريق وكلاء وشيوخ القبائل (شيخ العرب) أو رجال الطرق الصوفية والزوايا ووجهاء القوم لذلك نجد أن الحكام اتخذوا عدة وسائل لتجسيد سياستهم في أرياف بايلك قسنطينة وهي:

إثارة الفتن بين القبائل

---

[1]- محمد الأمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية.الجزائر، 2007.ص74.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص.222.

[3]-محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص73.

اعتمد بايات قسنطينة على مبدأ سياسة "فرق تسد" التي حققوا بها القضاء على كل محاولة ترمي إلى اتحاد القبائل والأعراش، في تشكيل قوة وطنية تقف أمام السلطة المخزن بالبايلك، وقد شجعت سياسة الحكام هذه الفتن بين مختلف القبائل الأعراش حتى تعرقل المحاولات التي تعارض نواياها ولكي تخمد كل الثورات التي يحتمل أن تقوم حتى صرح في هذا المجال الحاج احمد باي بالقول التالي : « إن الذي يريد حكم العرب يتحتم عليه إبقاؤه بجانبه والتحريض على المنافسات بين مختلف القبائل والأجناس، أما أوضاع السلم فهي تقارب بين العرب وتوحدهم حول هدف واحد، وهذه حالة لا ينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليهم، إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء كالإخوة للقيام بثورة، وبالعكس، فإذا وجدت الحرب بينهم فإن من حكمهم يكون متأكد من إيجاد الأنصار».
و أحسن دليل على ذلك هو تشجيع الباي محمد بن احمد القبائلي لأسرة بن قانة في نزاعها مع أسرة بن جلاب، وذلك لوضع حاجز أمام وحدة وقوة هتين الأسرتين الصحراويتين الكبيرتين.

1– التأثير الصوفي:

الاعتماد على شيوخ الطرق والمرابطين المؤثرين على الأهالي لشن الفتن، فغالبا ما اعتمد الحكام الترك على المرابطين وشيوخ الدين كواسطة بينهم وبين الأهالي، كما اعتمدوا عليهم لإثارة العداوة بين الأهالي، وقد اتصل بباشا الجزائر يوسف بالشيخ والمرابطين المؤثرين على بايليك قسنطينة، طالبا منهم إخضاع القبائل الثائرة على الحكم التركي، وهذا ما دفع المرابط سي محامد بن يحي إلى الوقوف بجانب الأتراك أثناء الثورات بالأرياف[1].

إن أهمية التحالف التركي المرابطي الذي ظهر منذ القرن 16 إلى غاية مستهل القرن 18، حيث ساندت الحركة المرابطة العنصر العسكري التركي في توطيد نفوذه [2]، والسبب من وراء هذا التحالف بين الأتراك والمرابطين، موعد مشترك متمثل في الخطر المسيحي الذي كان يهدد الإيالة الجزائرية، فخلال هذه الفترة قدم المرابطين مساعدتهم للأتراك مقابل تدعيم القاعدة المادية من طرف الأتراك الذين قدموا أموالا لا هامة وهدايا مختلفة للمرابطين وبالخصوص مرابطي المنطقة الجبلية [3].

ومن جهة أخرى كان الشيوخ والمرابطين واسطة بين الأتراك والأهالي، فيتحولون من جامعي الضرائب إلى ممثلي البايلك مثلما كان الأمر بالنسبة للمرابطين الموجودين بمنطقة جبال القبائل الذين دخلوا في حوزة الأتراك الذين استمالوهم بمختلف الهدايا والعطايا أو بإسقاط الضرائب عنهم، مقابل

[1]-Féraud ,Le Sahara de Constantine, OP.CIT, pp-43 .
[2]- Merad Boudia,Op.cit, p340.
[3]- Idem.p341.

احتكاك المرابطين بالسلطات التركية سواء كانت توجد في بايلك قسنطينة أو في مدينة الجزائر وإحاطتها علما بكل ما كان يجري في الأرياف الثائرة على الحكم التركي.

غير أن في بداية القرن 18 تدهورت العلاقات بين الأتراك والمرابطين واشتد نفوذ الأتراك على بايلك قسنطينة منذ سنة 1713 ووصل إلى قمته مع حكم صالح باي حيث تغلغل النفوذ التركي داخل الأرياف القسنطينية التي كان سكانها تابعين للعائلات الإقطاعية المحلية، وهذا ما يفسر تقهقر العلاقات بين الحكم التركي والإقطاعية المحلية التي سوف تقوم بإشعال ثورات ريفية عديدة ضد الحكم التركي، معتمدة في ذلك على المرابطين ذي النفوذ القوي على المكان وهذا ما يفسر تغيير موقف المرابطين تجاه الحكام الأتراك، وبالتالي تصبح العلاقات بين المرابطين والحكام الأتراك علاقات تمليها المصالح الشخصية وهذا ما يؤدي إلى ع منذ القرن 18[1] .

2- سياسة التخوف من الأهالي :

إن أغلبية بايات قسنطينة من الأتراك والكراغلة[2] بعد خير الذين أصبحوا يختارون من صفوف الجيوش التركية أو من العائلات التركية المقيمة بالمدن، وقد دشن دالي باي هذه السياسة وبحكمه يصبح اغلب بايات قسنطينة أتراك يناصرون العنصر التركي ويكرهون القبائل العربية التي غالبا ما كانوا يشنون ضدها الحملات العسكرية العنيفة لجباية الضرائب لجمع الغنائم لصالحهم الشخصي، كما قام بعض البايات بإشارة سخط القبائل والأعراش القوية وممارسة كل أنواع الظلم والاضطهاد عليها، ومنذ عهد محمد تشاكر باي، أصبح الأتراك يشتهرون بالظلم [3]، باستثناء بعض الحكام الذين سووا بين العرب والترك كأحمد باي شاوش، الذي كان تركيا عادلا محبا لرعاياه .

3- مناصرة الترك للاعراش القوية:

دعم البايات والحكام الأتراك المشيخات الوراثية المتحالفة مع البايلك وتعاملوا مع اكبر العائلات والقبائل حيث تحصلوا بواسطتها على تحقيق مطامحهم ومصالحهم الخاصة، الأمر الذي جعل بعض الأسر المؤثرة تبرم علاقات مع سلطات البايلك، وتختلف معها بناء على مصالح مشتركة بينما القبائل والأعراش والأعراش المغلوبة عن أصولها والفقيرة في غالب الأحيان لم يتورع الحكام على اضطهادها.

---

(1)- Merad Boudia,Op.cit.P343.

(2) باستثناء فرحات باي الذي يعد اول باي لبايلك قسنطينة والذي اختاره سكان قسنطينة، نذكر من البايات الذين ينتسبون إلى العائلات العربية المؤثرة محمد بن فرحات باي، رجب باي وخير الدين باي الذي هو اخر باي يختاره السكان من العائلات العربية.

(3) العنتري، مصدر سابق، ص39.

وهذا التخوف من الأهالي عمل على عدم إدماج الأتراك في المجتمع الجزائري وجعل الطبقات الشعبية تبتعد عن العناصر التركية التي اعتبرت أجنبية، وانفصلت السلطات الحكومية التركية عن المجتمع الريفي ووضعت حاجزا بينهما مكونا من مجوعة من الوسطاء، متمثلين في عائلات كبرى مؤثرة في المنطقة الريفية التي تسكنها، وجد على رأسها قائدا أو شيخا يتعامل مع البايلك لصالحه الخاص ولوجود مصالح مشتركة بينهما مثلما تعامل البايات مع بيت من قانة بالزيبان ودعموا قبائل أولاد عبد النور وقبائل الحراكتة بناء على مصالح تجمع بينهما، كما ناصر بعض الحكام قبائل وأعراف على حساب مجموعات ريفية أخرى قليلة النفوذ ومحدودة المكاسب .

وبواسطة مناصرة الحكام للاعراش والمشيخات الكبرى، خلق الأتراك أحلاف محلية متمثلة في عائلات إقطاعية كبرى تتماشى مصالحها مع مصالح البايات ، والأمر الذي جعل احمد باي القلي[1] يتعرف ببيت بن قانة، وتوانت بينهما العلاقات الودية ثم تزوج الباي بإحدى بنات هذه العائلة الإقطاعية الكبرى [2]، واهتم بمصير عائلة زوجته، حتى أصبح لهذه الأسرة نفوذ قوي في الصحراء .

و قد امتد نفوذ بن قانة أكثر أيام حكم الحاج احمد باي، وهو آخر بايات قسنطينة، خاصة وانه كان حفيد لأحمد باي القلي، وكانت أمه من عائلة بن قانة مما جعله يدعم ويشجع هذه العائلة عن حساب أسرة قوية هي الأخرى منافسة لبيت قانة، وهي بيت بوعكاز [3] التي شن ضدها الحاج احمد العديد من الحملات سنة 1832 م والحق بها خسائر هامة .

ونتيجة للصراع القائم بين العائلتين أسرة بن قانة وأسرة بوعكاز، وهو صراع خلقته وشجعته سياسة الحكام لغرض سيطرتهما ونفوذها، انقسم السكان إلى مجموعتين الأولى مناصرة لبيت بوعكاز والثانية مناصرة لبيت بن قانة كما استطاع صالح باي أن يشير منافسة وعداوة بيت بن قانة ضد بيت بوعكاز، ومنع من جهة أخرى احمد باي القلي أراضي شاسعة قرب رجاص [4] الكثير من المشيخات والعائلات الخاضعة لسياسته ونتيجة لمناصرة الأتراك للاعراش القوية وتفرقة العناصر الشعبية لكي تسود، انقسمت مجتمعات الأرياف.

---

[1] احمد باي القلي (1756-1771م) انكشاري كان موزع للبريد،حكم مدينة القل ولذا سمي بالقلي، شارك في الحملة ضد تونس ايام حكم الباي حسين ازرق العيون، وخصص جهده لادارة البايلك، شجع الزراعة وامتاز عهده بالرخاء .

[2]- Féraud (Ch) , Le Sahara de Constantine, OP.CIT, P88.

[3]- Idem.P89.

[4]- توجد قرب مدينة ميلة، شمال غرب قسنطينة وهي مهد أسرة بن قانة.

بعد مناورات عديدة، خاع صالح باي من الحكم وعوض بحسين باي الذي كان احد أقارب بيت قانة التي فرحت بتولية الباي الذي قتل صالح باي [1]، ونصب محمد بلحاج بن قانة على راس كل قبائل الصحراء لإظهار مدى مناصرته وتأييده لهذه الأسرة [2].

وبواسطة مناصرة الأسرة الكبرى، وطد البايات تفردهم على المناطق التي لم تخضع لهم وحصلوا على خيرات المناطق البعيدة عن مركز البايلك، واخضعوا القبائل المستعصية لحكمهم والتي رفضت دفع ضرائبها، ومما يلاحظ أن سياسة البايات كانت ترمي أيضا إلى تحقيق هدفين آخرين:

- ظهور قيادات محلية تضم عددا من القبائل، وعلى رأسها قياد أو شيوخ يتوسطون بين القبائل الخاضعة لاستخلاص الضرائب، وتنفيذ أوامر البايات وإخماد الثورات التي يحتمل أن تقوم ضد سياسة البايات، وقد وجدت قيادات عديدة نذكر منها قيادة بلزمة والاوراس[3] التي مكنت البايلك من بسط نفوذه الكامل على سكان الريف.

- احتكار الحكام للسلطة العسكرية والسياسية والإدارية مع منع الأهالي من المشاركة في تسيير أمور البايلك، وقد تمتع المسؤولون العرب القلائل بنصيب من السلطة الاسمية والجزئية في إطار سلطة أقوى وأوسع، ألا وهي السلطة التركية التي كانوا يخضعون لها، فكان كل مسؤول عربي سواء كان شيخا أو قائدا، بمثابة واسطة، عوض أن يكون الممثل الحقيقي للسلطة [4]، مما جعل البايات يمارسون سلطة مطلقة .

الحملات أو المحلات العسكرية:

تعد الحملات أو المحلات العسكرية عاملا هاما من العوامل المؤثرة في أوضاع الريف القسنطيني، وقد كان يشنها البايات ضد الأهالي لاستخلاص الضرائب المختلفة المفروضة على سكان الأرياف، وكانت تجري هذه العملية بطريقة تعسفية لإخضاع القبائل والأعراش المتمردة و ارغامها على دفع الضرائب المفروضة عليها[5]،و هذا ما تظهره الوثائق الارشيفية حول قبيلة الحنانشة و الذواودة، خاصة

---

[1]- منذ مقتل صالح باي اصبحت عادة قتل البايات منتشرة في بايلك قسنطينة.

[2]- Féraud(Ch).Le Sahara de Constantine , OP.CIT, P54.

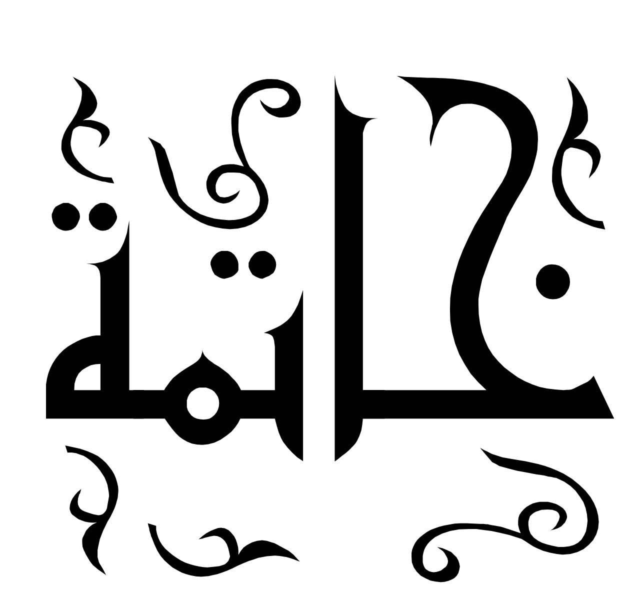
[3] سعيد وني ناصر الدين، الانسان الاوراسي وبيئته، مجلةالاصالة، رقم79، جوان1980، ص ص 136- 137.

[4]Vayssettes(E) .Histoire des derniers Beys de constantine, OP.CIT, p23.

[5] أنظر ملحق رسائل أحمد باي إلى الداي حسين.

في الفترة المتأخرة للوجود العثماني في بايلك قسنطينة .ويذكر محمد الصالح العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة «أن المجاعة لما اشتدت في الارياف بدأ الناس يزحفون الى قسنطينة جماعات وو حدانا، نساء و رجالا ، فالطريق بهم ممتلئة يمينا و شمالا وجوههم مقشعرة بالية، و أرجلهم ، وظهورهم عارية[1].

[1]- محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص18.


خاتمة

ما يمكن استنتاجه من هذا البحث:

- إقليم قسنطينة يتميز عن غيره من الأقاليم بالاتساع والتنوع، من الناحية الطبيعية (التضاريس المناخ، الغطاء النباتي)، وهذا ما جعل من الإقليم متنوع في ما يخص الحياة الاجتماعية للسكان، بين طابع الاستقرار والترحال، وتنوع مصادرها الاقتصادية الحيوية جعله يستقطب كل الفئات الاجتماعية حضرية وريفية قبلية.

- الوجود العثماني في بايلك قسنطينة، وجد فيه تقاليد اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية ورثتها عبر العصور، واستمرت في العهد العثماني مثل تحالف القبائل مع القوى المجاورة، مثل الدولة الحفصية، أو الدولة الموحدية.

- تحالف القبائل مع السلطة العثمانية ما هو إلا سياسة اتبعتها لضمان بقاء زعامتها ورعاية مصالحها الاقتصادية والاجتماعية.

- ظهور العثمانيين في بايلك قسنطينة بني على أساس الاتفاق المبدئي بين السلطة والقبيلة على احترام ما اكتسبته القبيلة من امتيازات.

- تحالف القوى المحلية مع العثمانيين فاستطاعت درء الخطر الإيبيري، من إقليم البايلك، وهذا التعاون كلل بنجاح.

- باسم الجهاد، استطاع العثمانيون إقناع الطرق الصوفية، وشيوخ القبائل، فتضافرت جهودهم وحققوا ما كانوا يصبون إليه، فكونوا كتلة ضد الغزو الإيبيري.

- التزمت السلطة العثمانية بإبقاء أوضاع المنطقة على حالها، بتمكين الأسر الحاكمة في استمرارية سلطتها، وأداء واجباتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية نحو رعاياها، والتزام هذه الأخيرة إلى حد كبير بهذا العقد.

- لم تستطع السلطة المحلية المتمثلة في القبائل من تكوين تحالف وطني رغم الإرث التاريخي الذي تتمتع به ضد السلطة العثمانية التي في كثير من الأحيان اتبعت سياسة فرق تسد لكي لا تستطيع هذه اللحمة أن تتجسد، وهذا ما يظهر جليا في عائلتي الفقون وعبد المومن من جهة، وتسجد أيضا في عالة بن قانة للقضاء على نفوذ قوات الذواودة وحلفائهم.

- استطاعت السلطة العثمانية أن تجعل من السلطة المحلية لقبيلة الذواودة المتاخمة للحدود التونسية في بايلك الشرق، وتقضي على السلطة في تونس، وتجعل منها إيالة تابعة لقسنطينة تارة ومستقلة عنها تارة أخرى. .

- كانت للسلطة الروحية الأثر البارز في تفعيل العلاقة بين السلطة العثمانية التي كثيرا ما كانت تنتفع بولاء شيوخ الزوايا والمتصوفة قإغداقهم بالعطايا والهبات والامتيازات ما جعل ولاء هذه السلطة في كثير من الأحيان في خدمة السلطة العثمانية، رغم أنها تمثل سلطة محلية في مناطق تواجدها ومضارب انتشارها، مثل الرحمانية والدرقاوية والتيجانية أواخر العهد العثماني، والشابية التي كانت منتشرة بشكل واسع في شرق قسنطينة.

- إن التعاون الذي أوجد سلطة المخزن في إقليم قسنطينة كان متنوع ومتشعب بين القبائل والأسر ذات النفوذ والطرق الصوفية وشيوخها والزاوية.

- يلاحظ بان هناك تشابك في بنية القبائل وتداخل في بين الأسر الحاكمة، وصلاحياتها وتحالف بين السلطة المحلية لكل قبيلة ولكل زاوية ولكل أسرة مع سلطة المخزن.

- إن الثورات الشعبية التي قامت ضد العثمانيين والتي تنوعت زعاماتها مثل ثورة ابن السخري كزعيم لقبيلة الذواودة، وزعيم لأسرة بوعكاز مثلا.

- الظاهر ان سلطة القبائل وجدت في بايلك قسنطينة و ان الظروف التاريخية التي كونتها عبر المراحل التاريخية لكل قبيلة اكسبها مناعة في التعامل مع الجهات الخارجية عليها او الدخيلة اليها و التحالف مع غيرها من الجهات او الظروف التي تحيط بها او التي تفرض عليها و هذا ما كان مع التواجد العثماني في بايلك قسنطينة، و يظهر ذلك جليا مع السلطة الحفصية و مع السلطة الفرنسية الاستعمارية ، بحيث انها تراهن على مصالحها و مكاسبها التي ورثتها من اسلافها و عندما تجد معارضة او اجحاف في حقها كانت الثورة على مبدأ مخالفة الاتفاق و هذا ما فجر عدة ثورات ومنها ثورة ابن السخري و ثورة ابن الاحرش، و غيرها.

- ان الاوضاع التي احاطت بقسنطينة اواخر العهد العثماني لم تكن اوضاع محلية بل كانت عامة على الجزائر و منه نجد ان تاخر العثمانيون في الاستقرار في بايلك قسنطينة عند دخولهم هو نفسه عند خروجهم منها بحيث استمر الحكم العثماني المتمثل في سلطة الباي حتى سنة 1837و

استمر في شكل المقاومة المسلحة المتمثلة في ثورة المقراني و غيرها من الثورات التي تبنتها القبائل او الاسر الوراثية المشهورة.

- ان الفرنسيين لم يصنعوا الجديد في قسنطينة سوى ما قام به العثمانيون قبلهم بنحو ثلاثة قرون ،حيث استند وا الى العائلة صاحبة الشان في المدينة و المتمثلة في عائلة الفقون التي عينوا حمودة بن الشيخ الفقون حاكما على قسنطينة[1]، وقد طلب هذا الاخير من السلطات الفرنسية ان يجعل ترتيب المخازنية في وظائفهم و لقد انقاد شيوخ القبائل ودخلوا في خدمة الفرنسيين ومنهم الشيخ بو عكاز بن عاشور شيخ فرجيوةثم بن عز الدين شيخ زواغة ،ثم اولاد بن مذكور ،مشايخ الحراكتةو استمرت تلك العادة من القبائل و الاسر في الدخول في طاعة الفرنسيين.

إن محاولتي لطرح هذا النوع من الإشكاليات وفق مقاربات أنتروبولوجية جديدة ما هو إلا رغبة مني في إثارة جدل عن إشكاليات متعددة مطروحة في ضبط طبيعة الحكم العثماني في بايلك الشرق، وهذا لا يتسنى إلا بتضافر الجهود وتعدد الدراسات لكل جوانب المجتمع، لأن طبيعة المنطقة حددت الإشكالية، والفترة الزمنية جد حرجة، تمثلت أساسا في وجود مجموعة من القوى الداخلية والخارجية والإقليمية، وهو ما استدعى إلى طرح هذا النوع من الإشكاليات التي ما هي إلا قاعدة لدراسة أكثر عمقا وتخصصا لإماطة الغموض حول الدراسة التاريخية الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالجانب السياسي ولا يتسنى ذلك إلا بتكثيف الجهود والتشاور والبحث الجاد في المصادر والوثائق التاريخية.

---

[1] -محمد صالح العنتري،تاريخ قسنطينة،مصدر سابق،ص147.


ملاحق

الملحق رقم (01): أمر من الداي مصطفى الى كافة العمال والقادة والمتصرفين عن تعيين السيد محمد الشريف شيخ على زاوية بني بومسعود في نواحي بجاية

الحمد لله وحده

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم العلي الشأن وقدره من باي لار الناحية الشرقية وكافة القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الاحوال ببلدنا الجزائر المحمية بالله تعالى وبلد بجاية سدد الله الجميع ووفق الكل الى الصالح القول وحسن الصنيع اما بعد فان حامله المكرم الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي القيوم المقدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد امقران انعمنا عليه وقدمناه على كافة زواياه واقمناه في مقام والده المذكور وانزلناه بمترلته ينظر في امور الزوايا المذكورين ويكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته واطلقنا يده فهن (كذا) بحيث ينتفع بخراجهم جريا في ذلك على سبيل عاده المعلومة وعادة السادات المرابطين اسلافه المتقدمين قبله السابقة المفهومة كما انعمنا عليه بزاوية بني بو مسعود وحسبناها عليه وعلى عاقبه وعاقب اعقابه ذلك صدقا من عليه لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ولاطعامه للفقراء والمساكينو على كافة اهل الزاوية المذكورين خصوصا زاوية بو مسعود ان يكون كلهم عند نظرةو سمعه وطاعته كما اننا اقمناه في مقام والده المذكور على شغل البايلك الكاين (كذا) بالبلد المذكور يجري عليه مثل الكراستةو غيرها من غير ممانع له في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ جنابه بحيث لا نملك له حرمة ولا من يتعدى عليه ولا على كافة زاوية ولا يكلفهم احد بشى (كذا) من تكاليف المخزنية عن اذن المعظم الارفع الدولاتلي السيد مصطفى داي اواخر حجة الحرام عام 1114هـــ.

المصدر: **Féraud (CH), in R.A, vol13, 1869, p98**

الملحق رقم (02): رسالة من احمد باي الى حسين باشا تاديب بعض قبائل الحنانشة العاصي

الحمد لله حق حمده وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى الذين، اسمه الله تجلى مقام المعظم الأرفع الاسم والحناب الانجح الأحمد فخر الملوك الكرام . المؤيد بالنصر والتمكين الملك العظام الأمجد الأوحد الهمام الأكبر الأفضل الأرشد ولي نعمتنا . سيدنا حسين باشا الروكاتلي ذات مقاليد وطابت وحسنت أيامه ولقاييدة أمين،أمين.

السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ونعماته وتحياته ويمد سيدي حفظك الله . فالغرب يتمل بشريف علمك هو خير إنشاء الله إننا قمنا رجعنا من الناحية الغربية وتوجهنا الناحية القبلة قاصدين بلاد الحنانشة لإصلاح أمورهم والنظر في حال وطنهم بلغنا عريضة من الجبايلة بوطنهم أهل عصيان وفساد وإنهم تمنعوا هذه الأعوام المباركة فظهر لنا من الرأي أن نكسر شوكتهم زجرا لغيهم فغزونا على فرقة منهم جبايلية يقال لهم المقانعة فأخذناهم و لم...أهلهم وسعيهم.

إلا الفرار فأخذنا لهم ستمائة وخمسة عشر 615 راس من البقر وثلاث وستين ماشي360 خيل وألف شاة غنم . ورجعنا نحن وعسكرنا وقوتنا في أمان الله ثم بعد ذلك ظهرت لنا فرقة يقال لهم رشناقة وموطنهم براس الدخلة بين بلاد الحنانشة والدخلة لا يغرمون لأحد لا للشرق ولا الحنانشة وا ناهل تلك الناحية كلهم يشكون ظلمهم وبغيهم وإفسادهم وهروم الغرامة لهم فاستعنا بالله تعلى عليهم وغزوناهم . فاخذ ناهم أخذا زيعا وقتلنا منهم وكان جزء بجداهم فرقة من رعية الحنانشة وهم أولاد قياد تمنعوا منالك أيضا فأخذناهم معهم فكان جملة ما أخذنا من الفرقتين ثلاثة عشر مائة (1300) راس من البقر واربع عشر مائة غنم و30 زايلة سايس خيل وبغال ثم رجعنا لمحلتنا قاصدين بلاد الحنانشة ولاكن سيدي إليك الله في بر لنا أن نذكر لك أمر الحنانشة كنا في الحسب الاخي قدم ألينا الزرق الحنانشة مع جماعته . وبعثنا للحاج مبارك وكاتبه وما الحنا بينهم بحضور ابنكم السيد يحي عاقة وانصرفوا من عندنا أما ألرزقي لم يقطع رجله عنا ما الحاج مبارك لم نر له وجها من يوم انفصاله من عندنا وبعث لديكم باجابة . منهم أحرف اخترنا رجلا لم يسبوا له شيخ فشيخناه عليهم ووجهناه أليهم بكتابنا بالأمان والعافية . فلم يرجعوا له ولما قصونا بلادهم ضم الحاج مبارك جميع من معه من الحنانشة وجلب إليه بمظاه تبعه من الخرارب الغرامة ورحل حتى نزل سواكه وبلغنا أن هذه المرة وكلها وهو يراسل ويكاتب لاج لان يدخل وطن الشرق ويبلغنا أن باي

تونس منعهم من ذلك وانه بعث إلى القياد الذين يعرفهم وأمرهم أن يمنعوا رعية الغرب ولا يتركون أحدا منهم يدخل وطنه ولما بلغنا حق علينا وقوفنا إلى أقصى بلاد الحنانشة ساءت خلفهم وضاق ذرعهم وانسدت عليهم المسالك... الوكيل-محمود- تونس فامسكوهو يه ت .... والزموه بالرجوع ألينا ... على ذلك فجردنا لهم بما جاء وامرنا بهم إلى...

اشتملت الغرامة التي كانوا معهم ورجع كل واحد الى بلاده وكان .... على الحاج مبارك ومن معه ... على الغرامة ولم توفر ... اصلحنا امر الحنانشة فاحنا راجعون لقضاء ... عند غيرهم انشاء الله تعالى من الفقير الى ابنكم وخادمكم ... سلامكم الحاج احمد باي وفقه الله .

المصدر: المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، الأرشيف العثماني، المجموعة رقم 1642، الوثيقة رقم19.

الملحق رقم (03): رسالة من أحمد باي قسنطينة الى الداي حسين تأديب بعض قبائل الحنانشة المتمردة

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

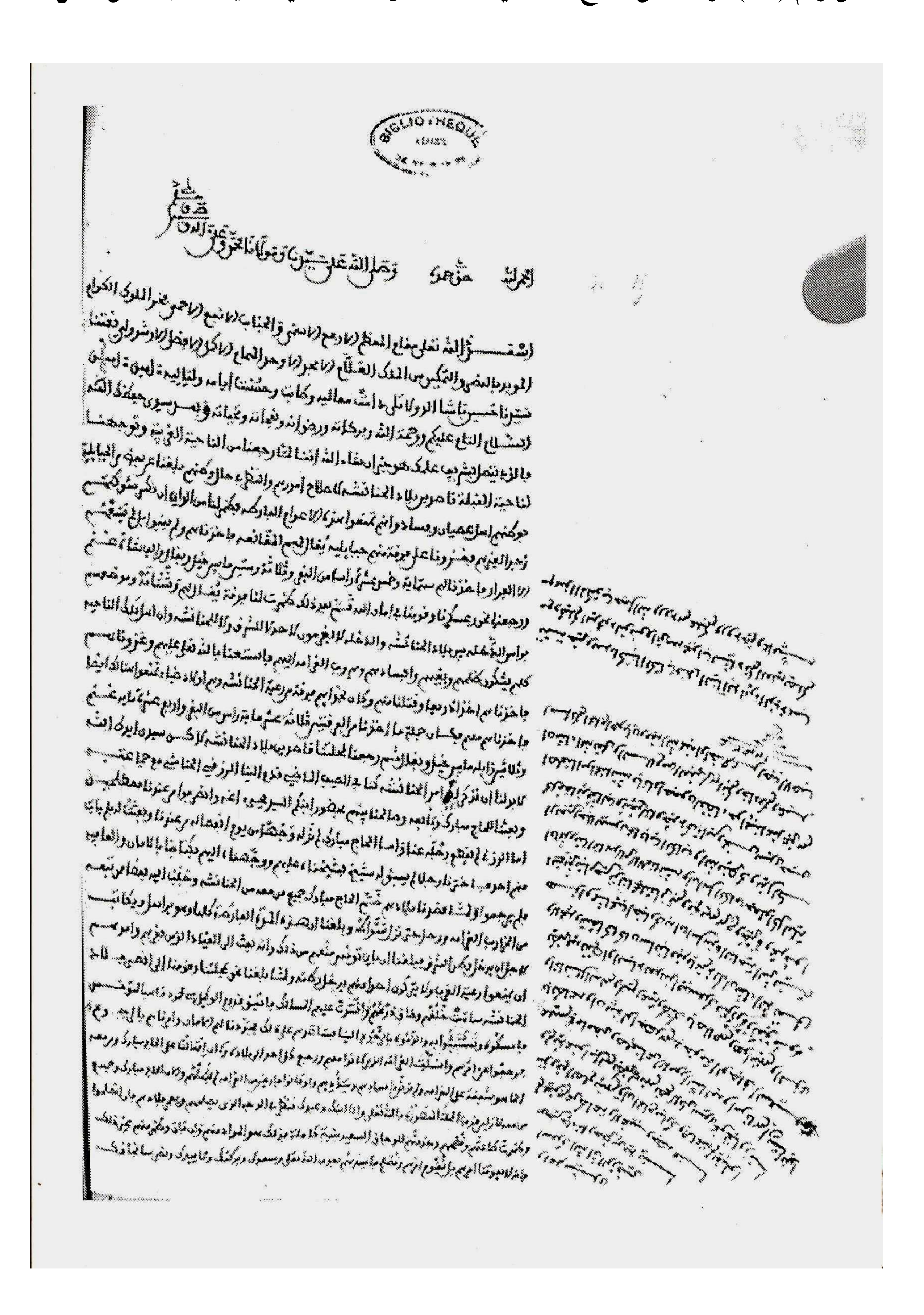
اسعد الله تعالى بطول ايامكم وحفظ بعزة ومقامكم ووالي بفضلة بقائكم المعظم واسعد الصدر الهمام الاحمد الامجد الا ... الا ... الملاذ الاسمى ولي النعم سيدنا حسين باشا الروكاتلي اعزه الله وايده وحفظه ونصره امين والسلام عليكم ورحمته وبركاته ورضوانه العميم وتحياته ... الله جلت قدرته وتمرست كلماته الى الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقائها على سيادتكم العلية بكرة وعشية تجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزه الله ونصركم وابقى وجودك وسلمت فالذي يتصل بشريف علمكم خير انشاء الله اننا لما وصلنا من وض ريقة ونزلنا بغرب زامة غزونا من هنالك على فرقة العمامرة من جبل اوراس وانها سيدي فرقة عاصية لم يعطو مطالبهم ولم تكن فيهم طاعة فاصبحنا عليهم في اليوم الحادي عشر من شهر تاريخه في جبلهم فمنحنا الله النصر

ورزقنا الظفر فقطعنا منهم ستة عشر راسا وجمعنا عما لقسنطينة واخذنا لهم غنائم جيدة وذلك خمسة عشر الف وستمائة غنم 15600 منها بشر الفان واثنان واخذنا لهم من البقر ستة عشر مائة وستين راسا 1660 من البقر وسور32 (كذا) وابل 17 ورجعنا نحن وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين والحمد لله ثم استرحنا نحو يومين وغزونا من هنالك الى بلاد الحنانشة فاخذنا اولاد شيخ واولاد مسعود في الجبل فنصرنا الله عليهم فقصعنا منهم احد عشر 11 راسا واخذنا لهم اثنين وعشر ماية وستين راسا1260 من البقر واخذنا منهم ثلاثة عشر ماية وعشر شياه غنم 1310 ونصيب يقو من ... ولينا في امان الله وحفظه ونزلنا بوطن الحنانشة تقظوا حاجتنا هنالك وفرجعوا الى محلتنا وبعزا كله من فضل الله تعالى وبركاته ونحمده جل وعلاه ونشكره الذي جعل سانجاقك منصورا حيث حيث ان توجه والمطلوب منه سبحانه ان يمد لنا حياتك ويبارك لنا في سنينك واعوامك وان يذل ويهلك اعدائك وان يشيد اركان مملكتك ويرفع سلطانك وينصر رايتك واعلامك ان على ذلك قدير وبالاجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وحادمكم ومقبل قدمكم عبرة الحاج احمد باي وفقه الله

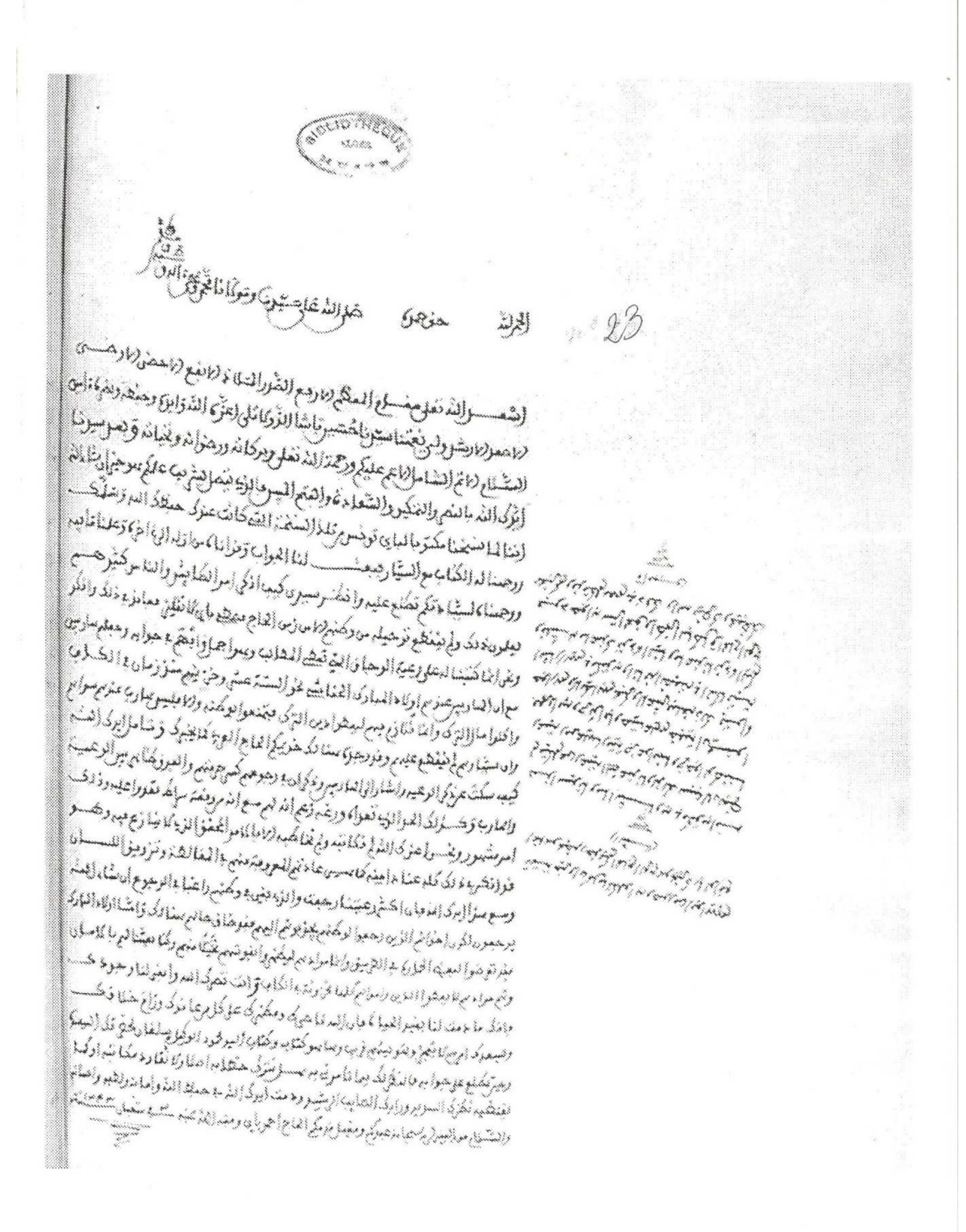
اواخر صفر الخير 1243

المصدر: المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر ، الأرشيف العثماني، المجموعة رقم 1642، الوثيقة رقم20.

الملحق رقم (04): رسالة من الحاج أحمد باي قسنطينة الى السيد داي حسين تأديب بعض قبائل النمامشة



الملحق رقم (5): رسالة من الحاج أحمد باي الى حسين داي، حول تأديب قبيلة النمامشة



نص الوثيقة:

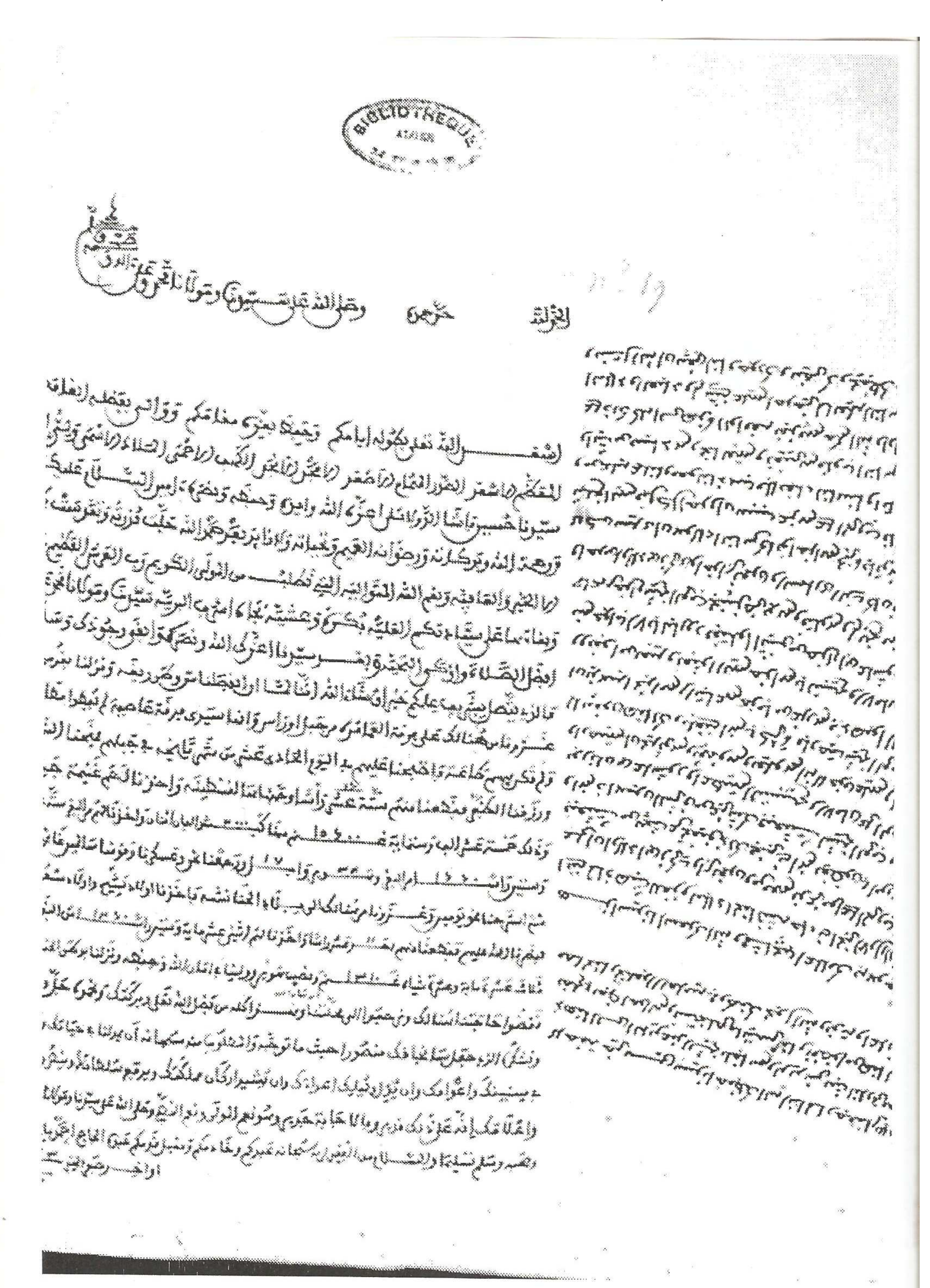
الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وسق (كذا) وسلم.

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الملاذ الأنفع الأكرم الأنجم الهمام الأمجد الأحمد الارضى الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدوكاتلي (كذا) اعزه الله ونصره .أمين. السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أبدك الله . أبقى لنا وجودك فالذي يجب إعلامكم به هو خير إنشاء الله أننا غزونا النمامشة أولاد رشاش فصبحنا عليهم بالوطن المعروف بالمحمل من ناحية القبلة فمنحنا الله نصرا فأخذناهم أخذا ذريعا وقطعنا منهم ثمانية وثلاثين (38) رأسا وأخذنا لهم من الغنم (21600) واحد وعشرين ألف وستة وستمائة ومن الإبل 585 خمسمائة وخمس وثمانون وخمس وثلاثون وثلاثة وثلاثون سرى(35) سوى(83) ورجعنا وعسكرنا وقومنا في أمان الصحة وحفظ واعلم سيدي إن النمامشة كان منهم فرقتنا يقال لهم العلاوتة والبرارشة جاءوا لنا عام اول وخدموا وجعلنا لهم قايدا وأعطوا ما عليهم دسم في الأمان والعافية وأما أسرة الطرقة أولاد رشاس عصاة ومنافقين يقطعون الطريق ويأكلون أموال الناس ظلما لم يعطوا شيا من المطالب وبعثنا لهم فلم يقبلوا ولم يعطوا ما مكننا الله منهم لسموك وساذجاقك المنصور فأخذناهم وقتلناهم زجرا لهم والحمد لله والشكر لله ونسأله سبحانه وتعالى ان يمد لنا في حياتك ورعايتك ونصرك وسلامتك فانك ما دمت لنا بصير الحياة جعلني الله عبداك ما عندك الا جميع الخيرات وقمام المسرات ... هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه القبطان المجيد وحمدنا الله على سلامتك حمل الله عيدكم مباركا مبرورا هناء وعافية وسرور وهكذا كل عام يمر وانتم طيبون أمنون فرجون مستبشرون أمين . والسلام من الفقير لي سبحانه المتوكل عليه المفوض أموره إليه.

عيدكم رحاء لكم ومقبل يدكم وقدمكم الحاج احمد باي وقفة الله بقدر وامنه يقوته.

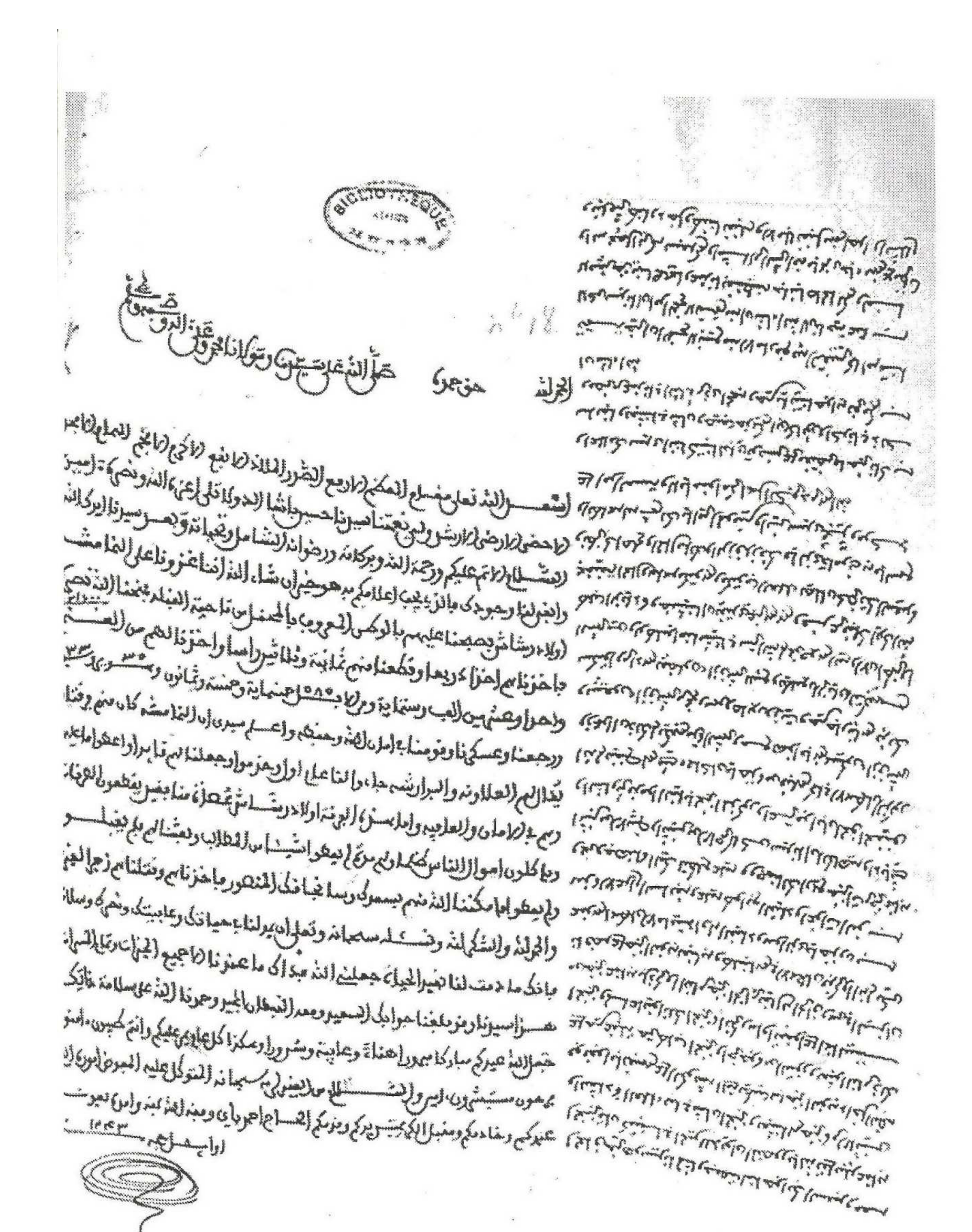
المصدر: المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، الأرشيف العثماني، المجموعة رقم 1642، الوثيقة رقم15.

الملحق رقم (06): رسالة من احمد باي قسنطينة الى الداي حسين



المصدر: المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، الأرشيف العثماني، المجموعة رقم 1642، الوثيقة رقم19.

الملحق رقم (07):رسالة من أحمد باي الى حسين باشا في مسألة تأديب بعض قبائل الحنانشة



نص الوثيقة:

الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد و على اله و سق (كذا) و سلم

اسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الملاذ الأنفع الأكرم الأنجم الهمام الأمجد الأحمد الارضى الارشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدوكاتلي اعزه الله و نصره .أمين. السلام الاتم عليكم و رحمة الله و بركاته و رضوانه الشامل و تحياته و بعد سيدنا أبدك الله أبقى لنا وجودك فالذي يجب إعلامكم به هو خير إنشاء الله أننا غزونا النمامشة أولاد رشاش فصبحنا عليهم بالوطن المعروف بالمحمل من ناحية القبلة فمنحنا الله نصرا فأخذناهم أخذا ذريعا و قطعنا منهم ثمانية و ثلاثين (38) رأسا و أخذنا لهم من الغنم (21600) واحد وعشرين ألف و ستة وستمائة و من الإبل 585 خمسمائة و خمس و ثمانون و خمس وثلاثون و ثلاثة و ثلاثون سرى(35) سوى(83) و رجعنا و عسكرنا و قومنا في أمان الصحة و حفظ واعلم سيدي إن النمامشة كان منهم فرقتنا يقال لهم العلاوتة و البرارشة جاءوا لنا عام اول و خدموا وجعلنا لهم قايدا و أعطوا ما عليهم دسم في الأمان و العافية و أما أسرة الطرقة أولاد رشاس عصاة ومنافقين يقطعون الطريق ويأكلون أموال الناس ظلما ...لم يعطوا شيا من المطالب و بعثنا لهم فلم يقبلوا و لم يعطوا ما مكننا الله منهم لسموك و ساذجاقك المنصور فأخذناهم و قتلناهم زجرا لهم و الحمد لله و الشكر لله و نسأله سبحانه و تعالى ان يمد لنا في حياتك و رعايتك و نصرك و سلامتك ...فانك ما دمت لنا بصير الحياة جعلني الله عبداك ما عندك الا جميع الخيرات و قمام المسرات .. هذا سيدنا و قد بلغنا جوابك السعيد و معه القبطان ... المجيد و حمدنا الله على سلامة ... تك حمل الله عيدكم مباركا مبرورا هناء و عافية و سرور و هكذا كل عام يمر و انتم طيبون أمنون فرجون مستبشرون أمين . و السلام من الفقير لي سبحانه المتوكل عليه المفوض أموره إليه. عيدكم رحاء لكم و مقبل...يدكم و قدمكم الحاج احمد باي وقفة الله ... بقدر و امن يقوته

المصدر : الأرشيف العثماني، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، المجموعة رقم 1642، الوثيقة رقم18.

الملحق رقم (08): عبده حسين باي ابن صالح باي سنة 1221هـ امتياز في بناء زاوية الشيخ سيدي علي العريان والسيد محمد بن سي سعيد

الحمد لله و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على اله و صحبه و سلم تسليما، ليعلم من يقف على امرنا هذا من المشاييخ الاعلامو الفقهاء الكرام، وقضاة والولات أننا اشهدنا على انفسنا والتزمنا التزاما كليا بحيث لاتسعنا المخالفة عليه وهو ان قدمنا الى تونس بمحالنا و عسكرنا وسهل الله امرها علينا واخذناها بالشيخ سيدي علي العريان والسيد محمد بن سي سعيد ما يحتاجوه منا من بناء دار تكون بقربه واصلاح مسجده نجعل له اوقافا معلومة يستعينون منها على الطلب وضيافة الغرباء والواردين عليهم وابناء السبيل فعليهم بالاعانة لنا بدعايهم (كذا) الصالح الجالب لكل المنافع والمصالح فنحن اولادهم و عيينا في وجههم ومعتمدون على الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم وعليهم ولا زايد (كذا) سوى اغتنام الدعاء الصالح منهم ومن امثالهم حشرنا الله تعالى في زمرتهم وحزبهم والله الموفق للصواب و اليه المرجع والماب (كذا) لا رب غيره ولا معبود سواه و الامر كله لله والسلام من الاسعد السيد حسين باي اعزه الله بمنه امين، اوائل ربيع الثاني عام 1222هـ (1806م).

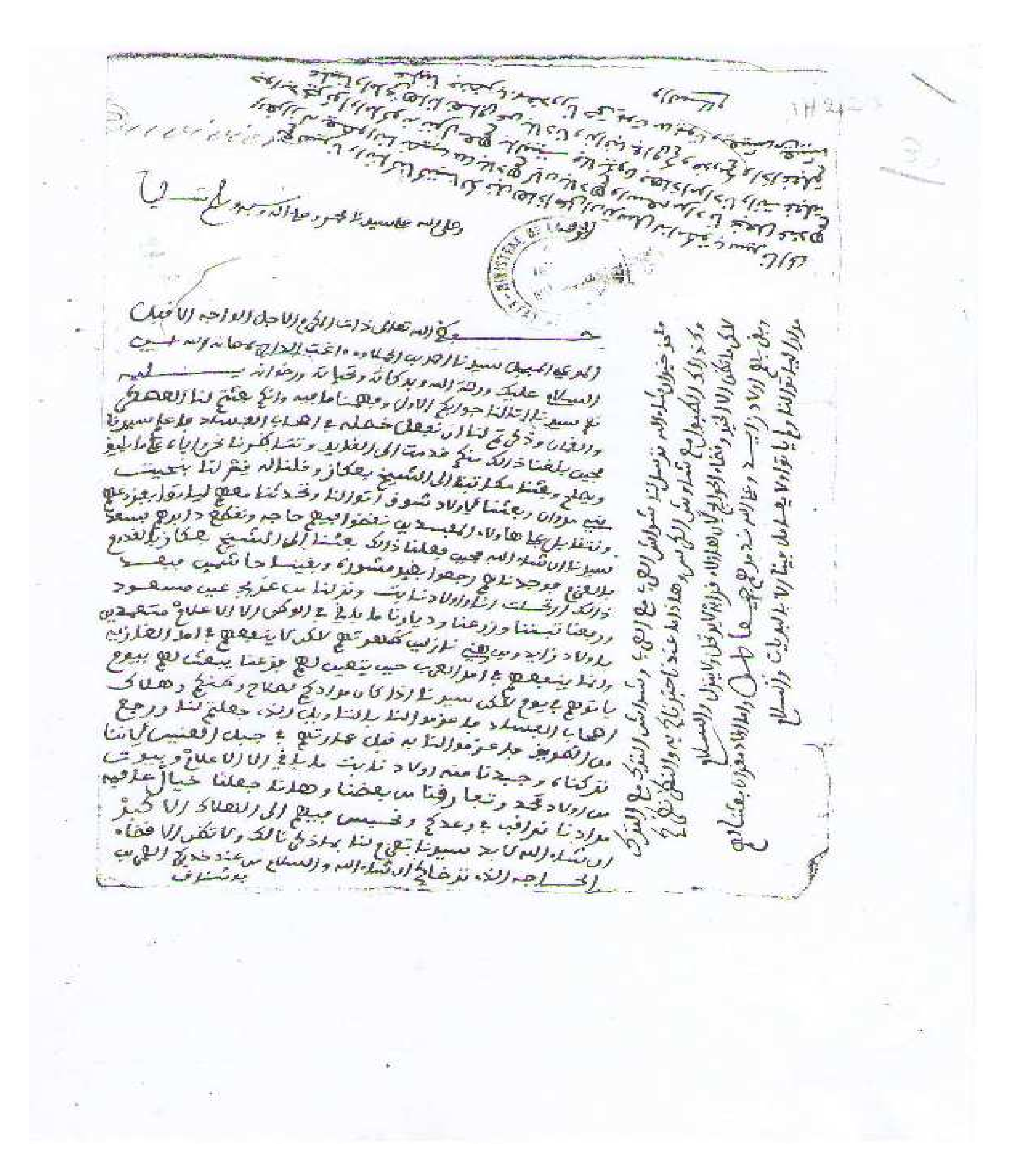
المصدر: Féraud (Ch),in R.A, vol 07, 1863, p91-93

الملحق رقم (09): أمر من صالح باي لتنظيم أوقاف المساجد

الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة و لم يكن لهم اعتناء بشأن الاوقاف و فرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها بغفلتهم عنها وعدم اعتنائهم بشانها و لم يبحثوا على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضياع أوقافها التيبني عمارة الوقف عليها وصار البعض منها بسبب ذلك مربطا للدواب والبعض غلقت عليه الابواب والى (كذا) امره الى الخراب و بلغ امر ذلك لحضرة المعظم الاسعد المنصور الموير (كذا) ذي الاراء السديد و حسن الراي سيدنا صالح باي ايده الله تعلى (كذا) و ابقى وجوده وادام خيراته و جوده فألهمه الله الى الكشف عن ذلك و اراد ان يثبت ذلك بثلاث 3 سجلات متماثلة تحفظها و يومن (كذا) بذلك من التبديل والتغيير عليها امر حينئذ قضاهو المفتيين ان يبحثوا على اوقاف المساجد وعلى المساجد التي دثرت (كذا) ويثبتوا ذلك بثلاث سجلات3 متماثلة فأمتثلوا امرهو بلغوا جهدكم في البحث عن اوقاف المساجد وعن المساجد التي دثرت (كذا) و اطلعوا على سجلات المساجد و اثبتوا بعد الكشف عن ذلك اوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل و بسجلين اخرين2 مماثلينله لفضا ومعنى احد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلدو الثالث عند قاضي الحنفية والرابع عند قاضي المالكية فمن علم ذلكو تحقق وعلم ان الطابع المرسم بطرته (كذا) اعلاه هو طابع المعظم الارفع سيدنا صالح باي ادام الله اوقاته وبارك فيه قيرفه (كذا) و بمضمنه شهادته منا و ذلك اواسط شهر ربيع الاول المنور بمولده صلى الله عليه و سلم عام تسعين و ماية والف ومن تمامه ان سيدنا صالح باي ايده الله على ان المعاوضة لاتقع في اوقاف المساجد اصلا لا بالقليل ولا بالكثير و ان وكلاء المساجد يحاسبون على اوقاف المساجد من ستة اشهر الى ستة اشهر و ان الفاضل من اوقاف المساجد اي من غلتها يتفقده العلماءالمنعقد بهم المجلس العلمي و صاحب بيت المال في كل سنة و من كثرت غلة اوقافه من المساجد يشترون بما فضل عن حاجة الاوقاف عقارا يصير من جملة الاوقاف صح ذلك محمد بن الموهوب، احمد بن جلول عبده صالح باي بن مصطفى 1185هـــ الواثق برب الناس عبده بالعباس 1188 سي شعبان 1179.

المصدر: Féraud (CH),in , R.A, vol12, 1868, p123-124

الملحق رقم (10)



المصدر: أرشيف ولاية قسنطينة العثماني، المجموعة رقم 14223، الوثيقة رقم35.

ملحق رقم (11) : تعيين حمودة بن الشيخ الفقون حاكما على قسنطينة.

و بعد ذلك اشتغل بتفريق العساكر على ديار الناس الذين هربواو قررهم فيها و امر لهم بما يحتاجوته من ماكول و مشروب و فراش و غيره لانه الناظر على البلد في ذلك الوقت لما يشق عليهم امر من الامور يمشون اليه و لما يحضروا عنده يتكلم معهم بكلام لين حسن و يامرهم بما يقدرون عليه فاستحسنوه ناس البلد و صاروا يركنون اليه في جميع امورهم ، و لم يزل واقفا وقوف الجد و الحزم في ايام الضيق و يسكن الناس و يعدهم بالخير و انهم لا يخلفون .

و اما ولد السلطان و الماريشال و من معهم من ارباب الدولة الفرانصوية خمموا في عقولهم و دبروا بما اقتضاه نظرهم في شان تهنئة البلاد و تمهيد الوطن و جلب العباد فاتفق رايهم انهم يجعلوا حاكم في قسنطينة كما كانت العادة القديمة حتى يستقيم الحال ، و ينتظم الامر و يطيب المال . ثم انهم اتفقوا على سي حمودة ولد سيدي الشيخ و اختاروه و لذلك الوظيفة يقدموه لكونه الكماندة بيدو و ترجمان الماريشال ، و القبطان فليس و غيرهم من ارباب الدولة و مشوا جميعا الى دار سيدي الشيخ من الفقون و استقروا بالجامع الكبير لاجل ان يلبسوه و حضروا ناس البلد و العلماء و ذلك يوم السابع من يوم دخول الفرانسيس في بلد قسنطينة . فلما سمع ابوه و هو سيدي الشيخ تحير و بكى قائلا و لدى صغير و نحن زواية ملجا القليلين نطعم الطعام لوجه الله رب العالمين و ما نحتاجوا من الدولة الفرانصوية الا الاحترام مثل ما كانوا الدول الاولين . فاجابوه قائلين : لا بد من ولدك يخدم في سربيسنا(332) و ما يكون لكم و لزاويتكم الا الاحترام منا . لان دولة فرانصة دائما تحب تعمل الخير بالزيادة ، فترى سيدي الشيخ سلم في امره و قدم ابنه بطيب نفسه ، فحينئذ لبسوه ، و لما شاع خبر ولايته انقادوا مشايخ الوطن و دخلوا في خدمة الفرانسيس بواسطته ، و انعطفوا عليهم ناس البلد العامة الذين كانوا هربوا مع بن عيسى باش حانبه ، و استقروا في منازلهم و صاروا مطمئنين ، و من خوفهم هانئين .

(332)- يعني مصلحتنا الادارية من الكلمة الفرنسية : Notre service.

الملحق رقم (12) الاحداث التي كانت سبب في ثورة ابن السخري

... القايد مراد بن سوري رحمه الله تعلى و فيها توفي حمودة خوجة و في رمضان من هذه السنة كسرت محلة الجزاير (كذا).في سنة احدى و اربعين بعد الالف و في سنة اثنين و اربعين بعد الالف كانت الزينة بالجزاير(كذا) .ثم تولى من بعده يوسف باشافي رجب من سنة اربع و اربعين بعد الالف ،في صفر من سنة سبع و اربعين بعد الالف و في سنة ثمان و اربعين بعد الالف وقع حريق البارود يوم الجمعة قبل الصلاة و فيها وقع حريق القصبة و في سنة 1049 تسع و اربعين بعد الالف وقعت الزينة بالجزائر و فيها خنق حمزة خوجة و فيها توفي مراد باي في صفر و سبب موته على ما قيل انه كان نازلا بفناق فيلة قسنطينة فاتى اليه الشيخ محمد بن السخري بن ابي عكاز العلوي شيخ العرب يوم الاربعاء غرة صفر الخير من سنة 1047 سبع و اربعين بعد الالف فحبسه بالمحلة المنصورة و اتفق الديوان العالي على قتله لكونه خرج عن الطاعة السلطانية و شاوروا على ذلك باشا الوقف يومئذ مولانا المعظم على باشا و الديوان و غيرهم فاتفق راي الجميع على قتله فقتلوه و قتل معه ابنه احمد و ستة انفس من اجواد العرب جعلوا نيشانا في باشوظة من المحلة ثم قطعت رؤسهم و اتوا بها الى قسنطينة فوضعت فق(كذا) سور البلد عدى راس الشيخ محمد و ابنه فانهم لم ياتوا بهما الى المدينة فلما كانت السنة الاتية بعد قتل المذكورين جهز اخو الهالك المذكور و هو احمد بن السخري جميع الاعراب و الحنانشة و غيرهم من ساير الرعية كاين(كذا) من كان من باب الجزاير الى باب تونس و نافو على دار السلطان و قصد بزمله المذكور بلد قسنطينة فخرج اهل البلد لقتاله بفشيهم بخيله و رجاله و قتل منهم نحو خمسة و عشرين رجلا فرجعوا الى البلد مكسورين و في غد ذلك اليوم فزع بخيله و رجاله للفحص الابيض و المحامة و تلك النواحي و اطلق الشارع نوادر القمح و الشعير باحرفها عن اخرها و احرف ما فيها من الدشر حتى انتهى الحرف الى جنة المنبا و اطلق النار من نواحي اخرى و من الغد و هو اليوم الثالث اطلق النيران من قسنطينة الى ان انتهى الى حفرة صنهاجة و لم يزل بحرف و ينهب و مهما سمع بدشرة بها شيء من البزرع نهبه و نهب من باب ميلة ...

المصدر :

Féraud(Ch) ,Epoque de l’etablissement des turcs à Constan–tine, in R.A.vol, n°10,pp160-161.

الملحق رقم (13): عقد أمان لهارب ومتمرد عن سلطة البايلك لصالح ابن الأحرش

الحمد لله وحده وصلى الله تعالى على سيدنا و مولانا محمد و اله و صحبه و سلم

حفظ الله تعالى بيته و كرمه مقام المكرمين اولادنا كبوا جيجل و مشايخهم و المرابطين خصوصا السيد محمد امقران المرابط سدده الله السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بعد فقد ورد علينا مكتوبكم و ما ذكرتم لنا بيد على شان عارو (؟) خوجة انه هرب الى دارك و دخل تحت حرمتكم و طلبتم منا ان نعفوا عنه و فومنه لوجهكم فهمناه و اعلم حيث هرب الى دارك و احترم بحرمتك فعليه الامان و لا يخاف بلا نصرة بشى فلو كان مرادي في اذايته لفعلت و لاكن هو في دارك و في امانك يبقى هناك عندك الى ان يعمل الله سبحانه و تعلى تاويلا و لا يمكنه ان يرجع الى الجزاير بل يبقى هناك هذا و لنا عندكم حاجة تقضوها لنا ان كنتم منا و الينا و هي ان ذلك الرجل الذي هو بوادي الزهر من جهة ابن الاحرش الذي كان هناك سابقا يدعي انه حفيرة و هو مشتغل بالكذب و البهتان يفر الناس بالكذاب و يغرو بهم بالبهتان و يقودهم الى الفساد و الضلال و يوصلهم الى الهلاك دنيا و اخرى فهو من المفسدين في الارض الضالين المضلين بان امكنكم ان تتحيلوا عليه .بما يظهر لكم حتى تضفروا به فلكم عندنا جميع ما تشتهونه و لكم منا الحرمة الكاملة و البرة الشاملة و تكونون عندنا في المرتبة العلية فاجتهدوا و احرصوا على الضفر به فان ضفرتم به فابعثوه الينا و نكافيكم فيما يرضيكم و السلام كتب عن اذن المعظم الاربع مولانا الدولاتلي السيد على باشا ايده الله بيه الحاصل اننا سمعنا يدور في تلك النواحي على الضلال و الفساد بلا يعرتكم ما تسمعوا منه بانه كله كذب و بهتان و السلام المتوكل على المولى الجليل عبده الحاج علي بن خليل 1669

المصدر:

Féraud (Ch), Les cheérifs kabyles de 1804 dans la Province de Constantine, in R.A, vol 13, Année, 1869, p211.

ملحق رقم (14): شهادة من ابراهيم باي الى الشيخ محمد بن عواز شيخ جبل الكراستة

الحمد لله

امرنا هذا السعيد بيد حامله الشيخ محمد بن عواز شيخ جبل الكراستة و اخوانه بني فغال على ان البلاد الدهمشة التي اعطاها لهم سيدنا الباشة لهم و جددنا لهم عليها على حسب ما كانت بيدهم سابقا بحيث لا يقربها احد من بني زونداي و لا الريشية و لا غيرهم من الدايرة و الاعراش و الذي يقرب بلادهم المذكورة تلزمه العقوبة الشديدة و ذنوبه في رقبته فلا يتعدى احد على بلادهم لان عليهم الحرمة التامة و الاحترام و على هذا العمل و السلام من المعظم السيد ابراهم باي اعزه الله امين .

المصدر: **Feraud (ch)R.A.vol . n° 13 année 1866; p 44**

الملحق رقم (15): شهادة السيد علي باشا بخصوص منح امتياز إلى الحاج أحمد المكي

الحمد لله وحده

ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم و الخطاب الواضع الجسيم من القواد و العمال و الخاص و العام و جميع المتصرفين في الاحوال خصوصا قرية جيجل اما بعد فان حامله المعظم الاجل السيد الحاج احمد المكي نجل القطب سيدي محمد امقران نفعنا الله ببركاته امين انعمنا عليه و قدمناه مرابط بقرية جيجل ... و لا يتعدى عليه احد من اهل النوبة و لا من يكسر عليه حرمه لا أغه النوبة و لا غيرة من سكان قرية جيجل من العسكر هذا كله حرمة منا له و لوقوفه مع النوبة في اتيان الازاق و لوجه جده المذكور و لطعامه(كذا) للفقراء و المساكين كتب عن اذن المعظم الأرفع مولانا الدولاتلي السيد علي باشة اواسط شوال عام 1168.

المصدر: Feraud (Ch),in R.A.Année 1868,vol13,p38

الملحق رقم (**16**): قصيدة من انشادالسيد محمد بن القاضي السيد محمد الشاذلي القاضي

قدم الجميل لا يفارقه السـعد ***** و يصحبه التعظيم و العز و الرشد

طلعتم كبدر الافق من بعد غيبة ***** و انتم بدور العز انتم لنا القصـد

لغيبتكم قد فارق الجفن نومـه ***** و صار قذى فيه كجفن به رمـد

و كيف وفيكم للرعايـا منافع ***** بها تشكرون الدهـر ليس لها جحد

صنعتم جميلا وقت تقليد امرهـا ***** بعد لكم اذ نالـه الحـر و العبـد

و نام مريد الخير في ظل عدلكم ***** الا ليت شعري هـل يكـون لكم

فاهلا بكم اذ زرتمونا و مرحـبا ***** فزورتكم فيها لـنا الفخـر و المجد

ولو طالت نال الناس فيها مناهم ***** و ابكاهـم اذا تطل عنكـم البعد

خليفتكم ذو العدل يسلى همومهم ***** و يقفـوا طريـق الخير و الرشد من

واطلب منكم ان رجعتم لاهلكم ***** و فزتم بجمـع الشمل صاحبكم رشد

بلوغ سلامي للجميع و نجلكـم ***** و ذكرى فيهم بالجميـل هو القصد

و قائلها يرجـو المـودة منكم ***** و في مدحكم بالشعركان هـو الود

انتهت القصيدة بحمد الله تعالى

المصدر: محمد الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة، ص ص. **167**. **168**.

ملحق رقم (20): اشهر النوبات في بايلك قسنطينة.

النوبات	عدد افرادها
-نوبة قسنطينة	73 عسكريا
- نوبة عنابة	71 عسكريا.
-نوبة بسكرة	72 عسكريا.
-نوبة بجاية	44 عسكريا.
-نوبة تبسة	29 عسكريا.
-نوبة جيجل	29عسكريا .
-نوبة برج حمزة(بويرة)	15 عسكريا.
العدد الاجمالي	333 عسكريا.

المصدر: **محمد الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة، ص37.**

ملحق رقم (**21**): قائمة بايات قسنطينة

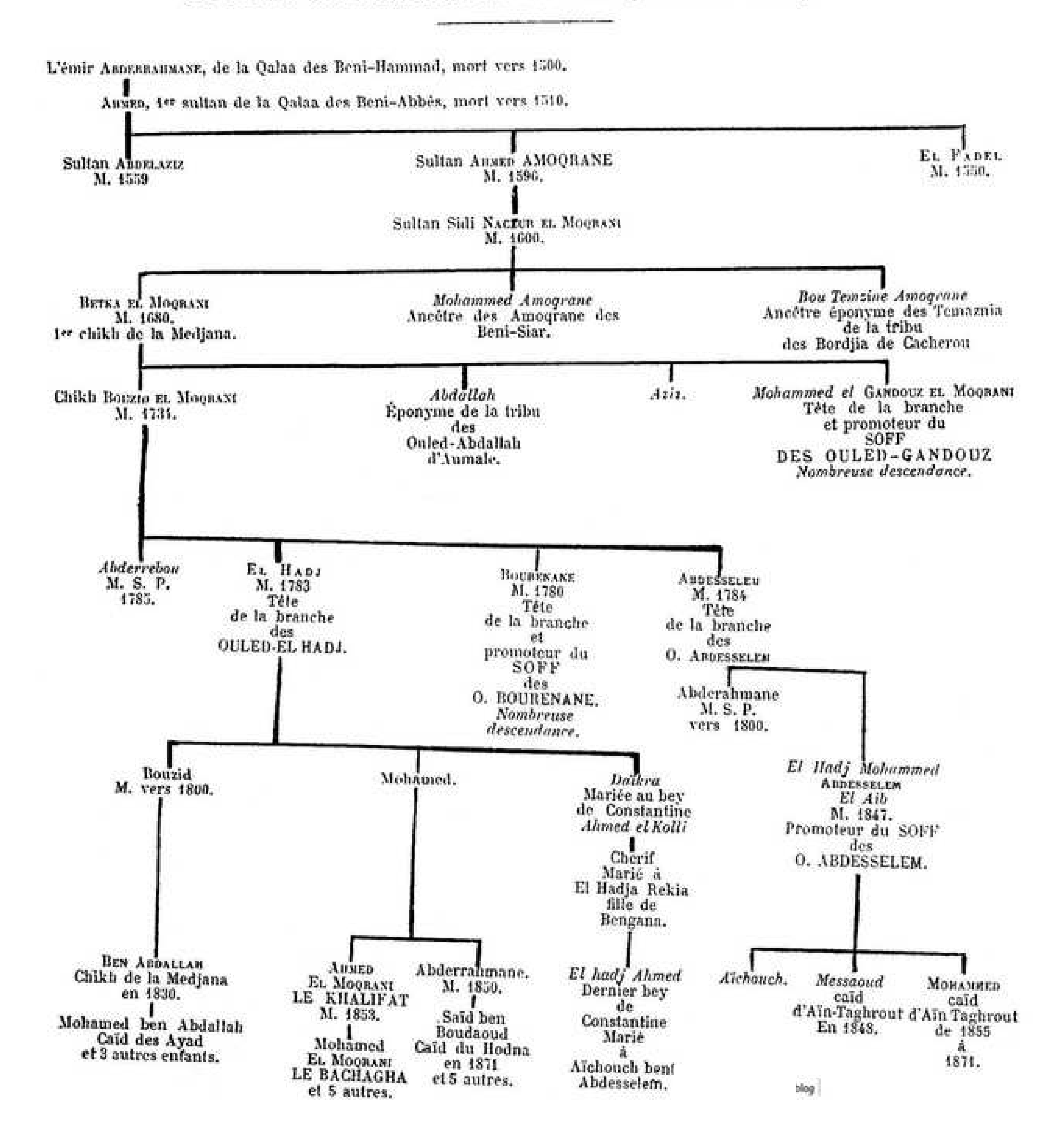
اسم الباي او لقبه	الاصل	فترة الحكم
1-رمضان تشولاق باي عربي	عربي	1567-1574م
2-جعفر باي	تركي	1574-1588م
3-محمد بن فرحات باي عربي	عربي	1588-1608م
4-حسن باي	تركي	1608-م1622
5-مراد باي	تركي	1622-1647م
6-فرحات باي	عربي	1647-1653م
7-محمد باي بن فرحات	عربي	1653-1666م
8-رجم باي	عربي	1666-1674م
9-خير الدين باي	عربي	1674-1676م
10-دالي باي	تركي	1676-1679م
11-باش اغا باي	تركي	1680-1688
12-شعبان باي	عربي	1688-1692م
13-علي خوجة بايم	تركي	1692-1700
14-احمدخوجة باي بن فرحات	عربي	1700-1703م
15-ابرهيم باي العلج	تركي	1703-1717م
16-حمودة باي	عربي	1717م
17-علي باي بن حمودة	عربي	1708
18-حسين شاوش	عربي	1708
19- عبد الرحمن باي بن فرحات	عربي	1709
20--حسين دنفزلى باي	تركي	1710
21-علي بن صالح باي	عربي	1710-1713
22-قليان حسين يوكمية	تركي	1713-1736م
23-حسين باي بوحنك المسمى حسن باشا	تركي	1736-1754م
24-حسين باي زرق عينو	تركي	1754-1756م

25-احمد باي القلى جد احمد باي المذكور اخر البايات	تركي	1756-1771م
26 -صالح باي	تركي	1771-1792م
27-ابرهيم بوصبع (حكم ثلاثة ايام)	تركي	1792م
28-صالح باي مرة ثانية	تركي	1792م عشرة ايام
29 -حسين ولد حسن باشا بوحنك باي	تركي	1792 -1795م
30- مصطفي باي الوزناجي	تركي	1795-1795م
31-حاج مصطفى باي انقليز	تركي	1798-1803م
32- عثمان باي	كرغلي	1803-1804م
33-عبد الله باي	تركي	1804-1806م
34- حسين باي ولد صالح باي	كرغلي	1806-1807م
35-علي باي بن يوسف	تركي	1807-1808م
36-احمد شاوش القبايلي	تركي	1808م
37-احمد باي طبال	تركي	1808-1811م
38-محمد باي نعمان	تركي	1811 -1814م
39-محمد باي شاكر	تركي	1814-1818م
40-قارة مصطفى باي	تركي	1818م
41- احمد باي المملوك	عربي	1818 م
42-محمد باي الميلي	تركي	1818-1819م
43-ابرهيم باي الغربي	تركي	1819 -1820م
44-احمد باي المملوك ايضا مرة ثانية	تركي	1820-1822م
45-ابراهيم باي الكريتلي	تركي	1822-1824م
46 -محمد باي منا ماني	تركي	1824-1826م
- حاج احمد باي بن محمد آخر البايات	كرغلي	1826 -1837م

المصدر :محمد صالح العنتري ،تاريخ قسنطينة، ص ص**183-185**؛ بتصرف.

ملحق رقم (23): شجرة النسب لعائلة بوعكاز

ملحق رقم (24): شجرة النسب لعائلة المقراني

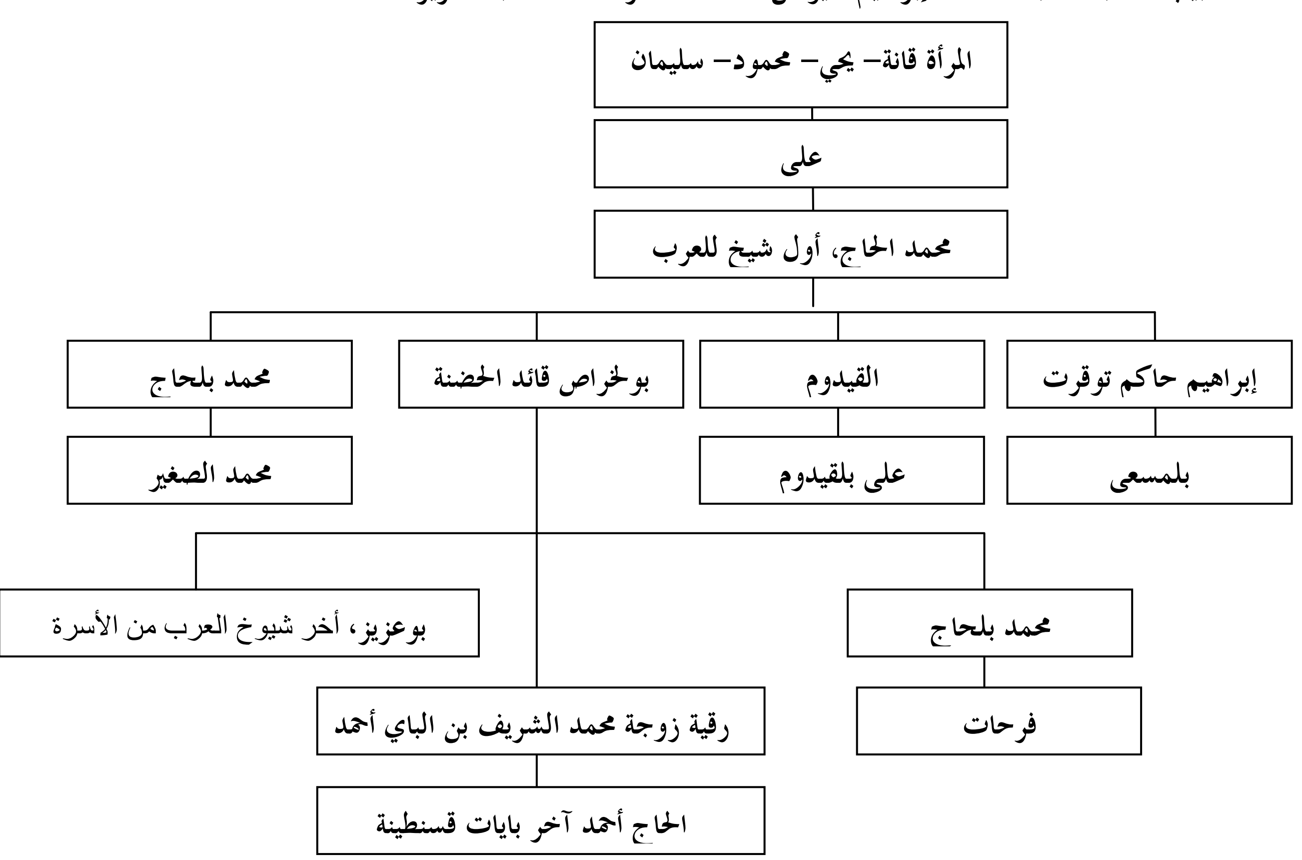


المصدر:

Féraud (Ch), Les cheérifs kabyles de 1804 dans la Province de Constantine, in R.A, vol 13, Année, 1869

ملحق رقم (25): شجرة النسب لأسرة ابن قانة

علي بن أبي طالب– الحسن– عبد الله– إدريس الأكبر– إدريس الأصغر– أحمد عبد الله– سالم– عمران– جبار– عبد العزيز– عزوز– موسى– مسعود– مزدي– داوود– يحي– عيسى– علي– عبد الله– إبراهيم– عبد الله– عيسى– عبد الغفار– داوود– محمد– يوسف– خالد– عدنان– يوسف– عيسى– أحمد– الحبيب– العبد– عبد المالك– إبراهيم– يونس– خالد– عمر– محمد– عبد العزيز.

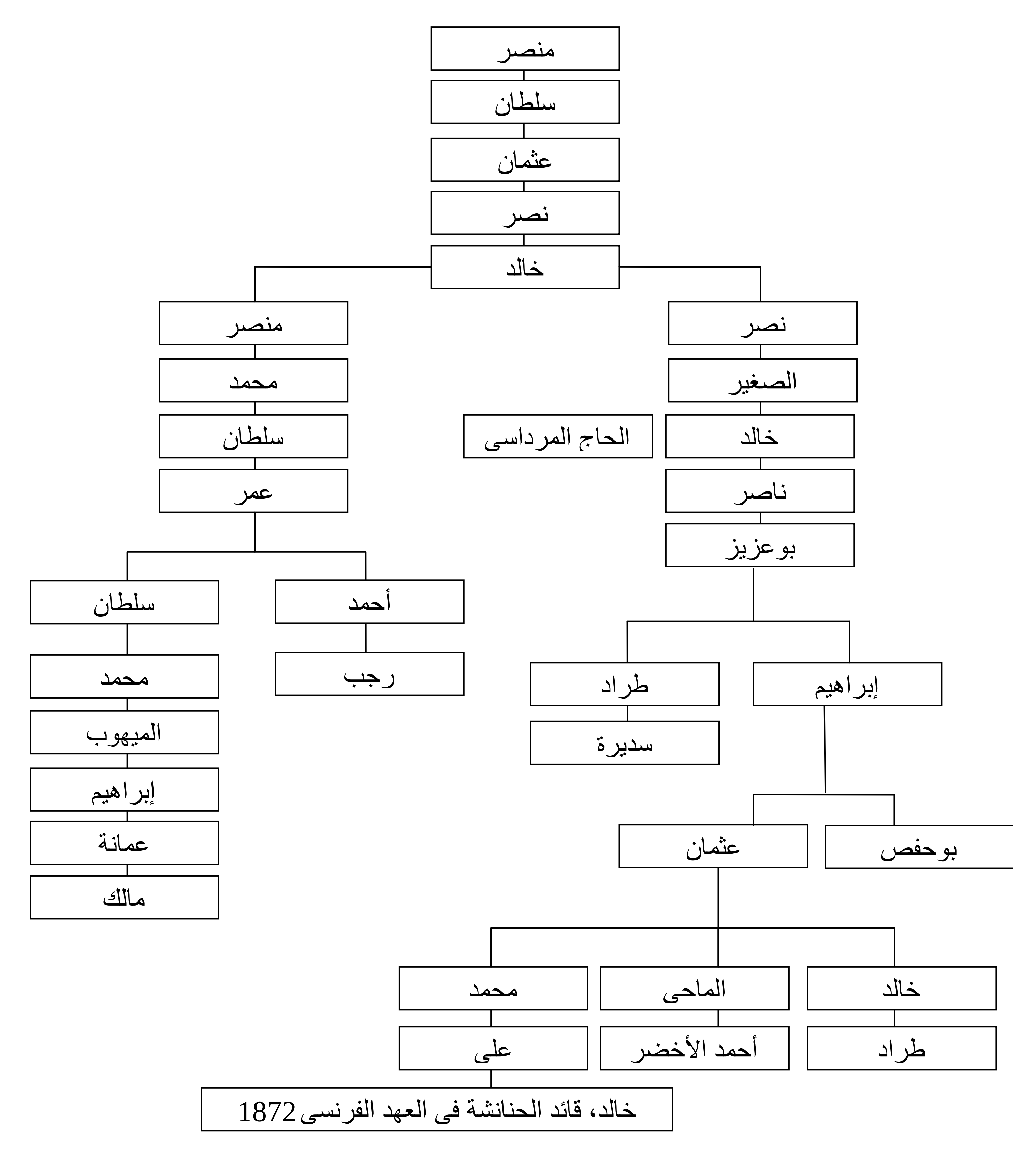


المصدر: **Féraud (Ch), Le Sahara de Constantine, Op.CIT, p216**

وقد جاء في تاريخ أسرة ابن قانة للشيخ بوعزيز بن قانة، الذي ينتسب إلى الأسرة إلى العِترة الشريفة، وهو ما أشار إليه Gouviion (E.M).

الملحق رقم (26): شجرة الأنسب أحرار الحنانشة

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)– عبد الله– حنش– عامر– نصر– جابر– محمد– بعرة– عامر– إبراهيم– جابر– سعد– محمد– أبو بكر– علي– عثمان– نصر – خالد الكبير (بوزرودة 1530).



المصدر: شارل فيرو، المجلة الإفريقية، 1874، ص-ص 349 – 396.

البيبليوغرافيا

المصادر الارشيفية باللغة العربية

1. الارشيف العثماني، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.
2. أرشيف ولاية قسنطينة.

المصادر باللغة العربية:

3. الإدريسي (الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب للطباعة والنشر، الجزائر، 1989.

4. خوجة (حمدان بن عثمان)، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

5. خير الدين (محمد)، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.

6. العنتري محمد الصالح، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى ب وعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005.

7. العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005.

8. محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار،الجزائر، 1974.

9. مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة،تحقيق،حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت.

10. المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

11. Dureau (de la Malle) , la Province de Constantine, paris 1837.

12. Haedo (Diego) ،Histoire des rois d'Alger ،A. Jourdan ، Alger 1881.

13. Jean-André Peyssonnel, Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, publies par Dureau de la Malle, Paris,1838.

14. Shaler (w), Esquisse de l'Etat Alger , traduit de l'Anglais et enrichi de notes par Bianchi (x) ,l'Avocat, paris.1830.

15. Shaw (Dr), voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'anglais par J.MAC carthy. Paris, 1839.

16. Vayssettes (E), Histoire des derniers Beys de Constantine, presententation de Abderrahmane Rebahi, Alger, 2005.

17. Vayssettes (E), Histoire De Constantine Sous La Domination Turque De 1517 À 1837, Ed Bouchène, 2002 .

18. Féraud.(Ch), Kitab el-Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunis Constantine, Arnoulet, Alger, 1868.

المراجع باللغة العربية:

19. الأخضر لطيفة، الإسلام الطرقي (دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية) دار سراس للنشر، تونس، 1993.

20. بالحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

21. برنيان (أندري)، اندري (نوشي)، إيف (لاكوست)، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، منصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984.

22. التجاني (محمد الحافظ)، قصر السبيل في الطريقة التيجانية، وادي سوف، 1999.

23. الجابري (محمد عابد)، تطور الأنتلجنسيا المغربية، الأصالة والتحديث في المغرب(الأنتلجنسيا في المغرب العربي)، مجموعة أعمال بإشراف د.عبد القادر جغلول، دار الحداثة، بيروت، 1984.

24. حليمي (عبد القادر)، جغرافية الجزائر -الطبيعية، البشرية، الاقتصادية-، مطبعة الإنشاء، ط2، دمشق، 1968.

25. محمد الأمين بلغيث، الشيخ محمد بن محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية، الجزائر، 2007.

26. خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث -من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي-، مكتبة دار الشروق، بيروت، (د.ت).

27. الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في فترة 1792-1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984.

28. سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر،تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.

29. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج1، بيروت، 1998.

30. سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، الجزائر في العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984

31. سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

32. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

33. سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 2000.

34. العروق (محمد الهادي)، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيا العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

35. فاضلي (إدريس)، المدخل إلى تاريخ النظم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

36. سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000.

37. قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987.

38. مؤنس (حسين)، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد، 1320هـ.

39. المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984.

40. المدني التوفيق،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ش.و.ن.ت، الجزائر، د.ت.

41. أبو الضيف (احمد عمر)، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

42. معريش (محمد العربي)، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1290-1311هـ/1873-1894م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

43. Dardour (h’sen), Annaba 25 siecles de vie quotidienne et de lutte, T2, SNED, Alger, 1983.

44. Isabelle Grangaud, la ville imprenable une histoire sociale de Constantine au18è siecle, blida, alger 2010

45. Moulay Belhamissi.marine et marins d’alger 1518_ 1830, bib. ntionale d’algerie,3t, 1986 Moulay Belhamissi.marine et marins d’alger 1518_ 1830, bib. ntionale d’algerie,3t, 1986

46. Mouloud gaid,chronique des beys de constantine,OPU,alger

المجلات والدوريات بالعربية:

47. بلحميسي مولاي، "الثورة على الأتراك في الجزائر"، مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الثقافة، العدد 48، الجزائر، ديسمبر 1978م.

48. سعيد وني (ناصر الدين)، "الإنسان الاوراس وبيئته"، مجلة الأصالة، عدد 79 جوان1980.

49. الشابي (علي)، العلاقة بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشرة، المجلة التاريخية المغربية، عدد18/17، تونس، جانفي 1980.

50. ضريف (محمد)، "مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي مساهمة في التركيب"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع، السنة الأولى، العدد 1 (عدد خاص) المغرب الأقصى، 1986.

51. الميساوي (عبد الجليل)، "زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 21، السنة السابعة، تونس، 1982.

52. الهيلة (محمد الحبيب)، "الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، الصادرة عن الشركة التونسية للفنون، السنة 12، العدد40-41-42-43، 1975.

المجلات والدوريات بالفرنسية:

53. Féraud (ch), "Epoque de l’établissement des turcs a constantine", in R.A, 1866.

54. Féraud (Ch.), " Les corporation des métiers a Constantine avant la conquête Française ", R.A. T.16.1872

55. Feraud (ch), Le Sahara de Constantine, Alger, A, Jourdan, 1887.

56. Féraud(ch.), "l’époque de l’établisseme " ,in R.A. 1866.

57. Féraud,(ch). " Tournée dans la Province de Constantine". R.A, Volume12, 1868.

58. Marcel (E) " Mémoires d’Ahmed bey " ;In R.A, 1949, p.88..

59. Berbrugger(A), " notes relauives a la Revolte de bensakhri ",in R.A.1866.

60. Cherboneau(A), "Lnscriptions Arabe de la province de Constan-tine", in R.S.A.C,1856-1857.

61. Venture de Paradi ; "Alger au 18és " ;R.A. n° 219: 1895

62. Vayssettes, (E) , "l’hisrtoire de dernier beys de Constantine", in R.A, T3, 1858.

63. Joseph-Adrien Seroka, "Le sud Constantinois de 1830 à 1855", RA, 56, 1912.

64. Fella (Moussaui El Kechai), "Situation démographique et sanitaire du Beylik de Constantine 1771-1837 "in Arabe historical review for othman studies n° 17-18 ،fondation temimi pour la recherche scientifique et l'information ،zaghouan ،Tunis sep 1998.

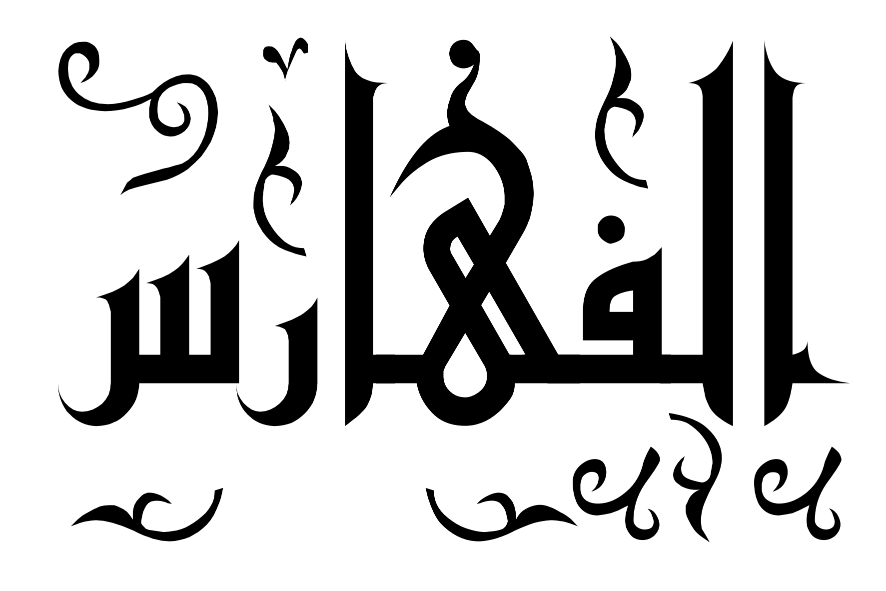
الرسائل والمذكرات الجامعية:

65. شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006.

66. فيلالي (السائح)، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1792-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة، 1998م.

67. القشاعي الموساوي (فلة)، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004.

68. القشاعي الموساوي (فلة)، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، السنة 1990.


الفهارس

أ

إبراهيم باي25 ·
ابن الأحرش77 ·
ابن البجاوي21 ·
ابن السخري99 ,94 ,93 ,92 ,90 ,88 ·
ابن الصخري94 ·
ابن القاضي85 ·
ابن باديس21 ·
ابن جلول21 ·
ابن حسن21 ·
ابن خلدون71 ,70 ,67 ,66 ,65 ,62 ,60 ·
ابن نعمون21 ·
أبو الطيب بعرة بن حناش65 ·
أبو سالم العياشي · ب
أحمد ابن العطار · ب
احمد القلي74 ,73 ,72 ,45 ,30 ·
أحمد بن المبارك · ب
إدريس الأكبر71 ·
الإدريسي146 ,41 ,40 ,37 ·
الاصطخري40 ·
التميمي · ج
الحاج أحمد باي · ت
الحسن الوزان67 ·
الدرقاوي97 ,94 ,77 ·

الزياني40 ·
السخري101 ,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,89 ,88 ,64 ,63 ,60 ·
العبدري40 ·
العدواني · ج, 81, 100, 148
العياشي39 ·
المقدسي41 ·
المقراني101 ,99 ,90 ,85 ,81 ,62 ·
النويري81 ·
الورتلاني40 , 74 ,27 ·

ب

باش تارزي21 ·

ح

حسن ابن خير43 ·
حسن دردور · ب, 66
حمدان خوجة98 ,32 ,20 ,11 ·
حمودة باي21 ·
حناش بن بعرة65 ·
حناشي بن فناش بن فلاش66 ·
حيدر كاهية8 ·

خ

خالد بن نصر94 ,90 ,70 ·
خير الدين بربروس83 ,60 ,58 ·

ر

رمضان باي تشولاق8 ·

روبير شارل أجيرون · ج

س

سعد الله · ج, 17, 18, 28, 29, 30, 77, 78, 83, 101, 148

سليمان القانوني · ج

سهل القصور38 ·

سيدي خالد63 ,10 ·

سيدي خليفة بن عيسى46 ·

سيدي رفيس15 ·

سيدي عيسى46 ·

ش

شيخ العرب · ت, 35, 61, 62, 63, 64, 73, 83, 84, 89, 90, 93, 101

ص

صالح رايس · ج, 9

ع

عبد الكريم الفقون · ب, ث

عبد اللطيف المسبح46 ·

عبد الله الزبوشي77 ·

عبد الله باي99 ·

عبد المؤمن58 ,57 ,56 ,55 ,21 ·

عثمان باي11 ·
علي باشا91 ,75, 89 ·
علي بتشين90 ·
علي بن السخري62 ,61 ·
علي بوعكاز · ت, 63, 73, 83, 84
عمر ألوزاني58 ·

ف

فايسيت45 ·
فرحات باي103 ,45 ·
فلة القشاعي موساوي · ب
فيرو92 ,66, 71, 72, 84, 88, 90 ·

ق

قائد العواسي45 ·

م

مجهول · ج, 97, 98, 146
محمد الساسي البوني93 ·
محمد بن الحسن الوزان · ب
محمد بن صالح رايس48 ,8, 9, 43, 46 ·
مرداس24 ,21 ·
مسعود بن زمام60 ·
مسعود بن سلطان60 ·
مولاي أحمد46 ·

ن

ناصر الدين سعيدوني 9, 17, 18, 20, 21, 30, 33, 39, 40, 47, 49, 50, 51, 77, 149 ·

و

وليم سبنسر 16, 22, 148 ·

ومحمد الصالح العنتري · ب

ي

يحيى بن محمد 57, 58 ·

يوسف باشا 93 ·

فهرس المدن والأماكن

أ

أقبو9 ·

الأسبان85 ,84 ,72 ,47 ,46 ,9 ·

الأطلس التلي13 ·

الأغواط63 ·

الأناضول18 ·

الاوراس105 ,71 ,67 ,63 ,61 ,14 ,10 ·

الأوراس· ج, 13

الباب العالي93 ,36 ·

الباستيول96 ,95 ,90 ·

البحر الأبيض المتوسط39 ,36 ,31 ,23 ,9 ·

البقاع المقدسة94 ,38 ·

البلاغة62 ·

البلقان19 ·

البندقية37 ·

التلاغمة35 ·

الجزائر 2, 1 · ب, ت, ث, ج, 8, 9, 10, 11, 12, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 22, 24, 25, 28, 29, 30, 31, 33, 36, 37, 38, 39, 40, 43, 44, 45, 46, 47, 49, 50, 51, 54, 56, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 76, 77, 78, 83, 85, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 97, 98, 100, 101, 102, 146, 148, 149, 153

الحامة90 ,57 ·

الحراش37 ·

الحضنة **14, 15, 41** ·

الحميز **37** ·

الخربة **38** ·

الدانمارك **37** ·

الزاب **15, 36, 61, 67, 72, 74** ·

الزمول **38, 53, 98** ·

الزيبان **38, 39, 47, 61, 68** ·

السقنية **98** ·

السويد **37** ·

الصحراء **10, 11, 31, 35, 36, 39, 59, 63, 73, 74, 75, 81, 84, 93, 104** ·

العياشي **39** ·

الغدير **39** ·

الغنية **38** ·

القالة **38, 67, 89** ·

القنطرة **38** ·

القيروان **39, 40, 41, 71, 83** ·

المسيلة **39, 84** ·

المشيرة **38** ·

المغرب الأقصى **76, 149** ·

المغرب الكبير **1, 2** ·

المنصورة **55, 56** ·

الهضاب العليا · ج, **13, 14, 39**

الوطاية **38** ·

ب

باب الحديد38 ·

· 14, 38, 53باتنة

· 40بايلك التيطري

بايلك الشرق · ب, ث, 11, 17, 32, 47, 75, 82, 92

· 9, 10, 11, 23, 27, 37, 38, 40, 41, 43, 53, 85بجاية

· 9, 38, 53برج حمزة

· 10, 12, 36, 38, 39, 53, 57, 63, 74, 75, 86بسكرة

· 37, 39, 41بغاي

· 41, 63, 105بلزمة

ت

· 14, 40, 41, 53, 65, 67تبسة

· 10, 28, 36, 38, 74, 84, 85تقرت

· 9, 25تلمسان

· 41توفانة

· 9, 10, 13, 17, 20, 24, 38, 40, 46, 47, 58, 68, 69, 72, 74, تونس 76, 84, 90, 96, 104, 148, 151

ج

· 44, 93جبال البيبان

· 9, 11, 92جرجرة

· 38جزائر بني مزغنى

· 11, 17, 31, 37, 38, 53, 94, 97جيجل

ح

حلق الوادي46 ·

خ

خنشلة41 ·

د

دار السلطان90 ,9, 37, 40, 43, 45, 47, 54 ·

ز

زمورة38 ·

س

سبيبة41 ·

سطيف97 ,37, 38, 39, 40, 44, 61, 91, 92 ·

سقان38 ·

سكيكدة90 ,10, 12 ·

سهل القصور38 ·

سوق أهراس66 ,14, 15 ·

سوق بن خلف41 ·

ط

طبنة41 ,39 ·

طرابلس65 ·

طولقة **10** ·

ع

عنابة **97 ,93 ,53 ,47 ,46 ,43 ,31 ,27 ,24 ,19 ,17** ·

عين البيضاء **15** ·

عين الربط **37** ·

عين العصافير **41** ·

غ

غداسة **67** ·

ف

فرجيوة **43** ·

فرنسا **95 ,40 ,36 ,33** ·

فساس **41** ·

ق

قابس **62** ·

قالمة **67** ·

قايس **41** ·

قبر ماد قوس **41** ·

قسنطينة · ب, ت, ث, ج, **8, 9, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 19, 20, 21, 22, 24, 25, 27, 28, 29, 31, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 50, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 65, 67, 68, 69, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 81, 82, 83,**

85, 88, 89, 90, 92, 93, 94, 96, 97, 98, 99, 101, 102, 103, 104, 146, 149, 153, 165 ,뉠

- قصر الجنينة **9**
- قلعة الحمام **38**
- قلعة بني حماد **41**
- قلعة بني عباس **44, 85, 101**

ل

- لآلة خديجة **13**
- ليانة **57**

م

- مجانة **11, 39, 40, 41, 44**
- مرسى الخرز **38**
- مسكيانة **41**
- مصر **95**
- مقرة **41**
- منداس **61**
- ميلة **40, 53, 104**

ن

- نقاوس **41**

و

- واد الرخام **38**
- واد الزيتون **38**

واد ملاك41 ·
وادي الرمال12 ,10 ·
وادي الزناتي53 ·
وادي الزهور99 ,98 ,97 ,77 ·
وادي السمار9 ·
وادي جدي63 ,61 ,10 ·
وادي سوف· ج, 148
وادي صرات10 ·
ورقلة74 ,63 ,10 ·
ونوغة71 ,44 ·
وهران146 ,93 ,47 ,38 ,20 ·

فهرس القبائل والأسر والطوائف

أ

الأتراك · 11, 16, 18, 20, 29, 45, 50, 53, 54, 56, 72, 77, 78, 151

الأسبان · 9, 46, 47, 72, 84, 85

الانجليز · 36, 95

الأندلسيين · 21

الانكشارية · 8, 18, 43, 50

البربر · 16, 67

الترك · ج, 21, 56, 84, 103, 146

الحراكتة · 15, 35, 45, 67, 104

الحفصية · ت, 43, 57, 65, 71, 84

الحنانشة · 14, 15, 43, 46, 59, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 81, 82, 83, 84, 89, 90, 94

الدولة السعدية · 9

الذواودة · 10, 15, 44, 46, 47, 57, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 67, 71, 73, 75, 82, 84, 88, 89, 93

الزعاطشة · 15, 64

الزمالة · 53

الشعانبة · 75

الطرق الصوفية · ث, ح, 49, 76, 77, 101, 149, 165

العثمانيين · ت, ج, 18, 44, 55, 56, 57, 58, 60, 61, 62, 65, 69, 72, 77, 81, 82, 83, 84, 85, 92, 94, 95, 96, 151

العرب · 15, 16, 24, 39, 40, 45, 49, 53, 57, 59, 62, 63, 64, 65, 67, 72, 73, 74, 75, 83, 84, 88, 91, 101, 103, 105

المخزن · ب, ت, ث, ج, ح, 32, 43, 46, 48, 49, 50, 53, 98, 100, 101, 165

- النمامشة 70 ,40 ,15 ,14
- اليهود 96 ,95 ,35 ,30 ,29 ,28 ,22
- أولاد بن عاشور 43
- أولاد بن قانة 63
- أولاد بوعون 13
- أولاد دراج 99
- أولاد سلام 13
- أولاد صولة 86 ,57 ,55
- أولاد عبد النور 103 ,93 ,82 ,62 ,35 ,13
- أولاد عبيدي 37
- أولاد مقران 44 ,11
- أولاد يحي 38

ب

- بني جعد 38
- بني جلاب 84 ,62 ,28
- بني سليم 67
- بني عباس 86 ,9
- بني فليسه 11
- بني منصور 44 ,38 ,9
- بني هارون 38
- بني وارار 40

د

- درقاوة 77

ر

رياح 60, 62 ·
ريغة 38, 97 ·

غ

غداسة 67 ·

هـ

هوارة 65, 66, 67 ·

فهرس المحتوى

مقدمة... أ

القسم الأول: الدراسة الطبيعية والبشرية لبايلك قسنطينة........................... **07**

الفصل الأول: البنية الجيولوجية والتضاريسية ودورها الاقتصادي........................ **08**

الفصل الثاني: البنية البشرية وانعكاساها على المجتمع................................ **16**

القسم الثاني: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة **44**

الفصل الثالث: سلطة المخزن في بايلك قسنطينة **43**

الفصل الرابع: سلطة القبيلة في بايلك قسنطينة **55**

الفصل الخامس: السلطة الروحية في بايلك قسنطينة **76**

القسم الثالث: العلاقات بين السلطات المحلية في بايلك قسنطينة **79**

الفصل السادس: العلاقات بين سلطة البايلك وسلطة القبائل **81**

الفصل السابع: العلاقات بين سلطة البايلك والسلطة الروحية (الطرق الصوفية)................ **87**

خاتمة.. **106**

الملاحق **110**

بيليوغرافيا **140**

فهرس الأعلام **151**

فهرس الأماكن والمدن **156**

فهرس القبائل والعشائر والأسر والعائلات **163**

فهرس المحتوى.. **166**